إِبْطَالُ التَّنْدِيد

باختصار شَـرْحِ

كِتَابِ التَّوْحِيد

مَعَ مَتن الكِتَابِ وَمَسَائِلِهِ

تأليف

العلامة الشيخ

حمد بن علي بن محمد بن عتيق

١٢٢٧هـ - ١٣٠١هـ

تقديم ومراجعة

الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق

دار الكتاب والسنة

إِبْطَالُ التَّنْدِيد

باختصار شرح

كِتَابِ التَّوْحِيد

مع متن الكتاب ومسائله

إِبْطَالُ التَّنْدِيد

باختصار شَرْحِ

كِتَابِ التَّوْحِيد

مَعَ مَتن الكِتَابِ وَمَسَائِلِهِ

تأليف

العلامة الشيخ

حمد بن علي بن محمد بن عتيق

١٢٢٧هـ - ١٣٠١هـ

تقديم ومراجعة

الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق

دار الكتاب والسنة

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة السادسة
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

توزيـــع
مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان
ص.ب : ١٤٠٥ - الريـاض ١١٤٣١
هاتف : ٤٠٢٢٥٦٤ - ناسوخ : ٤٠٢٣٠٧٦

الرقـــــم	: RR-15-95/10100175
المؤلَّـــــف	: إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد .
المؤلِّـــــف	: العتيق - حمد بن علي بن محمد .
تقديم ومراجعة	: العتيق - إسماعيل بن سعد .
الناشـــــر	: دار الكتاب والسنة - باكستان .
الإشـــراف	: باب الإسلام للطباعة والنشر والترجمة.
المشرف الفني	: مغل - أبو سلطان .
صف تصويري	: شيخ - أبو رضوان .

1

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله على آلائه والصلاة والسلام على أنبيائه وبعد :

فإن مما استأثر الله به وجعله محض حقه تعالى هو توحيده وطاعته والإخلاص في الأقوال والأعمال والاعتقاد له وحده ... وقد أجملها تعالى في كلمة التوحيد : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ وهي الكلمة التي تلقاها رسول الله ﷺ وصحابته وجعلوها منهج حياتهم في الاعتقاد والتشريع والمعاملة والسلوك والعبادة والأخلاق ، فأقاموا بها دولة الإسلام وأسسوا بها حضارة العالم المستقبل ، وظلت كذلك حتى عبث بمقوماتها أدعياء غرباء عن الإسلام وذلك بإحداث ما لم يأذن الله ورسوله به فزلت أقدامهم وضلت عقولهم وباؤوا بالخسران ، فكان في سقوط الدولة العثمانية والقائمة باسم الخلافة الإسلامية حدث جلل أنبأ عن انهيار القيم وضياع التشريع وفقد القيادة الإسلامية الراشدة ، ودليل ذلك أن الإسلام طورد في عواصمها وأزيح خمار الحياء

ممن حكموها لولا أن الله حفظ دينه ببعث جديد ونشر فريد بظهور الدعوة السلفية والخطة المرضية ، فكأن الأمر عاد أنف ، والتاريخ أعاد نفسه بما سلف ، فامتد شعاع الإسلام من الجزيرة العربية بصفاء ، وأغارت جيوشه على الوثنية المحبوكة باسم الإسلام زوراً وبهتاناً ، فطهرت البلاد المقدسة من ملامح الوثنية الكالحة ، وذلك بهدم القبور والمشاهد والمزارات المتعددة وسيلة عيش المنحرفين والزاهدين في حقيقة الإسلام ، مما جعلهم يحملون على هذه الدعوة باسم الوهابية أو المذهب الخامس ، أو الشيخ النجدي وما إلى ذلك .. وفي قيام الدولة السعودية على هذا الأساس من الدين ظلت تحكم الجزيرة العربية حكماً مباشراً تنفذ فيه أحكام الله وشرعه .

وكتاب التوحيد للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، طراز جديد في تفهيم الناس مقاصد التوحيد إذ جعله على أبواب دائرية تنداح كل دائرة بأوسع من أختها .

فالدائرة الأولى : هو معرفة التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله .

والدائرة الثانية : تحقيق ذلك التوحيد .

والدائرة الثالثة : الخوف من الشرك بأنواعه .

والرابعة : حماية التوحيد .

والخامسة : حماية حمى التوحيد .

وتفسير ذلك كله في المؤلف الوجيز المسمى بكتاب التوحيد

شرحه حفيده الأول سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتعقبه بالتهذيب والتحقيق الحفيد الثاني الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .. ودرج على أثرهما تلميذهما الشيخ حمد بن عتيق لتلخيص ما ورد في الشرحين وزيادة ما استوضحه من معاني .

فها هو إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد نقدمه للقراء في طبعة أنيقة وحلية جديدة عسى أن يكون فيه خير عون على مستهل فجر جديد لطالع سعيد ، والله نسأل أن يوفق الناشر والكاتب والمستفيد وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

إسماعيل بن سعد بن عتيق

* * *

1

ترجمة الشيخ حمد بن علي بن عتيق
أعتقنا الله وإياه من النار

هو الشيخ العالم ، العامل ، الورع ، الزاهد ، حمد بن علي بن محمد ابن عتيق بن راشد بن حميضة .

ولد رحمه الله تعالى في بلد الزلفي - عام ١٢٢٧ هـ - ونشأ بها وتعلم القرآن ، وتشبث بطلب العلم وهو في سن الصغر ، وسافر لطلب العلم وقرأ على علماء نجد ، ومن أجلهم المجدد الثاني الشيخ عبد الرحمن ابن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، رحمهم الله تعالى .

وأخذ عنه العلم كثير من علماء نجد ، من أشهرهم الشيخ العلامة عبدالله بن الشيخ عبد اللطيف ، والشيخ العلامة سليمان بن سحمان وأبناؤه العلماء الأجلاء الشيخ سعد والشيخ عبد العزيز ، والشيخ عبدالله، والشيخ عبد اللطيف ، والشيخ اسحاق ، وغيرهم .

وكان رحمه الله مشهوراً بالكرم والورع ، والإقبال على العبادة ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، لاتأخذه في الله لومة لائم . وقد وقع في نجد في زمنه فتن عظيمة ، فكان من أعظم الناس صبراً وجهاداً بسيفه ولسانه ، ولم يألو جهداً في التحريض على الجهاد الشرعي في تلك الفتن .

وكانت بينه وبين الشيخ العالم العلامة عبد اللطيف بن الشيخ عبدالرحمن المكاتبات المشهورة المذكور غالبها في مجموعة الرسائل النجدية .

وولاه الامام فيصل رحمه اللّه تعالى قضاء بلد الدلم ، القرية المعروفة في الخرج ، ثم نقله منها إلى الحلوة ، القرية المشهورة في حوطة بني تميم ، ومنها إلى الأفلاج وبها استقر حتى توفي سنة ١٣٠١، إحدى وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة ، ودفن ببلد العمار ، وقبره معروف إلى الآن بها .

وله مؤلفات نافعة ، منها : أبطال التنديد باختصار - شرح التوحيد - بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك - الفرق المبين بين مذهب السلف وابن سبعين وله رسالة في نحو الكراستين في الرد على ابن دعيج في رسالته التي ضمنها تزكية الكفار وأئمة الردة ومسبة المسلمين وانهم يكفرون من أقام ببلد المشركين وإن كان مظهراً للدين ، وله غيرها من الرسائل الشيء الكثير .

وكان رحمه اللّه يقول الشعر ، سريع البديهة ، كتب إليه ابنه سعد في سفره لطلب العلم من الهند هذين البيتين :

لاكتساب العلم سافرنا ونرجو
انه فتح وإقبال وبر
قلت يا قلبي فأرخ منهما
قال تأريخي له (يمن أغر)

فلما وقع نظر والده عليهما أنشأ يقول :

يا إلهي لا تخيب سعيه　　أوله التوفيق حقاً والظفر
واجعل العلم اللدني حظه　　أوله فهم المنزل والأثر
اعطه رزقاً حلالاً واسعاً　　كافياً حاجاته في ذا السفر

اكفه جميع محذوراته حادثات البر أيضاً والبحر

وقد رزقه اللّه من ذريته قرة أعين ، فمنهم العلماء الفطاحل ومنهم العباد الزهاد الكرماء . فمن العلماء العالم العلامة الشيخ سعد ، والعالم العابد الشيخ عبد العزيز ، والعالم العامل الشيخ عبد اللّه ، والعالم الورع الشيخ عبد اللطيف ، والشيخ الذكي إسحاق ، والعابد الورع علي ، والزاهد العابد اسماعيل ، وطالب العلم المجتهد محمد ، والمشهور بالكرم والجود عبد الرحمن .

وقد رثاه العالم العلامة صاحب المؤلفات الكثيرة المفيدة الشيخ سليمان بن سحمان رحمه اللّه تعالى فقال :

على الحبر بحر العلم بدر المنابر
وشمس الهدى فليبكك أهل البصائر
وأية عين لاتثج بمائها
عليه كثج المعصرات المواطر
فلا نعمت يوماً ولا قلب قائلى
خلي من الأشجان ليس بغائر
فوالهفا من فادح جل خطبه
وثلم من الإسلام إحدى الفواقر
ورزء فظيع بل مريع ولائع
بشمس الهدى أضحى نزيل المقابر
يعز علينا أن نرى اليوم مثله
لحل عويص المشكلات البوادر

وللشبهات المعضلات وردها
إذا ماتبدت من كفور مقامر
فلله من حبر تصعد للعلا
فحل على هام النجوم الزواهر
ولله من حبر إمام وبلتع
يعوم بتيار من العلم زاخر[1]
ويقفو لآثار النبي وصحبه
يجدد من منهاجهم كل داثر
ويحيي علامات من العلم قد عفت
ويعمر من بنيانه كل دامر
إمام تزيا بالعبادة فاستما
بها وارتقي مجداً سمي المظاهر
لقد كان أماً في السماحة والندى
فليس له في عصره من مناظر
وفي الحلم قد أضحى لعمرك آية
وفي العلم ذو حظ أطيد ووافر[2]
تقي نقي ألمعي مهذب
أريب رسيب الجاش ليس بطائر[3]
إلى آخره . . .

---

(١) البلتع الحاذق بكل شيء ، يعوم يسبح ، التيار موج البحر اذا هاج .
(٢) اطيد متمكن .
(٣) الاريب الماهر ، الرسيب من الرجال الحليم الثابت .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه .

هذا تعليق على (كتاب التوحيد) تصنيف الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، أجزل الله له الثواب ، وأدخله الجنة بغير حساب ، وأكثر ما فيه من المنقولات وغالب الأحاديث المنسوبات من شرح حفيده سليمان بن عبد الله رحمه الله وعفى عنه ، فلهذا سميت هذا التعليق (إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد) وقد انتهت مبيضة الشارح إلى « باب من هزل بشيء فيه ذكر الله » ووجد من مسوَّدته إلى « باب منكر القدر » ووجد نقل على نسخة له من الأصل فيما بعد ذلك ، ويسر الله تمام باقيه ، فلله الحمد والمنة .

قوله : ﴿ بسم الله ﴾ معنى الله : الإله ، قال ابن عباس : الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، ذكره ابن جرير عنه ، قال بعضهم : وذكر في القرآن في ألفين وثلاثمائة وستين

موضعاً ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال ابن عباس : اسمان دالان رقيقان أحدهما أرقّ من الآخر أي أوسع رحمة . قال ابن القيم رحمه الله : الرحمن دال على الصفة القائمة به ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم ، فكان الأول للوصف والثاني للفعل ، فالأول دال على أن الرحمة صفته ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته .

(تتمة) غلط بعض المتأخرين في تفسير الرحمن بكمال الإنعام ، والرحيم بما دون الكمال ، وبإرادة الإنعام ، فإن ذلك مذهب أهل التأويل الباطل من الجهمية المبتدعة . ذكر معناه شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن حفيد المصنف .

قوله : (كتاب التوحيد) يسمى دين الإسلام توحيداً لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له ، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له ، وواحد في إلاهيته وعبادته لا ند له ، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذي جاؤوا به من عند الله ، وهي متلازمة كل نوع منها لا ينفك عن الآخر ، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر فما ذاك إلا لأنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب ، وإن شئت قلت : التوحيد نوعان : توحيد في المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ؛ وتوحيد في الطلب والقصد ، وهو توحيد الإلهية والعبادة . ذكره شيخ الإسلام وابن القيم رحمهما الله .

فأما توحيد الربوبية والملك فهو الإقرار بأن الله ربّ كل شيء

ومليكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي المميت النافع الضارّ المتفرّد بإجابة الدعاء عند الاضطرار ، الذي له الأمر كلـه وبيده الخير كله ، ويدخل فيه الإيمان بالقدر ، وأما توحيد الأسماء والصفات فهو الإقرار بأن الله على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم وأنه سميع بصير ، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنـة ولا نوم ، والإيمان بما جاء في الكتاب والسنة من الأسمـاء والصفـات ، واعتقاد ذلك على الحقيقة ، فيوصف الرب تعالى بذلك من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، والله تعالى لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

فأما الأول : فقد أقر به المشركون كما قال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ وغير ذلك من الآيات .

وأما الثاني : فإنهم يقرون بجنسه وإن أنكر بعضهم بعضه جهلاً أو عناداً .

وأما الثالث : وهو توحيد الإلهية فهو مبني علـى إخـلاص التأله لله من المحبة والخوف والرجاء والتـوكل والدعـاء وجميع العبادات ، ظاهرها وباطنها ، وأن لا يجعل فيها شيء لغيره ، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما ، وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف ، وقد أفصح القرآن به كل الإفصاح ، وأبدى فيه وأعاد ، وضرب لذلك الأمثال بحيث أن كل سورة من

القرآن فيها الدلالة على هذا النوع ، وذلك لأنه الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل والأمم كما دل القرآن على ذلك ، وهو الذي قصد المصنف رحمه الله تعالى بيانه ، وإن كان كتابه مشتملاً على الثلاثة ، قال ابن القيم رحمه الله :

هذا وثاني نوعي التوحيد تو حيد العبادة منك للرحمن
أن لا تكون لغيره عبداً ولا تعبد بغير شريعة الإيمان
فتقوم بالإسلام والإيمان وا لإحسان في سر وفي إعلان
والصدق والإخلاص ركنا ذلك التوحيد كالركنين للبنيان

قوله : وقول الله تعالى . قال الشارح : يجوز في (قول الله) الرفع والجر ، وهذا حكم ما يمر بك من هذا الباب .

* * *

١ - كتاب التوحيد

قال الله تعالى : ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلَّا ليَعْبُدُونِ ﴾ .

* * *

قوله : ﴿ وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[1] قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : ومعنى الآية أن الله خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أحسن الجزاء ، ومن عصاه عذبه وأخبر أنه غير محتاج إليهم . قال علي ابن أبي طالب : ألا لآمرهم أن يعبدون وأدعوهم إلى عبادتي . وقال مجاهد : ألا لآمرهم وأنهاهم ، واختاره شيخ الإسلام ، قال ويدل عليه قوله : ﴿ أيحسب الإنسان أن يُترك سُدى ﴾[2] قال الشافعي : لا يؤمر ولا ينهى وقوله : ﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم﴾[3] أي لولا عبادتكم إياه ، وقال في القرآن في غير موضع

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦

(٢) سورة القيامة ، الآية : ٣٦ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية : ٧٧ .

وقوله : ﴿ ولقد بَعَثْنَا فى كلِّ أُمَّةٍ رسولاً أَنِ اعبُدوا اللّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ الآية .

***

﴿ اعبدوا ربكم ﴾ ﴿ اتقوا الله ربكم ﴾ فقد أمرهم بما خلقوا له ، وأرسل الرسل إلى الجن والإنس بذلك ، وهذا المعنى هو الذي قصد بالآية قطعاً ، وهو الذي يفهم جماهير المسلمين ويحتجون بالآية عليه ويقرون أن الله إنما خلقهم ليعبدوه العبادة الشرعية وهي طاعته وطاعة رسله لا ليضيعوا حقه الذي خلقهم له .

وقال أيضاً : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، وقال ابن القيم : مدارها على خمس عشرة قاعدة من كملها كمل مراتب العبودية ، وبيان ذلك أن العبادة منقسمة على القلب واللسان والجوارح ، والأحكام التي للعبودية خمسة : واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح ؛ وهذه لكل واحد من القلب واللسان والجوارح

قال المصنف : وفي الآية الحكمة في خلق الجن والإنس ،

قوله : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ﴾[١] الآية . أخبر تعالى أنه بعث في كل أمة أي في كل طائفة وقرن من الناس رسولاً بهذه الكلمة ﴿ أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾[٢] أي

(١) و (٢) سورة النحل ، الآية : ٣٦ .

وقوله :﴿ وقضى ربُّكَ ألاَّ تعبُدوا إلا إيَّاهُ وبالوَالِدَيْنِ إحسانًا ﴾الآية .

***

اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه ؛ فلهذا خلقت الخليقة وأرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ وهذه الآية هي أول واجب على المكلفين معرفتها ؛ وهي معنى لا إله إلا الله ؛ فإنها تضمنت النفي والإثبات كما تضمنته لا إله إلا الله ففي قوله : ﴿ اعبدوا الله ﴾ الإثبات ، وقوله : ﴿ واجتنبوا الطاغوت ﴾ النفي . قاله الشارح .

وقال ابن القيم : وطريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإثبات فينفي عبادة ما سوى الله ويثبت عبادته ، وهذا هو حقيقة التوحيد ؛ والنفي المحض ليس بتوحيد ؛ وكذلك الإثبات بدون النفي ، فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات . وهذا حقيقة لا إله إلا الله . انتهى .

قال المصنف رحمه الله : وفيها الحكمة في إرسال الرسل ؛ وأن الرسالة عمَّت كل أمة ، وأن دين الأنبياء واحد . ويأتي معنى الطاغوت في (باب السحر) عند كلام عمر وجابر .

وقوله : ﴿ وقضى ربك ألاَّ تعبدو إلا إياه ﴾[(١)] قال مجاهد: قضى يعني وصى وكذا قرأ أُبي بن كعب وابن مسعود

---

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٢٣ .

* * *

وابن عباس وغيرهم، وقال ابن عباس: يعني أمر، رواه ابن جرير. وقوله : ﴿ ألاّ تعبـدوا إلا إياه ﴾ أي أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره ممن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، وهذه الآية هي معنى لا إله إلا الله ، فإن قوله : ﴿ ألاّ تعبـدوا ﴾ هو معنى لا إله ، وقوله ﴿ إلا إياه ﴾ هو معنى إلا الله ﴿ وبالولـداين إحسانـاً ﴾ أي وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحساناً كما قضى بعبادته وحده لا شريك له ، وعطف حقهما على حق الله دليل على تأكد حقهما ، وأنه أوجب الحقوق بعد حق الله . وهذا كثير في القرآن ؛ يقرن حقه تعالى بحق الوالدين كقوله : ﴿ أن اشكر لي ولوالديك ﴾ ولم يخص تعالى نوع من أنواع الإحسان ليعـم جميع أنـواع الإحسان .

وقد تواترت السنّة عن النبي ﷺ بالأمر ببر الوالدين وتحريم عقوقهما ففي البخاري عن ابن مسعود : قلت يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أي ، قال : « الجهاد في سبيل الله » حدثني بهن ولو استزدته لزادني ، وفي الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول الله قال « الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت .

وقوله : ﴿ واعبُدوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شيئًا ﴾ الآية . وقوله : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكم عليكم أن لا تُشْرِكُوا به شيئًا ﴾ الآيات .

* * *

وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « رضا الرب في رضا الوالدين ، وسخطه في سخط الوالدين » صححه ابن حبان والحاكم . قال الشيخ تقي الدين : تجب طاعتهما فيما فيه نفع لهما ولو شق عليه .

قوله : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾[1] قال ابن كثير : يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له ، فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الحالات فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته .

قوله : ﴿ قل تعالوْا ﴾ قال ابن كثير : يقول تعالى لنبيه ﷺ ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله ، وحرموا ما رزقهم الله ؛ وقتلوا أولادهم ، وكل ذلك فعلوه بآرائهم الفاسدة ، وتسويل الشيطان لهم ﴿ تعالوا ﴾ أي هلموا وأقبلوا ﴿ أتلُ ﴾ أي أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقاً لا تخرصاً ولا ظناً ، بل وحي منه ، وأمر من عنده ﴿ ألا تشركوا به شيئاً ﴾ وكأن في الكلام محذوف دلّ عليه السياق تقديره :

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٣٦ .

قال ابنُ مسعودٍ : من أَرادَ أن يَنْظُرَ إلى وصِيَّة محمد ﷺ التى عليها خاتَمُهُ فَلْيَقْرأ قولَه تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ ربُّكم عليكم أن لا تُشْرِكُوا بِهِ شيئًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنَّ هٰذا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ الآية .

***

وصاكم أن لا تشركوا به شيئاً . ولهذا قال في آخر الآية ﴿ ذلكم وصاكم به ﴾ انتهى .

قال شيخنا : المعنى حرم عليكم هذا الذي نهاكم عنه وهو الإشراك بالله ،

قوله : قال ابن مسعود قال بعضهم ما معناه : أي من أراد أن ينظر إلى الوصية التي كأنها كتبت وختم عليها ثم طويت فلم تغير ولم تبدل ، وليس المراد أن النبي ﷺ كتبها وختم عليها . قال الشارح : وهذا الأثر رواه الترمذي وحسنه ، وابن المنذر وابن أبي حاتم بنحوه . وقد روى عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث ؟ ثم تلا قوله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ﴾[1] حتى فرغ من الآيات الثلاث ، ثم قال من وفى بهن فأجره على الله ، ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته ، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله ، إن شاء آخذه وإن شاء

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٥١ .

وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال : «كنتُ رديفَ النبيِّ ﷺ على حمارٍ ، فقال لي : يا مُعاذُ ، أتدري ما حقُّ الله على العبادِ ، وما حقُّ العبادِ على اللهِ ؟ قُلتُ : اللهُ ورسولُه أعلمُ ؛ قال : حقُّ اللهِ على العبادِ أن يَعبدوهُ

***

عفى عنه » رواه ابن أبي حاتم والحاكم وصححه .

قوله : « على حمار » قال المصنف : فيه تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف وجواز الارداف على الدابة إذا كانت مطيقة .

قوله : « أتدري » أخرج السؤال بصيغة الاستفهام ليكون أوقع في النفس ، وأبلغ في فهم المتعلم . قال شيخ الإسلام : كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق .

قوله : فقلت الله ورسوله أعلم ـ فيه الأدب للمتعلم ، وأنه ينبغي لمن سئل عما لا يعلم أن يقول ذلك ، بخلاف المتكلفين .

قوله : « أن يعبدوه » أي أن يفردوه بالعبادة ولا يجعلوا له شريكاً في نوع منها وإن قلّ . قال بعض المحققين في قوله : « أن يعبدوه » يتضمن جميع أنواع التكاليف الشرعية . وقوله : ﴿ ولا يشركوا به شيئاً ﴾ يشمل قسمي الشرك الجلي والخفي ،

ولا يُشركوا به شيئًا ، وحق العبادِ على الله أن لا يُعذِّبَ من لا يُشركُ بهِ شيئًا ، قلت : يا رسولَ الله ، أفلا أُبشِّرُ الناس ؟ قال لا تُبشِّرْهُمْ فَيتّكلوا » . أخرجاهُ فى الصحيحين .

***

قوله : أفلا أبشر الناس ؟ فيه استحباب بشارة المسلم بما يسره ، قاله المصنف . قوله لا تبشرهم فيتكلوا . وفي رواية إني أخاف أن يتكلوا . أي يعتمدوا على ذلك فيتركوا التنافس في الأعمال الصالحة ، وفي رواية « فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً » أي تحرجاً من الإثم .

(تتمة) روى أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله : ابن آدم ، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى ، وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسدّ فقرك » وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى إني والجن والإنس في نبأ عظيم ؛ أخلق ويُعبد غيري ، وأرزق ويشكر سواي » رواه الطبراني في مسند الشاميين ، والحاكم في تاريخه والبيهقي في شعب الإيمان

***

فيه مسائل

الأولى : الحكمة في خلق الجن والإنس .

الثانية : أن العبادة هي التوحيد ، لأن الخصومة فيه .

الثالثة : أن من لم يأت به لم يعبد الله ، ففيه معنى **قوله** ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ .

الرابعة : الحكمة في إرسال الرسل .

الخامسة : أن الرسالة عمَّت كل أمة .

السادسة : أن دين الأنبياء واحد .

السابعة : المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ، ففيه معنى **قوله** : ﴿ فمن يَكفرْ بالطاغوت ﴾ الآية .

الثامنة : أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله .

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف ، وفيها عشر مسائل ، أولاها النهي عن الشرك .

العاشرة : الآيات المحكمات في سورة الاسراء وفيها ثمانية عشرة مسألة ، بدأها الله بقوله : ﴿ لا تجعل مع الله إلهاً آخر

فتقعد مذموماً مخذولاً ﴾ وختمها بقوله ﴿ ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ﴾ . ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ﴾ .

الحادية عشرة : آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة ، بدأها الله تعالى بقوله : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ .

الثانية عشرة : التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته .

الثالثة عشرة : معرفة حق الله علينا .

الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه .

الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة .

السابعة عشرة : استحباب بشارة المسلم بما يسره .

الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله .

التاسعة عشرة : قول المسؤول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم .

العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون

٢ ـ باب

فضلِ التَّوْحيدِ وما يُكَفِّرُ من الذُّنُوبِ

وقولِ الله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يَلبِسُوا إيمَانَهُمْ

* * *

ولما ذكر المصنف رحمه الله التوحيد ناسب أن يذكر فضله ، وأنه يكفر الذنوب فقال (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب) أي بيان فضله وتكفيره للذنوب . فـ « ما » مصدرية ، ويجوز أن تكون موصولة ، والعائد محذوف . أي والذي يكفره من الذنوب . .

قوله : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أُولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ أي الذين وحدوا الله ولم يخلطوا توحيدهم بشرك أولئك لهم الأمن ، والأمن أمنان : أمن مطلق وأمن مقيد ، فالأول هو الأمن من العذاب ، وهو لمن مات على التوحيد ولم

بعض .

الحادية والعشرون : تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه .

الثانية والعشرون : جواز الإرداف على الدابة .

الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل .

الرابعة والعشرون : عظم شأن هذه المسألة .

يصر على الكبائر . والثاني هو لمن مات على التوحيد مع الإصرار على الكبائر ، فله الأمن من الخلود في النار ، ففرق بين الأمن المطلق ومطلق الأمن . قال الحسن والكلبي : لهم الأمن في الآخرة ، وهم مهتدون في الدنيا .

وروى أحمد عن ابن مسعود قال : لما نزلت ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾[1] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله فأينا لم يظلم نفسه ؟ فقال : « إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ﴿ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾[2] إنما هو الشرك » قال شيخ الإسلام : ليس مراد النبي ﷺ بقوله : « إنما هو الشرك » أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام ، فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرّضون للخوف ، لم يحصل لهم الأمن التام والإهتداء التام إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من غير عذاب يحصل لهم ، بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط ، وأصل نعمة الله عليهم ، ولا بد لهم من دخول الجنة .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٨٢ . (٢) سورة لقمان ، الآية : ١٣ .

رسول الله ﷺ : « من شهدَ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدهُ

--- *** ---

وقوله : « إنما هو الشرك » إن أراد به الأكبر فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد إلى ذلك ، وإن كان مراده جنس الشرك فيقال : ظلم العبد لنفسه كبخله ببعض الواجب لحب المال وهو شرك أصغر ، وحبه ما يبغض الله حتى يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ونحو ذلك ، فَاتَه من الأمن والاهتداء بحسبه ، ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار . اهـ

فظهرت مطابقة الآية للترجمة ، وذلك أن من مات على التوحيد فله الأمن على ما تقدم بخلاف غيره من الأعمال مع عدمه .

قوله : من شهد أن لا إله الا الله ـ أي من شهد أن لا معبود بحق إلا الله ؛ وقام بوظائف هذه الكلمة من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله وتبرأ من كل المعبودات سواه ، سواء كان ذلك المعبود نبياً أو غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله الصادق المصدوق أفضل الرسل ، فهو عبد الله ورسوله ، أوجب الله تعالى على الخلق طاعته ، ونهى عن عبادته ، وأمر بإخلاص العبادة لله بجميع أنواعها كما قال : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ وليس المراد أن الإنسان إذا شهد بهذا من غير عمل بمقتضاه

لا شريكَ له وأنَّ محمدًا عبده ورسولُه ، وأن عيسى عبدُ اللهِ ورسوله وكلمتهُ ألقاها إلى مَريَمَ وروحٌ منه ،

* * *

يحصل له دخول الجنة ، بل المراد به الشهادة لله بالتوحيد ، والعمل بما تقتضيه شهادة أن لا إله إلا الله من الإخلاص ، وما تقتضيه شهادة أن محمداً عبده ورسوله من الإيمان به وتصديقه واتباعه .

وقوله : وأن عيسى عبد الله ورسوله . هذا تعريض بالنصارى وإيذان بأن إيمانهم مع القول بالتثليث شرك محض لا يخلصهم من النار . وقوله : ﴿ ورسوله ﴾ تعريض باليهود في إنكارهم رسالته ، وانتماؤهم إلى ما لا يحل من قذفه وقذف أمه . وفي رواية (وابن أمته) وهو تعريض بالنصارى أيضاً ، وتقرير لعبوديته أي هو عبد الله وابن أمته فكيف تنسبونه إليه عز وجل ؟

قوله : ﴿ وكلمته ﴾ إنما سُمي عيسى [كلمة الله] لصدوره بكلمة كن بلا أب قاله قتادة وغيره من السلف . وقوله : ﴿ ألقاها إلى مريم ﴾ أي أرسل بها جبريل إليها فنفخ فيها من روحه بإذن ربه . قوله : ﴿ وروح منه ﴾ قال أُبيَّ بن كعب : عيسى روح من الأرواح التي خلقها الله عز وجل واستنطقها بقوله : ﴿ ألست بربكم ؟ قالوا بلى ﴾ بعثه الله إلى مريم فدخل فيها . رواه عبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوايد المسند وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم .

والجَنَّةَ حقٌّ ، والنارَ حقٌّ ، أدخله اللهُ الجنة على ما كان من العمل » أخرجاهُ . ولهما فى حديث عِتْبَانَ : « فإنَّ اللهَ حرَّمَ على النار من قال لا إله إلا اللهُ يَبتغى بذلكَ

قوله : « والجنة حق والنار حق » أي وشهد أن الجنة التي أخبر الله في كتابه أنه أعدها لمن آمن به وبرسله ثابتة لا شك فيها ، وأن النار التي أخبر الله في كتابه أنه أعدها للكافرين به وبرسله ، حق كذلك .

قوله : « أدخله الله الجنة » فيه أن عصاة الموحدين لا يخلدون في النار ، وأنه تعالى يعفو عن السيئات قبل التوبة والعقوبة . قال النووي رحمه الله : هذا حديث عظيم القدر ، جليل الموقع . وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد ، فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم ، فاقتصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يباين جميعهم . اهـ .

قوله : في حديث عتبان ـ بكسر المهملة وسكون المثناة الفوقية بعدها موحدة . قوله : « يبتغي بذلك وجه الله » كقوله : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله حرم الله عليه النار » ونحوه ، وكالأحاديث التي فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة . قال شيخ الاسلام وغيره : هذه الأحاديث إنما هي

وَجْهَ اللهِ » . وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ عن رسول الله ﷺ

* * *

فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة ، وقالها مخلصاً من قلبه ، مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين ، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة ، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة ، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحاً فإذا مات على تلك الحال نال ذلك . اهـ .

وقال الحسن : معنى هذه الأحاديث من قال هذه الكلمة وأدى حقها وفريضتها . وقيل إن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك . وهذا قول البخاري . وقال ابن المسيب : كان هذا قبل أن تنزل الفرائض والأمر والنهي . قال بعض المحققين : قد يتخذ أمثال هذه الأحاديث البطلة والمباحية ذريعة إلى طرح التكاليف ورفع الأحكام ، وإبطال الأعمال معتقدين أن الشهادة وعدم الإشراك كاف ، وربما يتمسك بها المرجئة ، وهذا الاعتقاد يستلزم طي بساط الشريعة وإبطال الحدود والزواجر السمعية . ويوجب أن يكون التكليف بالترغيب في الطاعات والتحذير عن المعاصي والجنايات غير متضمن طائلاً بل يقتضى الانخلاع عن ربقة الدين والملة والانسلال عن قيد الشريعة والحكمة والسنة والولوج في الخبط والخروج عن الضبط . اهـ . وروى حديث عتبان أحمد والنسائي وابن ماجه والبيهقي في الأسماء والصفات .

قال « قال موسى : يا ربِّ عَلِّمنِي شيئًا أذكُرُكَ وأدعُوكَ به ، قال : قُلْ يا موسى : لا إله إلا الله ، قال : يا ربِّ كلُّ عِبادِكَ يقولون هذا ؟ قال : يا موسى ، لو أنَّ السَّمٰوَاتِ السبعَ وعامرَهُنَّ غيرِى والأرَضِينَ السبع فى كِفَّةٍ ، ولا إله إلا اللهُ فى كِفَّةٍ ، مالتْ بهنَّ لا إله إلا اللهُ » رواه ابن حِبَّانَ والحاكم وصحّحهُ .

***

قوله : (عن أبي سعيد) اسمه سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ، هو وأبوه صحابيان . قوله : (أدعوك) أي أثني عليك وأتوسل إليك . قوله : (كل عبادك يقولون هذا) في سنن النسائي والحاكم وشرح السنة بعده « إنما أريد شيئاً تخصني به » .

قوله : (وعامرهن) أي لو أن السموات السبع ومن فيهن من العمار غير الله ؛ والأرضين السبع ومن فيهن ؛ وُضِعوا في كفة الميزان ؛ ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى ؛ مالت بهن لا إله إلا الله . أي رجحت عليهن ؛ وذلك لما اشتملت عليه من توحيد الله الذي هو أساس الملة ورأس الدين ؛ وأفضل الأعمال . قال ابن القيم رحمه الله : فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها ؛ وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب ، فتكون صورة العملين واحدة

وللترْمذىِّ – وحَسَّنهُ – عن أَنسٍ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « قال اللهُ تعالى : يا ابنَ آدمَ ، لو أتيتَنِى بِقُرَابِ الأَرضِ خطايَا ، ثم لَقِيتَنِى لا تُشركُ بِى شيئًا ، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مغفرةً » .

––––– *** –––––

وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض .

قوله : (وللترمذي) اسمه محمد بن عيسى . قوله : « بقراب الأرض » بضم القاف وكسرها ، والضم أشهر ، وهو ملؤها أو ما يقارب ملؤها .

قوله : « ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً » قال شيخ الإسلام : الشرك نوعان : أكبر وأصغر . فمن خلص منهما وجبت له الجنة ، ومن مات على الأكبر وجبت له النار ، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة ، فإن تلك الحسنات توحيد كثير مع يسير من الشرك الأصغر . ومن خلص من الأكبر ولكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار . فالشرك يؤخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيراً أصغر ، والأصغر القليل في جانب الاخلاص الكثير لا يؤاخذ به . انتهى .

ومثل حديث أنس حديث أبي ذرّ عند الإمام أحمد عن أبي

معاوية عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل : من عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئا جعلت له مثلها مغفرة » .

* * *

فيه مسائل

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

الرابعة : تفسير الآية التي في سورة الأنعام .

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عُبادة .

السادسة : أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول « لا إله إلا الله » ، وتبين لك خطأ المغرورين .

السابعة : التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله

إلا الله .

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات ، مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه .

العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسمٰوات .

الحادية عشرة : أن لهن عُماراً .

الثانية عشرة : إثبات الصفات خلافاً للأشعرية .

الثالثة عشرة : أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان « فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » أنه ترك الشرك ، ليس قولها باللسان .

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدَيِ الله ورسولَيْه .

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .

السادسة عشرة : معرفة كونه روحاً منه .

السابعة عشرة : معرفة فضل الايمان بالجنة والنار .

الثامنة عشرة : معرفة قوله « على ما كان من العمل » .

التاسعة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان .

العشرون . معرفة ذكر الوجه .

٣ ـ باب
مَنْ حَقَّقَ التوحيدَ دخلَ الجنة بغير حسابٍ

وقولِ الله تعالى : ﴿ إن إبٰرهيم كان أُمةً قانتًا لله حنيفًا ولم يكُ من المشركينَ ﴾ .

* * *

قال شيخنا : تحقيقه تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي . وقال الشارح : هو معرفته والاطلاع على حقيقته ، والقيام بها علماً وعملاً . قوله : ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾ وجه مطابقة الآية للترجمة أن الله وصف إبراهيم بهذه الصفات التي هي أعلا مراتب تحقيق التوحيد ، فمن اتبع إبراهيم فيها دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب . (الأولى) : أنه كان أمة ، أي قدوة ، معلماً للخير . روى عن ابن مسعود معناه (الثانية) : كونه قانتاً أي خاشعاً مطيعاً دائماً على عبادة ربه وطاعته . قال الشيخ تقي الدين بن تيمية : القنوت في اللغة دوام الطاعة (الثالثة) : كونه حنيفا أي مائلاً عن الشرك قصداً إلى التوحيد . وقال ابن القيم : الحنيف المقبل على الله ، المعرض عن كل ما سواه . ذكره شيخنا (الرابعة) : أنه ما كان من المشركين لا في القول ولا في العمل ولا في الاعتقاد .

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ هم بِربهمْ لا يُشركونَ ﴾ .

عن حُصينِ بن عبد الرحمٰن قال : «كنتُ عند سعيدِ بن جُبيْرٍ فقال : أيُّكم رأى الكوْكبَ الذى انقضَّ البارحةَ ؟ فقلت : أنا ، ثم قلتُ : أمَا إنِّى لم أكنْ فى صلاةٍ ، ولكنِّى لُدِغْتُ ، قال : فما صنعتَ ؟ قلتُ : ارتقيت ، قال : فما حَمَلكَ على ذلك ؟ قلت : حديثٌ

* * *

قال المصنف : أمة لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين . قانتاً لله لا للملوك ولا للتجار المترفين . حنيفاً لا يميل يميناً ولا شمالاً كفعل العلماء المفتونين ، ولم يك من المشركين خلافاً لمن كثر سوادهم وزعم أنه من المسلمين .

قوله : ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾ قال ابن كثير : أي لا يعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأنه لا نظير له ، وهذا هو تحقيق التوحيد .

قوله : عن حصين بن عبد الرحمن ـ الحديث رواه البخاري مختصراً ومطولاً ، ومسلم واللفظ له والترمذي والنسائي . قوله : (انقض) أي سقط . قوله : (إني لم أكن في صلاة) خاف أن يظن السامع أنه يصلي . قوله : (حديث) : بالرفع فاعل بفعل

حدثناهُ الشعبيُّ ، قال : وما حدّثكمْ ؟ قلتُ : حدثنا عن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْبِ أنه قال : لا رُقْيةَ إلا منْ عَيْنٍ أو حُمَةٍ ، قال : قد أحْسَنَ مَنِ انتهى إلى ما سمعَ ، ولكنْ حدثنا ابنُ عباسٍ عن النبي ﷺ أنهُ قال : عُرِضتْ عليَّ الأُمَمُ ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرهطُ ، والنبيَّ ومعهُ الرجلُ والرجُلانِ ، والنبيَّ وليس معه أحدٌ ، إذ رُفِع لِي سَوادٌ عظيمٌ ، فظننت أنهمْ أُمَّتي ، فقيل لي :

محذوف أي حملني حديث . قولـه : « لا رقية إلا من عين أو حُمة » هذا الحديث رواه أحمد وأبو داود والترمـذي من حديث عمران بن حصين أيضاً . والحمة : السم ، والمعنى لا رقية أنفع وأولى من رقية المعيون أي المصاب بالعين ، ورقية من لدغة ذي حمة .

قوله : « قد أحسن من انتهى إلى ما سمع » أي من أخذ بما بلغه من العلم وعمل به فقد أحسن، لأنه أدّى ما عليه بخلاف من يعمل بجهل أو لا يعمل بعمله .

قوله : « عُرِضت عليّ الأمم » في رواية الترمذي والنسائي من رواية بشر عن حصين بن عبد الرحمن أن ذلك كان ليلة الإسراء .وقوله : (الرهط) ، قال النووي : الجماعة دون

هذا موسى وقومُه ، فنظرتُ فإذا سَوادٌ عظيمٌ ، فقيل لى : هذه أُمَّتُكَ ، ومعهم سبعون ألْفًا يدخلون الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ ، ثمَّ نهضَ فدخلَ منزِلَه ، فخاضَ الناسُ فى أولئكَ ، فقال بعضُهم : فلعلهمُ الذينَ صَحِبوا رسولَ الله ﷺ ، وقال بعضُهم : فلعلهمُ الذينَ وُلِدُوا فى الإسلامِ فلم يُشركوا بالله شيئًا ، وذكَرُوا أشياءَ ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروهُ ، فقال : هُمُ الذين لا يَسْتَرْقُونَ ولا يَكْتَوُونَ ولا يَتطيَّرُونَ ،

* * *

العشرة . قوله : « ومعهم سبعون ألفاً » أي ومن جملتهم سبعون ألفاً ، وليس المراد انهم ليسوا في الذين عُرضوا حينئذ كما توهمه بعضهم . قوله : فخاض الناس في أولئك ، أي في أعمال هؤلاء السبعين الألف التي بلغتهم دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب .

قوله : فقال « هم الذين لا يسترقون » وفي رواية لمسلم « ولا يرقون » قال شيخ الإسلام هذه الزيادة وهم من الرواي ، لم يقل النبي ﷺ « لا يرقون » لأن الراقي محسن إلى أخيه ، وقد رقي أصحابه ، ورقاه جبريل ، والفرق بين الراقي والمسترقي أن المسترقي سائل مستعطف ملتفت الى غير الله بقلبه ، والراقي محسن ، وإنما المراد وصف السبعين الألف بتمام التوكل فلا

وعلى ربهمْ يَتوكَّلونَ . فقام عُكَّاشَةُ بن مِحْصَنٍ فقال : ادْعُ اللهَ أن يجعلني منهم ، قال : أنتَ منهم ، ثم قام رجلٌ آخرُ فقال : ادْعُ اللهَ أن يجعلني منهم ، فقال :

***

يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يكويهم، ولا يتطيرون، انتهى ملخصا .

قوله : « ولا يكتوون » أي لا يسألون غيرهم أن يكويهم ، قال ابن القيم : تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع (أحدها) : فعله (والثاني) : عدم محبته له (والثالث) : الثناء علي من تركه (والرابع) : النهي عنه ، ولا تعارض بينهما بحمد الله ، فان فعله يدل على جوازه ، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه ، وأما الثناء على تاركه فيدل على أن تركه أولى وأفضل ، وأما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهة .

قوله : ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ ذكر الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال وهو التوكل الذي هو تحقيق التوحيد ، ولا يدل الحديث على مدح ترك الأسباب ، بل هو مذموم شرعاً وعقلاً وعادة ، والتوكل من أعظم الأسباب فانه سبب لوقاية الله وكفايته لقوله :﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ .

« قوله » : عُكاشة . بضم العين المهملة وتشديد الكاف ، ويجوز تخفيفها ومحصن بكسر الميم وبسكون الحاء وفتح الصاد

سَبَقك بها عُكّاشَةُ » .

***

المهملتين . قوله : « سبقك بها عكاشة » قال ابن بطال أي سبقك إلى إحراز هذه الصفات أي التوكل وما ذكر معه ، وقال القرطبي : لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عكاشة فلذلك لم يجبه إذ لو أجابه لجاز أن يطلب ذلك من كان حاضراً فيتسلسل الأمر ؛ فسدّ الباب بذلك ؛ وهذا أولى من قول من قال : كان منافقاً لأن الأصل في الصحابة عدم النفاق ، وقلّ أن يصدر مثل هذا إلا عن قصد صحيح . قال الشارح : هذا أولى ما قيل فيه ، واليه مال شيخ الإسلام

وقال المصنف : فيه استعمال المعاريض .

***

فيه مسائل

الأولى : معرفة مراتب الناس في التوحيد .

الثانية : ما معنى تحقيقه .

الثالثة : ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين .

الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك .

الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد .

السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .

السابعة : عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل .

الثامنة : حرصهم على الخير .

التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .

العاشرة : فضيلة أصحاب موسى .

الحادية عشرة : عرض الأمم عليه ، عليه الصلاة والسلام .

الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .

الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء .

الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتي وحده .

الخامسة عشرة : ثمرة هذا العالم ، وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة .

السادسة عشرة : الرخصة في الرقية من العين والحمة .

السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله « قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا » فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني .

التاسعة عشرة : قوله « أنت منهم » علم من أعلام النبوة .

٤ ـ باب

الخوف من الشِّرْك

وقولِ الله عز وجل : ﴿ إن اللّٰهَ لا يغفرُ أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاءُ ﴾ .

***

لما كان الشرك أعظم الذنوب وأقبح القبائح ، لأنه تنقيص لرب العالمين ولهذا رتب الله عليه من العقوبات ما لم يرتبه على غيره كقوله ﴿ ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾ ذكر المصنف رحمه الله أنه ينبغي للمؤمن أن يخاف منه ، ويعرف أسبابه ومبادئه ، لعل الله أن يعافيه من هذا الذنب العظيم ، وقد روى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه .

قوله : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ قال ابن كثير : أخبر

= العشرون : فضيلة عكاشة .

الحادية والعشرون : إستعمال المعاريض .

الثانية والعشرون : حسن خلقه ﷺ .

وقال الخليل عليه السلام : ﴿ واجْنُبنى وبَنِيَّ أن نعبُدَ الأصنام ﴾ .

***

تعالى أنه لا يغفر أن يُشرك به أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ﴿ ويغفر ما دون ذلك ﴾ أي من الذنوب لمن يشاء من عباده انتهى . وفي الآية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب ؛ وعلى المعتزلة أصحاب المنزلة بين المنزلتين ، ووجه ذلك أن الله جعل مغفرة مادون الشرك معلقة بالمشيئة ، ولا يجوز أن يحمل ذلك على التائب ، فإنه لا فرق في حقه بين الشرك وغيره ، كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقطنوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾[1] فها هنا عمم وأطلق ، لأن المراد به التائب ، وهناك خصّ وعلق لأن المراد به من لم يتب . قاله شيخ الإسلام .

قوله : ﴿ واجنبني وبنيّ ﴾ أي اجعلني وبنيّ في جانب عن عبادة الأصنام وإنما دعا بذلك لأنه رأى أكثر الناس افتتن بها لقوله : ﴿ رب إنهن أضللن كثيراً من النـاس ﴾ قال إبـراهيم التيمي : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٥٣ .

وفى الحديث : « أَخْوَفُ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصغرُ ، فسُئل عنه ؟ فقال : الرِّياءُ » . وعن ابن مسعود رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَن مات وهو يدعو من دون الله نِدًّا دخل النار » . رواه البخارى . ولمسلم عن جابر رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَن لقى الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة .

* * *

قوله : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » الحديث رواه أحمد عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء ، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم : « اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » وإذا كان الأصغر مخوفاً على الصحابة مع كمال إيمانهم فينبغي لك أن تخاف من الأكبر لضعف الإيمان . هذا وجه مطابقة الحديث للباب ، وإن كان يشمل النوعين .

قوله : « من مات وهو يدعو لله نداً » قال ابن القيم : الند الشبيه ، يقال فلان ند فلان وهو نديده أي شبيهه ومثله ،قوله : « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة » قال القرطبي : أي من لم يتخذ معه شريكاً في الإلهية ولا في الخلق ولا في العبادة ، ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السنة أن

ومن لقيَهُ يشرك به شيئًا دخل النار» .

* * *

من مات على ذلك ، فلا بد له من دخول الجنة ، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحنة ، وإن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة ، ويخلد في النار أبد الآباد من غير انقطاع عذاب ولا تصرم آماد ، وقال غيره : اقتصر على نفي الاشراك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم ، إذ من كذب رسول الله فقد كذب الله ، ومن كذب الله فهو مشرك .

* * *

فيه مسائل

الأولى : الخوف من الشرك .

الثانية : أن الرياء من الشرك .

الثالثة : أنه من الشرك الأصغر .

الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .

الخامسة : قرب الجنة والنار .

السادسة : الجمع بين قربهما في حديث واحد .

السابعة : أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن

٥ ـ باب
الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقولِ الله تعالى : ﴿ قل هذه سَبِيلِى أَدْعُو إلى الله عَلَى بصيرةٍ ﴾ الآية .

* * *

أراد رحمه الله أنك إذا عرفت التوحيد وفضله ، وخفت من ضده ، فادع إلى التوحيد وانهَ عن الشرك كما هي طريقة المنعم عليهم .

قوله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا

⇐ لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس .

الثامنة : المسألة العظيمة ، سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام .

التاسعة : اعتباره بحال الأكثر لقوله : ﴿ رب إنهم أضللن كثيراً من الناس ﴾ .

العاشرة : فيه تفسير « لا إله إلا الله » كما ذكره البخاري .

الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك .

عن ابن عباس رضى الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ لمَّا بعث مُعاذًا إلى اليمن قال : إنك تأتى قومًا من أهل الكتاب ، فليكُنْ أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله – وفى رواية : إلى أن يوحِّدوا اللهَ – فإن هم أطاعوك لذلك فأَعلِمهم أن الله افترض

***

ومن اتبعني ﴾ أي قل يا محمد للناس هذه سبيلي أي طريقتي وسنتي ، الدعوة إلى الله على بصيرة ، وهذه طريقة أتباعه ﷺ والبصيرة : العلم والبرهان ﴿ وسبحان الله ﴾ أي وأعظم الله وأجلَّه وأمجده وأنزهه عن أن يكون له شريك في إلٰهيته وعبادته ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وفي قوله ﴿ ومن اتبعني ﴾ وجهان (أحدهما) أن يكون عطفاً على الضمير المتصل في ﴿ أدعو ﴾ أي أدعو إلى الله ومن اتبعني يدعو إلى الله (والثاني) : أن يكون عطفاً على الضمير المنفصل وهو قوله ﴿ أنا ﴾ قاله الشارح .

قوله : لما بعث معاذاً إلى اليمن ، قال ابن حجر كان بعث معاذ إلى اليمن سنة عشر قبل حج النبي ﷺ . انتهى . قوله : من أهل الكتاب ، أي اليهود والنصارى لأنهم كانوا فيه أكثر وأغلب من مشركي العرب . قوله : وفي رواية (إلى أن يوحدوا الله) أشار المصنف رحمه الله بإيراد هذه الرواية إلى التنبيه على

عليهم خمسَ صلَواتٍ فى كلِّ يوم وليلةٍ ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلِمهم أن الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتُردُّ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فإيَّاك وكرائمَ أَموالِهِم ، واتَّقِ دعوةَ المظلوم . فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » أخرجاه . ولهما عن

———— *** ————

معنى لا إله إلا الله ، إذ معناها توحيد الله بالعبادة قوله : (خمس صلوات) فيه دليل على أن الوتر ليس بواجب ، لأن هذا كان آخر الأمر ؛ قوله : (كرائم) جمع كريمة أي نفسية ؛ قوله (اتَّق دعوة المظلوم) أى احذرها ، واجعل بينك وبينها وقاية قوله : (فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) أي ترفع إلى الله . وروى أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً (دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه) قال الحافظ : إسناده حسن .

ثم اعلم أنه لم يذكر الصيام والحج في هذا الحديث ونحوه مع أنه متأخر فأشكل ذلك على كثير من العلماء ، قال الشيخ تقي الدين : أجاب بعضهم بأن بعض الرواة اختصره ، وليس كذلك لأنه طعن في الرواة ، ومثل هذا لا يقع في حديثين ؛ فأما الواحد فربما وقع ذلك فيه كحديث عبد القيس حيث ذكر بعضهم الصيام وبعضهم لم يذكره ؛ ولكن عن هذا جوابان (أحدهما) : أن هذا بحسب نزول الفرائض (الثاني) : أنه كان يذكر في كل

سهل بن سعد رضى الله عنه : « أن رسول الله ﷺ

--- *** ---

مقام ما يناسبه فيذكر تارة الفرائض التي يقاتل عليها كالصلاة والزكاة ؛ وتارة يذكر الصلاة والصيام لمن ليس عليه زكاة ، وإذا ذكر الصلاة والزكاة والصيام فإما أن يكون قبل فرض الحج كما في حديث عبد القيس ونحوه وإما أن يكون المخاطب لا حجّ عليه ، وأما الصلاة والزكاة فلهما شأن ليس لسائر الفرائض ، ولهذا ذكر الله في كتابه القتال عليهما لأنهما عبادتان ظاهرتان في قوله : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله ﴾ بخلاف الصوم فإنه أمر باطن ؛ وهو ﷺ يذكر في الإعلام الأعمال التي يقاتل عليها الناس ويصيرون مسلمين بفعلها كما في آية براءة فإنها نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس .

وكذلك لما بعث معاذاً إلى اليمن لم يذكر في حديثه الصيام لأنه تبع وهو باطن ؛ ولا ذكر الحج لأن وجوبه خاص ، وليس بعام ، ولا يجب إلا مرة واحدة في العمر . اهـ ملخصاً ببعض تصرف .

وفي الحديث : من الفوائد قبول خبر الواحد ووجوب العمل به ، وأن الكفار يدعون إلى التوحيد قبل الفرائض وأن التوحيد أفرض الفرائض وانه يحرم على الساعي أخذ كرائم الأموال بل الوسط ، وإن الزكاة لا تدفع إلى كافر ، وتحريم الظلم ، وأنه ينبغي للإمام أن يعظ وُلاته .

قال يومَ خَيبَرَ : لَأُعطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلاً يحبّ الله ورسولَه ، ويحبُّه اللهُ ورسولُه ، يفتحُ اللهُ على يديْه . فبات الناس يَدُوكُونَ ليلتَهم ، أَيهم يُعطاها . فلما أصبحوا غَدَوْا على رسول الله ﷺ ، كلهم يرجو أن يُعطاها ، فقال : أين عليُّ بن أبى طالب ؟ فقيل : هو يَشتكى عينيه ، فأرسلوا إليه فأُتِىَ به ، فبصق فى

* * *

قوله : (عن سهل بن سعد) قال شيخ الإسلام : هذا الحديث أصح ما روِي لعلي رضي الله عنه من الفضائل . قوله : (يحب الله ورسوله) قال الشيخ تقي الدين : ليس هذا الوصف مختصاً بعلي ، فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي ، فإن قيل : إذا كان هذا ليس من خصائص علي فلمَ تمنى بعض الصحابة أن يكون له ذلك ؟ أجاب شيخ الإسلام بأنه إذا شهد النبي ﷺ لمعين بشهادة أو دعا له بدعاء أحب كثير من الناس أن يكون له مثل تلك الشهادة ، ومثل ذلك الدعاء وإن كان النبي ﷺ يشهد بذلك لخلق كثير ويدعو لخلق كثير ، وكان تعيينه لذلك المعين من أعظم فضائله ومناقبه انتهى

قوله : (هو يشتكي عينيه) أي من الرمد كما في صحيح مسلم (فأتي به أرمد) قوله : (فأرسلوا اليه) بقطع الهمزة أمرهم أن يرسلوا إليه . قوله : (بصق) أي تفل . قوله : (فبرأ) بفتح

عَينيه ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الرايةَ ، فقال : انْفُذْ على رِسْلِك حتى تنزلَ بساحتهم . ثم ادْعُهم إلى الإسلام ، وأخبرْهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لَأَنْ يَهدىَ اللهُ بك رجلاً

الراء والهمزة بوزن ضرب ، ويجوز الكسر بوزن علم أي عوفي في الحال . وعند الطبراني عن علي : فما رمدت ولا صدعت منذ دفع إليّ رسول الله ﷺ الراية .

قوله : (انفذ) بضم الفاء و (رسلك) بكسر الراء وسكون السين المهملة أي امض لوجهك على رفقك ولينك من غير عجلة ، وساحتهم ما حول أرضهم .

قوله : (ثم ادعهم إلى الإسلام) أي الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله . ومن هذا الوجه طابق الحديث الترجمة ، وفيه أن الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله المراد بها الدعوة إلى الاخلاص فيه وترك الشرك وإلا فاليهود يقولونها ، ولم يفرق النبي ﷺ في الدعوة اليها بينهم وبين من لا يقولها من مشركي العرب .

قوله : (وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه) أي في الإسلام كالصلاة والزكاة وغيرهما (فان أجابوا إلى ذلك

واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النَّعَمْ » .

يَدُوكُون : أى يخوضون .

***

فقد أجابوا إلى الإسلام) وإن امتنعوا عن شيء من ذلك فالقتال باقٍ بحاله ، فتبين أن النطق بالشهادتين دليل على العصمة لا أنه عصمة أو يقال هو العصمة لكن بشرط العمل . قوله : (فوالله لأن يهدي الله) بفتح اللام والهمزة . وحُمر بضم الحاء المهملة وسكون الميم (والنعم) بفتح النون والعين المهملة أي هداية رجل على يديك خير لك من أن يكون لك الإبل الحمر جميعها وهي أنفس أموال العرب وكانوا يضربون بها المثل .

***

فيه مسائل

الأولى : أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه ﷺ .

الثانية : التنبيه على الاخلاص ، لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه .

الثالثة : أن البصيرة من الفرائض .

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد : كونه تنزيه الله تعالى

عن المسبة .

الخامسة : أن من قبح الشرك كونه مسبَّة لله .

السادسة : وهي من أهمها ، إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك .

السابعة : كون التوحيد أول واجب .

الثامنة : أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة .

التاسعة : أن معنى « أن يوحدوا الله » معنى شهادة أن لا إله إلا الله .

العاشرة : أن الانسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها ، أو يعرفها ولا يعمل بها .

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج .

الثانية عشرة :البداءة بالأهم فالأهم .

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة .

الرابعة عشرة : كشف العالم الشبهة عن المتعلم .

الخامسة عشرة : النهي عن كرائم الأموال .

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم .

السابعةعشرة : الاخبار بأنها لا تحجب .

الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء .

التاسعة عشرة : قوله « لأعطين الراية » إلخ ، علم من

أعلام النبوة .

العشرون : تفله في عينيه علم من أعلامها أيضاً .

الحادية والعشرون : فضيلة علي رضي الله عنه .

الثانية والعشرون : فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح .

الثالثة والعشرون : الايمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى .

الرابعة والعشرون : الأدب في قوله « على رسلك » .

الخامسة والعشرون : الدعوة إلى الاسلام قبل القتال .

السادسة والعشرون : أنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا .

السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة لقوله « أخبرهم بما يجب عليهم » .

الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله تعالى في الاسلام .

التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد .

الثلاثون : الحلف على الفتيا .

* * *

٦ - باب
تفسير التوحيد وشهادةِ أن لا إله إلا الله

وقولِ الله تعالى : ﴿ أُولئك الذين يَدْعون يبتغون إلى ربهم الوسيلةَ أَيُّهم أقرب ﴾ الآية . وقولِه : ﴿ وإذْ

---
* * *

التوحيد هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله .. قوله : وقول الله تعالى ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ الآية : روى البخاري عن ابن مسعود كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم ؛ وقال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : عيسى وأمه وعُزير والشمس والقمر ، وقال مجاهد : عيسى وعُزير والملائكة . قال شيخ الإسلام وهذه الأقوال كلها حق فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابداً لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو البشر ، والسلف يذكرون في تفسيرهم جنس المراد بالآية على نوع التمثيل كما يقول الترجمان لمن سأله ما معنى لفظ الخبز ، فيريه رغيفاً . فيقول « هذا » : فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه ، وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع مع شمول الآية للنوعين ، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعواً ، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه اهـ .

قال إبْرٰهيمُ لأبيه وقومِه إنني بَرَاءٌ مما تعبدون إلا الذي فطَرَني ﴾ الآية . وقولِه : ﴿ اتَّخَذُوا أحبارَهم ورهبانهم أربابًا من دون اللهِ ﴾ الآية . وقولِه : ﴿ ومن الناسِ مَن يتخذ من دون اللهِ أندادًا يحبونهم كحب الله ﴾ الآية .

* * *

فالتوحيد هو ترك ما عليه المشـركون من عبـادة الملائـكة والأنبياء والأولياء والصالحين .

قوله : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾[1] الأحبار العلماء والرهبان العباد أي اتخذوا علماءهم وعُبادهم أرباباً من دون الله في اتباعهم في تحريم ما أحلّ الله وتحليل ما حرم ، وقد دخل عدي بن حاتم على رسول الله ﷺ فسمعه يقرأ هذه الآية قال : فقلت إنهم لم يعبدوهم ، قال : بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم ، رواه أحمد والترمذي وحسنه ، قال الشارح : ومراد المصنف في إيراد هذه الآية هنا أن الطاعة في تحريم الحلال وتحليل الحرام من العبادة المنفية عن غير الله .

قوله : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبّ الله ﴾ قال المصنف : ذكر الله أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ، ولم يدخلهـم في

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣١ .

في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « مَن قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرُم ماله ودمُه . وحسابُه على الله عز وجل » .

***

الإسلام ؛ فكيف بمن أحبّ الندّ حباً أكبر من حب الله ؛ فكيف بمن أحب الند وحده ولم يحب الله ؟ قال الشارح : مراده أن معنى التوحيد هو إفراد الله بأصل الحب الذي يستلزم إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، ويأتي معنى الآية في بابها إن شاء الله .

قوله : (في الصحيح) أي صحيح مسلم ، قوله : « من قال لا إله إلا الله » الحديث ، قال المصنف رحمه الله : هذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فانه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع التلفظ بها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله ، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ولا دمه ، فيالها من مسألة ما أجلها ، ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع . قوله : (وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب) يعني أن ما بعد هذه الترجمة من الأبواب شرح للتوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ببيان ضده ، فقد قيل : فبضدها تتبين الأشياء ، فلا بد في معرفة التوحيد من معرفة ضده .

***

فيه مسائل

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب فيه أكبر المسائل وأهمها ، وهو تفسير التوحيد وتفسير الشهادة ، وبيَّنها بأمور واضحة منها:

آية الإسراء، بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ، ففيها بيان أن هذا هو الشرْك الأكبر . ومنها آية براءة ، بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً ، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه : طاعة العلماء والعُبَّاد في غير المعصية ، لا دعاؤهم إياهم . ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿ إنني براءٌ مما تعبدون إلا الذي فطرني ﴾ فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي شهادة أن لا إله إلا الله ، فقال : ﴿ وَجَعَلَها كلمةً باقيةً في عَقِبه لعلهم يرجعون ﴾ . ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم : ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ولم يدخلهم في الإسلام . فكيف بمن أحب النِّدَّ أكبر من حب الله ؟ فكيف بمن لم يحب إلا الندَّ وحده ، ولم يحب الله ؟ ! ومنها قوله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله

٧ ـ باب
مِن الشِّرك لُبسُ الحَلْقةِ والخَيط ونحوهما لرفع البلاءِ أو دفعهِ

وقول الله تعالى : ﴿ قل أفرأَيتم ما تدعون من دون اللهِ إن أرادنِيَ الله بضُرٍّ هل هن كاشفاتُ ضره ﴾ الآية .

***

قوله : (ونحوهما) كالودعة والخرز والمسمار ، ورفع البلاء إزالته بعد نزوله ، ودفعه منعه قبلهُ قوله : ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرّ هل هنّ كاشفات

وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله » . وهذان من أعظم ما يبين معنى « لا إله إلا الله » . فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده ولا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه ، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها ، ويا له من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع .

عن عِمرانَ بنَ حُصَيْن رضى الله عنه : أن النبي ﷺ رأى رجلاً فى يده حَلْقةٌ من صُفْر ، فقال : ما هذه ؟

* * *

ضرّه ﴾[1] الآية . قال الشارح : أمر الله نبيّه أن يقول للمشركين (قل أرأيتم) أي أخبروني عما تدعون من دون الله من الأنداد والآلهة (إن أرادني الله بضر) أي مرض أو فقر أو بلاء أو شدة ﴿ هل هن كاشفات ضره ﴾ أي لا يقدرون على ذلك أصلاً ﴿ أو أرادني برحمة ﴾ أي صحة وعافية وخير ﴿ هل هن ممسكات رحمته ﴾ قال مقاتل : فسألهم النبي ﷺ فسكتوا لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها بل يعلمون أن ذلك لله وحده كما قال تعالى : ﴿ ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴾ وقد دخل في هذا كل من دُعي من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين ، فضلاً عن غيرهم ، فلا يقدر أحد منهم على كشف ضر ولا إمساك رحمة ، فبطلت عبادتهم ، وبطلان دعوة الآلهة والأصنام أبطل وأبطل ، ولبس الحلقة والخيط كذلك ، فهذا وجه استدلال المصنف رحمه الله بالآية وإن كانت الترجمة في الأصغر ، فإن السلف يستدلون بما نزل في الأكبر على الأصغر ، اهـ ملخصاً .

قوله : (إنه رأى رجلاً) المبهم هو عمران بن حصين راوي

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣٨ .

قال : من الواهنة . فقال : انْزِعْها فإنها لا تزيدك إلا وَهْنًا . فإنك لو مُتَّ وهي عليك ما أفْلَحْت أبدًا »
رواه أحمد بسند لا بأس به . وله عن عُقْبة بن عامر مرفوعًا : « مَن تعلَّق تَمِيمَةً فلا أتمَّ الله له . ومن تَعلق ودَعةً فلا وَدَعَ اللهُ له » . وفي روايةٍ : « مَن تعلَّق تَميمةً فقد أشرك » . ولابن أبي حاتم عن حُذيفة : « أنه رأى رجلاً في يده خَيطٌ من الحُمَّى . فقطعه . وتلا قولَه :

الحديث كما رواه الحاكم . « دخلت على رسول الله ﷺ وفي يدي حلقة صفر » قوله : (من الواهنة) عِرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها قيل إنه لا يأخذ إلا الرجال . قوله : « ما أفلحت أبدا » قال المصنف : فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر الكبائر ، قوله : (فلا أتم الله له) أي لا أتم له أمره ، والودعة بفتح الواو وسكون الدال المهملة . قوله : « فلا ودع الله له » بتخفيف الدال أي لا جعله في دعة وسكون ، وقيل أي لا خفَّف الله عنه ما يخافه .

قوله : (رأى رجلاً في يده خيط من الحمى) روى وكيع عن حذيفة أنه دخل على مريض يعوده فلمس عضده فإذا فيه خيط فقال ما هذا ؟ قال شيء رقى لي فيه ، فقطعة وقال : لو مت

﴿ وما يؤمن أكثرُهم بالله إلا وهم مشـركون ﴾ » .

* * *

وهو عليك ما صلّيت عليك .

قوله : ﴿ وما يؤمن أكثرهـم بالله إلا وهـم مشـركون ﴾[1]
استدل بما نزل في الأكبر على الأصغر لأنه قسم منه ، ومعنى الآية أن الله أخبر عن المشركين أنهم يقرّون بتوحيد الربـوبية فذلك إيمانهم ، ويشركون في الإلهية فذلك شركهم .

* * *

فيه مسائل

الأولى : التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك .

الثانية : أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح ، فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر .

الثالثة : أنه لم يعذر بالجهالة .

الرابعة : أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر ، لقوله « لا تزيدك إلا وهناً » .

الخامسة : الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك .

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ١٠٦ .

السادسة : التصريح بأن من علَّق شيئاً وُكلَ إليه .

السابعة : التصريح بأن من علَّق تميمة فقد أشرك .

الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك .

التاسعة : تلاوة حُذيفَـة الآية دليل على أن الصحابـة يستدلون بالآيات التي في الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة .

العاشرة : أن تعليق الودع من العين من ذلك .

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له . أي لا ترك الله له .

* * *

٨ ـ باب
ما جاء فى الرُّقَى والتَّمائمِ

فى الصحيحِ عن أبى بَشيرٍ الأنصارى رضى الله عنه : « أنه كان مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً أن لا يَبقَيَنَّ فى رقبةِ بعيرٍ قلادةٌ من وَتَرٍ ، أو قلادة إلا قُطِعَتْ » . وعن ابن مسعودٍ رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن

---- *** ----

قوله : (عن أبي بشير) بفتح الموحدة وكسر المعجمة . قوله : فأرسل رسولاً هو زيد بن حارثة . قوله : (أن لا يبقين) هو بفتح المثناة التحتية والقاف ، وفي رواية (لا تبقين) بحذف أن والمثناة الفوقية والقاف ، وله : (قلادة) بالرفع على الفاعلية (والوتر) بفتح الواو والتاء وأحد أوتار القوس قوله : (أو قلادة) شك الراوي هل قال شيخه قلادة من وتر أو أطلق فلم يذكر الوتر قال أبو عبيد : كانوا يقلدون الإبل الأوتار لئلا تصيبها العين ، فأمرهم النبي ﷺ بإزالتها إعلاماً لهم أن الأوتار لا ترد شيئاً .

قوله : « عن ابن مسعود » لفظ أبي داود عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود ان عبد الله رأى في عنقي خيطاً فقال: ما هذا؟ قلت

الرُّقَى والتَّمائمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ » رواه أحمد وأبو داودَ .

* * *

خيط رقي لي فيه قالت : فأخذه فقطعه ثم قال : أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرقى والتمائم والتولة شرك ، فقلت : لم تَقول هكذا ؟ لقد كانت عيني تقذف وكنت اختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقاها سكنت ، فقال عبد الله : إنما ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقى كف عنها . إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول : « أذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي لاشفاء إلا شفاءك ، شفاء لا يغادر سقماً». رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح وأقره الذهبي .

قوله : « إن الرقى » قال المصنف هي التي تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة ، وقال الخطابي : وكان عليه السلام قد رقى ورُقي وأمر بها وأجازها ، فإذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله فهي مباحة أو مأمور بها ، وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب فإنه ربما كان كفراً أو قولاً يدخله الشرك . وقال شيخ الاسلام : كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقى به فضلاً عن ان يدعو به ولو عرف معناه لأنه يكره الدعاء بغير العربية وإنما يرخص لمن لا يحسن العربية ، فأما جعل الألفاظ العجمية شعاراً فليس من دين الإسلام .

وعن عبد الله بن عُكَيْمٍ مرفوعًا : « مَن تعلّق شيئًا وُكِلَ إليهِ » . رواه أحمد والتِّرمِذى . « التَّمائمُ » : شىءٌ يُعَلَّقُ على الأولاد يتّقونَ به العَيْنَ ، لكن إذا كان المُعلَّقُ من القرآن فرخّص فيه بعضُ السَّلَف ، وبعضهم لم يرخِّص فيه ، ويجعلُه من المنهيِّ عنه ، منهم ابن مسعودٍ رضى الله عنه . و« الرُّقَى » : هى التى تسمى العزائم ، وخَصَّ منها الدليل ما خَلَا من الشِّرْكِ . فقد رخَّص فيه رسول الله ﷺ من العَيْن والحُمَةِ . و« التِّوَلَةُ » :

قوله : (والتمائم) قال المصنف شيء يعلق على الأولاد عن العين لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود انتهى ، قوله : (والتولة) قال المصنف : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته وبهذا فسره ابن مسعود راوي الحديث ، وهو بكسر المثناة الفوقية وفتح الواو واللام قوله : « شرك » لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة ، وطلبوا دفع الأذى من غير الله فأبطله الإسلام.

قوله : « عن عبد الله بن عكيم » بضم العين المهملة وفتح الكاف مصغر يكنى أبا معبد الجهني ، قال البخاري : أدرك زمن النبي ﷺ ولم يعرف له سماع صحيح . قوله : « من تعلق

هي شيءٌ يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته . وروى أحمد عن رُوَيْفِعٍ ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا رُوَيْفِعُ ، لعل الحياة تطول بك ، فأخبِرِ الناسَ أن مَن عَقَدَ لِحْيته ، أو تقلَّد وَتَرًا ، أو استنجى برجيعِ دابَّةٍ أو عَظْمٍ . فإن

* * *

شيئاً » التعلق يكون بالقلب وبالفعل وبهما فمن تعلقت نفسه بالله وأنزل حوائجه به كفاه كل مؤنة وقرّب له كل بعيد ويسَّر له كل عسير ، ومن تعلقت نفسه بغيره وكَّله الله إلى ذلك الغير وخذله ، وقد روى أحمد عن عطاء الخراساني قال : لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت فقلت له : حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز ، قال : نعم أوحى الله إلى داود يا داود أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبد من عبيدي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له من بينهن مخرجاً ، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبيدي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء من يده وأسخت الأرض من تحت قدميه ، ثم لا أبالي بأي وادٍ هلك .

قوله : « إن من عقد لحيته » قيل كانوا يفعلون ذلك في الحرب تكبراً وهو يشبه فعل الأعاجم ، وقيل : بل هو معالجة

محمدًا بريءٌ منه » . وعن سعيد بن جُبَير قال : « مَن قَطَعَ تَمِيمَةً مِن إنسان كان كَعَدْل رَقَبةٍ » . رواه وَكيع . وله عن إبراهيم ، قال : كانوا يكرهون التَّمائم كلَّها من القرآن وغيرِ القرآن .

الشعر ليتجعد ويتعقد ، وهذا من فعل أهل التأنيث ، وقال : ابن العراقي الأولى حمل النهي على حالة الصلاة لأنه كف للشعر وزيادة اهـ ملخصاً . قوله « أو تقلد وتراً » هو مقصود الترجمة من الحديث وتقدم . قوله : « أو استنجى برجيع دابـة » أي روث ، الاستنجاء بالرجيع والعظام حرام للأحاديث في ذلك لأنه زاد الجن ودوابهم ، وهل يجزئ الاستنجاء بهما أم لا ؟ قولان اختار الشيخ الأول ، وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ نهى أن يستنجى بعظم أو روث وقال : إنهما لا يطهران . قال الشارح : إسناده جيد .

قوله : « وعن سعيد بن جبير » إلى آخره ، قال الشارح : هذا عند أهل العلم له حكم الرفع لأن مثل هذا لا يُقـال بالـرأي ، فيكون على هذا مرسلاً انتهى ، وظاهره أن هذا متفق عليه ، وهذا الحكم عندهم لما أتى عن الصحابة على أن فيه خلافاً أما ما جاء عن التابعين من هذا فلم يقل بذلك إلا قليل ، ولا نقول على رسول الله ما لم نعلم أنه قاله ، ولهذا لم يذكره السخاوي إلا عن ابن العربي : قال في شرح الألفية : وقد ألحق ابـن العربـي

بالصحابة في ذلك ما يجيء عن التابعين مما لا مجال للاجتهاد فيه ، فنصّ على أنه يكون في حكم المرفوع ، وادعى أنه مذهب مالك ا هـ . وفيه فضيلة قطع التمائم لأنها من الشرك .

قوله : كانوا يكرهون التمائم مراده بذلك أصحاب عبد الله بن مسعود كعلقمة والأسود وأبي وائل والحارث بن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع بن خيثم وسويد بن غفلة وغيرهم ، وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير الرقى والتمائم .

الثانية : تفسير التولة .

الثالثة : أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .

الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك .

الخامسة : أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف

العلماء هل هي من ذلك أم لا ؟

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدوابّ من العين من ذلك .

السابعة : الوعيد الشديد على من تعلّق وتراً .

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان .

التاسعة : أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف ، لأن مراده أصحاب عبد الله .

***

٩ ـ باب
من تَبَرَّكَ بشجرةٍ أو حَجرٍ ونحوهما

وقولِ الله تعالى : ﴿ أَفرأيتُم اللَّاتَ والعُزَّى ﴾ الآيات .

* * *

* أي كبقعة وغار وعين وقبر وغيرها أي ما حكمه ؟ هل يكون شركاً أم لا ؟ وتبرك أي طلب البركة ورجاها واعتقدها .

قوله : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾[1] قال القرطبي : إن فيها حذفاً تقديره : أفرأيتم هذه الآلهة هل نفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله ؟ وقال غيره : « الثالثة الأخرى » المتأخرة الوضيعة المقدار اهـ .

فأما اللات فقرىء بالتخفيف والتشديد ، فعلى الأولى قال ابن كثير : كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء عظيم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون به على من عداهم من العرب بعد قريش . قال ابن هشام وكانت في موضع مسجد الطائف الأيسر فلم يزل كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار ؛ وعلى الثانية قال : قال ابن عباس كان

(١) سورة النجم ، الآية : ١٩ .

* * *

رجل يلت السويق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره ، ذكره البخاري ، وعن ابن عباس أيضاً كان يبيع السويق والسمن عند الصخرة ويسلؤه عليها فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة ، إعظاماً لصاحب السويق . فإذا كانت عبادة الصخرة لأجل صاحب السويق فلا تخالف بين القولين ، فمن قال أنها صخرة أو بنية لم ينكر أن يكونا على القبر .

وأما العزى فروى النسائي وابن مردويه أنها كانت ثلاث سمرات عليها بيت بوادي نخلة ، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث إليها خالد بن الوليد فقطع الشجرة وهدم البيت ، فلما رجع إلى النبي ﷺ قال ارجع فإنك لم تصنع شيئاً ، فلما رجع وجد امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على وجهها فقتلها فقال النبي ﷺ : تلك العزى . مختصر .

وقال ابن جرير : كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد ، وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج تعظمها ويهلون للحج منها . قال ابن هشام : فبعث رسول الله ﷺ علياً فهدمها يوم الفتح ا هـ . وقيل : كانت أكمة ولا يبعد أن يكون البناء فوقها ؛ وسميت مناة من اسم الله المنان . وقيل لكثرة ما يمنى عندها من الدماء أي يراق .

عن أبي واقِدِ اللَّيْثِيِّ قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَيْن ، ونحن حُدَثاءُ عهدٍ بكفرٍ . وللمشركين

* * *

قال الشارح : ووجه مطابقة الآية للترجمة أنه إن كان التبرك بالشجر والحجر والقبور من الشرك الأكبر فواضح ، وإن كان من الأصغر فالسلف يستدلون بما نزل في الأكبر على الأصغر انتهى . وقد وقع في هذه الأزمان من عبادة الأوثان من القبور والأشجار والأحجار والبنايا والتبرك بها والذبح عندها ما هو أعظم وأكثر وأفحش مما فعله المشركون ، وانتشار هذا وظهوره وكثرته تغني عن تعداد بعضه ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحت كلام الله ورسوله .

وقد حدثني من وقف على شجرة بخانوقه أنه وجد عليها أربعة عشر جلداً منشورة عليها مما ذبح عندها ووجد الخِرق وغيرها معلقاً عليها ووجد المرضى عندها يطلبون الشفاء وهي سمرة كالعزى فقطعها ، وكذا عبيل الريان هناك جبل صغير يلقي عليه جهلة البادية اللحم والأقط والسمن ويخاطبونه بحوائجهم وهو شبيه بمناة ، وما يفعله هؤلاء المشركون عند قبور الصالحين أعظم مما يفعل عند اللات .

قوله : (ونحن حدثاء عهد بكفر) أي قريب عهدنا بكفر .

سِدْرة يعكُفون عندها ويَنُوطون بها أسلحتَهم ، يقال لها ذاتُ أنواطٍ . فمررنا بسِدْرةٍ . فقلنا : يا رسول الله . اجعل لنا ذاتَ أنْواطٍ كما لهم ذاتُ أنواط . فقال رسول الله ﷺ : اللهُ أكبرْ . إنها السُّنن . قلتم والذى نفسى بيده كما قالتْ بنُو إسرائيل لموسى : ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . قال : إنَّكم قوْمٌ تجهلون ﴾ لَتَركَبْنَّ سُنَن من كان قبلَكم » . رواه الترمِذيُّ وصحَّحَه .

* * *

ففيه دليل على أن غيرهم لا يجهل ذلك ، قاله المصنف ـ أي من الذين تقدم إسلامهم .

قوله : (ينوطون) بفتح الياء وضم النون أي يعلقون ، قوله : فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط أي شجرة نعلق عليها سلاحنا ونعكف عندها . ظنوا أن هذا محبوب إلى الله ، فبين لهم ﷺ أن هذا نظير قول بني اسرائيل ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ قوله : « الله أكبر » رواية الترمذي « سبحان الله » أي أنزه الله عن أن يتقرب إليه بمثل هذا . والسنن الطرق . قوله : « لتركبن سنن من كان قبلكم » أي ستفعل هذه الأمة ما فعلت الأمم الماضية من الشرك فما دونه ، وتأتي الأحاديث الدالة على ذلك في (باب ما جاء إن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان) إن شاء الله، وقد وقع كما أخبر ففيه الدلالة على أنه رسول الله ﷺ .

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية النجم .

الثانية : معرفة صورة الأمر الذي طلبوا .

الثالثة : كونهم لم يفعلوا .

الرابعة : كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه .

الخامسة : أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل .

السادسة : أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم .

السابعة : أن النبي ﷺ لم يعذرهم ، بل رد عليهم بقوله « الله أكبر إنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم » فغلَّظ الأمر بهذه الثلاث .

الثامنة : الأمر الكبير هو المقصود : أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا إلهاً .

التاسعة : أن نفي هذا من معنى « لا إله إلا الله » مع دقته وخفائه على أُولئك .

العاشرة : أنه حلف على الفتيا ، وهو لا يحلف إلا لمصلحة .

الحادية عشرة : أن الشرك فيه أكبر وأصغر ، لأنهم لم يرتدّوا بهذا .

الثامنة عشرة : قوله : « ونحن حدثاء عهد بكفر » فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك .

الثالثة عشرة : التكبير عند التعجب ، خلافاً لمن كرهه .

الرابعة عشرة : سد الذرائع .

الخامسة عشرة : النهي عن التشبه بأهل الجاهلية .

السادسة عشرة : الغضب عند التعليم .

السابعة عشرة : القاعدة الكلية ، لقوله « إنها السنن » .

الثامنة عشرة : أن هذا عَلَم من أعلام النبوة ، لكونه وقع كما أخبر .

التاسعة عشرة : أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا .

العشرون : أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر ، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر : أمَّا مَنْ ربُّك فواضح . وأما مَنْ نبيُّك فمن إخباره بأنباء الغيب . وأما ما دِينُك فمن قولهم﴿ اجعل لنا ﴾ إلى آخره .

الحادية والعشرون : أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .

١٠ - باب
ما جاء في الذبح لغير الله *

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي ونُسُكِي ، ومَحْيَايَ ومَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَه ﴾ الآية .

***

* أي من الدلالة على أنه حرام وشرك .

قوله ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ﴾ الآية أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغيره ﴿ إن صلاتي ونسكي ﴾ أي ذبحي ﴿ ومحياي ومماتي ﴾ أي ما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح ﴿ لله رب العالمين لا شريك له ﴾ أي في شيء من ذلك ولا في غيره من أنواع العبادة ؛ فالصلاة أجلّ العبادات البدنية ، والنسك أجلّ العبادات المالية ، فمن صلى لغير الله فقد أشرك ، ومن ذبح لغيره فقد أشرك . وقوله : ﴿ وأنا أول المسلمين ﴾ قال قتادة من هذه الأمة .

⇐ **الثانية والعشرون** : أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يُؤْمَنُ أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة ، لقولهم« ونحن حدثاء عهد بكفر» .

وقوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانحَرْ ﴾ .

وعن عليّ رضى الله عنه قال : « حدثنى رسول الله ﷺ بأربعِ كلماتٍ : لَعَنَ اللهُ مَن ذبحَ لغير الله

قوله : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ قال شيخ الإسلام : أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين ، وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته ، عكس حال أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر ، ولهذا جمع بينهما في قوله : ﴿ إن صلاتي ونسكي ﴾ الآية والنسك الذبيحة لله تعالى ابتغاء وجهه فإنهما أجلّ ما يُتقرب به إلى الله ، فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب لأن فعل ذلك سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله من الكوثر ، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها كما عرفه أرباب القلوب الحية ، وما يجتمع له عند النحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص من قوة اليقين وحسن الظن أمر عجيب ؛ وكان ﷺ كثير الصلاة ، كثير النحر . اهـ .

قوله : « لعن الله من ذبح لغير الله » قال النووي : وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح لغير اسم الله كمن يذبح للصنم أو للصليب أو لعيسى أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام ولا تحلّ

* * *

هذه الذبيحة سواء كان هذا الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً ، نص عليه الشافعي ، واتفق عليه أصحابنا ، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفراً ، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً ، وذكر الشيخ إبراهيم المروزي من أصحابنا أن ما يذبح عند استقبال السلطان تقرباً إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه لأنه مما أُهلّ به لغير الله تعالى ، أملاه علي شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن : وقال شيخ الإسلام في قوله تعالى ﴿ وما أُهل به لغير الله ﴾[1] ظاهره أنه ما ذبح لغير الله مثلُ أن يقول هذا ذبيحة لكذا ، وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله ، فإن عبادة الله بالصلاة والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور ، فكذلك الشرك بالصلاة لغيره والنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور ؛ فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح والزهرة فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزهرة أو قصد به ذلك أولى ، فإن العبادة لغير الله أعظم كفراً من الإستعانة بغير الله ، وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقرّباً به إليه لحرم وإن قال فيه باسم الله .

(١) سورة البقرة الآية : ١٧٣ .

لَعنَ اللهُ مَن لَعنَ والِدَيْه ، لَعنَ اللهُ مَن آوى مُحْدِثًا . لَعنَ اللهُ مَن غيَّرَ مَنارَ الأرضِ » رواه مسلم . وعن طارقِ ابنِ شِهابٍ أن رسول الله ﷺ قال : « دخلَ الجنة رجُلٌ فى ذُبابٍ ، ودخلَ النارَ رجلٌ فى ذُبابٍ ، قالوا : وكيف ذلك يا رسولَ الله ؟ قال : مَرَّ رجُلانِ على قومٍ لهم صَنمٌ لا يجوزُهُ أحَدٌ حتى يُقَرِّبَ له شيئًا ، فقالوا لأحدهما : قَرِّبْ ، قال : ليس عندى شيءٌ أُقَرِّبُ ، قالوا له : قَرِّبْ ولو ذُبابًا ، فقَرَّبَ ذُبابًا ، فَخلَّوْا سبيلَه ،

قوله : « لعن الله من لعن والديه » قال بعضهم أباه وأمه وإن عليا وفسره النبي ﷺ بأن يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه ، قوله : « لعن الله من آوى محدثاً » أي ضمه إليه وحماه ، يروى بفتح الدال وكسرها قوله : « لعن الله من غيّر منار الأرض » قال المصنف رحمه الله : هي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك فتغيرها بتقديم أو تأخير ، وفيه جواز لعن أنواع الفساق عموماً ، فأما لعن الفاسق المعين فقيل يجوز واختاره ابن الجوزي ، وقيل لا يجوز ، واختاره شيخ الإسلام .

قوله : « في ذباب » أي من أجله وبسببه . قوله : فدخل النار قال المصنف : وفيه أن الذي دخل النار مسلم ، لأنه لو كان كافراً

فدخلَ النار. وقالوا للآخر: قَرِّبْ، فقال: ما كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شيئًا دون الله عز وجل، فضَرَبوا عُنُقَهُ، فدخل الجنةَ». رواه أحمد.

***

لم يقل «دخل النار في ذباب» قوله: فضربوا عنقه، قال المصنف: وفيه معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر.

***

فيه مسائل

الأولى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي﴾

الثانية: تفسير ﴿فصلِّ لربك وانحر﴾.

الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة: لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدَيِ الرجلِ فيلعن والديك.

الخامسة: لعن من آوى محدِثاً، وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق الله، فيلتجيء إلى من يجيره من ذلك.

السادسة: لعن من غيَّر مَنارَ الأرض، وهي المراسيم التي

تفرق بين حقك من الأرض وحق جارك ، فتغيرها بتقديم أو تأخير .

السابعة : الفرق بين لعن المعيَّن ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم .

الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهِي قصة الذباب .

التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده ، بل فعله تخلصاً من شرهم .

العاشرة : معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين ، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر .

الحادية عشرة : أن الذي دخل النار مسلم ، لأنه لو كان كافراً لم يقل دخل النار في ذباب .

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح : « الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك » .

الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان .

* * *

١١ - باب

لا يُذْبحُ للهِ بمكانٍ يُذْبحُ فيه لغيرِ الله *

وقولِ الله تعالى ﴿ لا تَقُمْ فيه أبدًا ﴾ الآية .

عن ثابت بن الضَّحَّاكِ رضى الله عنه قال : « نَذَرَ رجلٌ أن يَنْحَرَ إبلاً ببُوَانةَ ، فسأل النبيَّ ﷺ ، فقال :

---

* أي أن ذلك لا يجوز . قوله : ﴿ لا تقم فيه أبداً ﴾ وجه الدلالة من الآية على الترجمة إن الله نهى رسوله أن يقوم في مسجد الضرار لأنه أُسس على هذه المقاصد الخبيثة مع أنه لا يقوم إلا لله ، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله لا يذبح فيها الموحد لله لأنها قد أسست على معصية الله والشرك به ، قال جماعة من السلف : المسجد الذي أُسس على التقوى مسجد قباء منهم ابن عباس وعروة بن الزبير وعطية العوفي والشعبي والحسن وغيرهم ، وقال عمر وابنه وزيد بن ثابت وجماعة : هو مسجد رسول الله ﷺ . قال ابن كثير : ولا منافاة لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى . اهـ ملخصاً .

وقوله : ﴿ والله يحب المطهرين ﴾ قال أبو العالية : إن

هل كان فيها وَثَنٌ من أوثانِ الجاهليَّة يُعْبَدُ؟ قالوا :

* * *

الطهور بالماء لحسن ولكنهم المتطهرون من الذنوب . قوله : « ببوانة » بضم الباء وقيل بفتحها قال البغوي : موضع في أسفل مكة دون يلملم ، وقال أبو السعادات : هضبة من وراء ينبع . قوله : « هل كان فيها وثن » قال الشارح : الصحيح في الفرق بين الوثن والصنم أن الصنم ما له صورة والوثن ما ليس له صورة ؛ وقد جاء عن السلف ما يدل عليه . قوله : (فهل كان فيها عيد من أعيادهم) قال شيخ الإسلام : العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك ، والمراد به هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية ، فالعيد يجمع أموراً منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة ومنها اجتماع فيه ، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات ، وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقاً ، وكل من هذه الأمور قد يسمى عيداً فالزمان كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة « إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً » والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس شهدت العيد مع رسول الله ﷺ ، والمكان كقوله : « لا تتخذوا قبري عيداً » وقد يكون لفظ العيد اسماً لمجموع اليوم والعمل فيه ، وهذا هو الغالب كقول النبي ﷺ « دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً » انتهى .

لا ، قال : فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم ؟ قالوا : لا ، فقال رسول الله ﷺ : أَوْفِ بِنذرِك ، فإنه لا وَفاءَ لِنذْرٍ فى معصيةِ الله ، ولا فيما لا يَملِكُ ابنُ آدم » رواه أبو داود ، وإسنادُه على شرطِهما .

***

قوله : (فأوف بنذرك) هذا يدل على أن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغيره أو في محل أعيادهم معصية ، لأن قوله : فأوْفِ بنذرك تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء وذلك يدل على أن الوصف سبب الحكم فيكون سبب الأمر بالوفاء وجود النذر خالياً عن هذين الوصفين ، فيكونان مانعين من الوفاء ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به لأنه عقبه بقوله : « فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله » فدل على أن الصورة المسئول عنها مندرجة في هذا اللفظ العام ، لأن العام إذا ورد على سبب فلا بد أن يكون السبب مندرجاً فيه ، ولأنه لو كان الذبح فيما ذكر جائزاً لسوّغ ﷺ للناذر الوفاء به كما سوغ لمن نذرت الضرب بالدف أن تضرب به ، ولأنه عليه السلام استفصل فلما قالوا لا قال له (فأوف بنذرك) وهذا يقتضي أن كون البقعة مكاناً لعيدهم أو بها وثن من أوثانهم مانعاً من الذبح بها وإن نذر وإلا لم يحسن الاستفصال ، هذا معنى كلام شيخ الإسلام .

قوله : (فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله) دليل على تحريم

* * *

الوفاء بنذر المعصية ، ولكن هل فيه كفارة يمين أم لا ؟ الصحيح الأول للحديث الدال عليه ، هذا معنى كلام الشارح ـ قوله : (ولا فيما لا يملك ابن آدم) أي إذا نذر معيناً لا يملكه كإن شفى الله مريضي فلله عليّ أن أعتق عبد فلان فأما لو قال فلله عليّ عتق عبد صح فإذا شفي مريضه وجب عليه عتق رقبة .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير قوله : ﴿ لا تقم فيه أبداً ﴾ .

الثانية : أن المعصية قد تؤثر في الأرض ، وكذلك الطاعة .

الثالثة : رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال .

الرابعة : استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك .

الخامسة : أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع .

السادسة : المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله .

السابعة : المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد

زواله .

الثامنة : أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة ، لأنه نذر معصية .

التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ، ولو لم يقصده .

العاشرة : لا نذر في معصية .

الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

* * *

١٢ ـ باب
من الشِّرْكِ النَّذْرُ لغيرِ الله

وقول الله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ . وقوله : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ ﴾ .

* * *

لقوله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ﴾ قال الشارح : وجه الدلالة من الآية أن الله مدح الموفين بالنذر والله لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب أو ترك محرم ، وذلك هو العبادة فمن فعل ذلك لغير الله متقرباً به إليه فقد أشرك . قوله : ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ﴾[١] وجه الدلالة من الآية على الترجمة أن الله أخبر أن ما أنفقناه من نفقة أو نذرناه من نذر متقربين به إليه أنه يعلمه ويجازينا عليه ، فدل ذلك على أنه عبادة فمن صرفها لغير الله فقد أشرك ، قال الشارح وقال شيخ الإسلام : وأما نذره لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات ، والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة ، وكذلك الناذر للمخلوق ليس عليه وفاء ، فإن كلاهما شرك والشرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر الله من هذا العقد ويقول ما قال النبي ﷺ « من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله » .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٠ .

وفى الصحيح عن عائشةَ رضى اللهُ عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ نَذَرَ أن يُطِيعَ اللهَ فلْيُطِعْهُ ، ومَنْ نَذَرَ أن يَعصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِه » .

* * *

قوله : « من نذر أن يطيع الله فليطعه » أي يجب عليه الوفاء بنذر الطاعة كما تقدم أحاديث تتعلق بالباب .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين » رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ « كفارة النذر إن لم يسمّ كفارة يمين » رواه مسلم وابن أبي شيبة والأربعة وعن ابن عمر أن النبي ﷺ نهى عن النذر ، وقال « إنه لا يأت بخير وإنما يستخرج به من البخيل » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، وعن أنس أن النبي ﷺ رأى شيخاً يهادي بين ابنيه فقال : « ما بال هذا فقالوا نذر أن يمشي إلى الكعبة فقال إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني » وأمره أن يركب رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي . وروى مسلم من حديث حذيفة نحوه . وعن عقبة بن عامر قال : نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله حافية فأمرتني أن أستفتي لها رسول الله ﷺ فاستفتيته فقال « لتمش ولتركب » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي .

فيه مسائل

الأولى : وجوب الوفاء بالنذر .

الثانية : إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك .

الثالثة : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

* * *

١٣ـ باب
من الشِّرْكِ الاستعاذةُ بغيرِ الله

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ .

***

الاستعاذة الالتجاء والاعتصام والتحرز ، وذلك من أعظم أنواع العبادة ، فمن فعله لغير الله فقد أشرك . قوله : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ﴾ الآية . قال الشارح : وجه الدلالة من الآية أن الله حكى عن مؤمني الجن أنهم لما تبين لهم دين رسول الله ﷺ وآمنوا به ذكروا أشياء من الشرك كانوا يفعلونها في الجاهلية من جملتها الاستعاذة بغير الله . قوله : ﴿ فزادوهم رَهَقاً ﴾ قيل فزاد الإنس الجن تكبراً وإثماً وطغياناً وشراً ، وقيل فزاد الجن الإنس إغواءً وإضلالاً ، ولا يبعد أن تشمل الآية ذلك فإن الجن ازدادوا إثماً وتكبراً وطغياناً ، والإنس ازدادوا إغواءً وإضلالاً ؛ فكان أهل الجاهلية إذا هبطوا وادياً قالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، فَعَلَّمَ رسول الله ﷺ المسلمين أن يقول أحدهم إذا نزل منزلاً « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » التامات أي الكاملات اللاتي لا يلحقهن عيب ولانقص كما يلحق كلام البشر ، وقيل الكافية الشافية ، وقيل الكلمات هنا هي القرآن ، فإن الله قد أخبر

وعن خَوْلَةَ بنتِ حكيم قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فقال : أعُوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ ، لم يَضُرَّهُ شيءٌ حتى يَرْحَلَ مِن منزِله ذلك » رواه مسلمٌ .

* * *

عنه بأنه هدى وشفاء قاله القرطبي ، وقال شيخ الإسلام : وقد نص الأئمة على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق . وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق . قالوا لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك قوله : ﴿ من شر ما خلق ﴾ أي من شر كل مخلوق فيه شر لا من شر كل ما خلقه الله ، فإن الجنة والملائكة والأنبياء ليس فيهم شر . هذا معنى كلام ابن القيم . قال : والشر يقال على الألم وعلى ما يفضي إليه . قوله « لم يضره شيء » قال المصنف : فيه فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية الجن .

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث ، لأن العلماء

١٤ - باب
من الشِّرْكِ أن يستغيثَ بغير الله أو يدعوَ غيره*

* * *

* قال شيخ الإسلام : الاستغاثة هي طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة انتهى فهي دعاء المكروب والدعاء أعم منها لأنه يكون من المكروب وغيره والدعاء نوعان : دعاء مسئلة ودعاء عبادة ، فدعاء المسئلة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر ، فالمعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر ، ولهذا أنكر الله على من عبد من دونه ما لا يملك نفعاً ولا ضراً وهذا مراد المصنف .

وأما دعاء العبادة فهو عبادة الله بأنواع العبادات من الصلاة والزكاة والذبح وغيرها خوفاً وطمعاً يرجو رحمته ويخاف عذابه وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب ؛ وهما متلازمان ، فكل دعاء عبادة فهو مستلزم لدعاء المسئلة وكل دعاء مسئلة فهو

= يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

الخامسة : أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية ، من كف شر أو جلب نفع ، لا يدل على أنه ليس من الشرك .

وقولِ اللهِ : ﴿ولا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكَ ولا يَضُرُّك ، فإنْ فعَلْتَ فإنَّكَ إذًا مِنَ الظَّالمين . وَإنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إلَّا هُوَ﴾ الآية . وقوله :

* * *

متضمن لدعاء العبادة ويراد به في القرآن هذا تارة ، وهذا تارة ، ويراد به مجموعهما ، وقد فسر قوله تعالى : ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ بالنوعين قيل اعبدوني وامتثلوا أمري أستجب لكم . وقيل سلوني أعطكم . وقد أجمع العلماء على أن من صرف شيئاً من نوعي الدعاء لغير الله فقد أشرك ولو قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وصلى وصام وزعم أنه مسلم ..

قوله : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴾[(١)] نهى رسول الله ﷺ أن يدعو من هذه صفته أي ما لا ينفع ولا يضر ، وهذا أمر مشترك بين جميع المخلوقين لا يقدر أحد منهم على نفع ولا ضر من دون الله فلا تصح العبادة إلا لمن يملك النفع والضر وهو الله وحده ولهذا قال ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ﴾[(٢)] فطلب كشفه من غيره عناء وضلال ﴿ وإن يردك بخير فلا رادَّ لفضله ﴾[(٣)] وأما قوله ﴿ فإنك إذاً من الظالمين ﴾ أي إن دعوت غيره فأنت من المشركين لقوله

---

(١) سورة يونس ، الآية : ١٠٦ .

(٢) و (٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٧ .

﴿ فابْتَغُوا عندَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إلى يَوْمِ الْقِيَامَة ﴾ الآيتين .

* * *

﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ وهذا كقوله ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنَّ عملك ولتكوننَّ من الخاسرين ﴾ وقوله ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾.

قوله : ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾ قال ابن كثير : لا عند غيره لأنه المالك له ، وغيره لا يملك شيئاً من ذلك ﴿واعبدوه﴾ أي أخلصوا له العبادة وحده لا شريك له ﴿واشكروا له﴾ أي على ما أنعم به عليكم ﴿وإليه ترجعون﴾ أي فيجازي كل عامل بعمله .

قوله : ﴿ ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ﴾ الآية . قال المصنف فيه مسائل:

(أحدها) ، أنه لا أضل ممن دعا غير الله (الثانية) : أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه (الثالثة) : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو الداعي وعداوته له (الرابعة) : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو (الخامسة) : كفر المدعو بتلك العبادة (السادسة) : إن هذه الأمور هي سبب كونه أضل الناس .

وقوله : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ .

ورَوى الطبرانيُّ بإسناده : « أنه كان فى زمن النبى ﷺ منافقٌ يُؤْذِى المؤمنين ، فقال بعضُهم : قوموا بنَا نَسْتغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافقِ ، فقال النبيُّ ﷺ : إنه لا يُسْتغاثُ بى ، وإنما يُسْتغاثُ بالله » .

* * *

قوله ﴿ أمّنْ يُجيب المضطر إذا دعاه ﴾[1] الآية يقرر تعالى إلهيته بربوبيته لأن المشركين يعلمون أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله ، ولهذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين . أي إذا كنتم تقرون بذلك فكيف جعلتم له شريكاً في الإلهية ؟ ولهذا قال ﴿ أإله مع الله ؟ قليلاً ما تذكَّرون ﴾ .

قوله : (وروى الطبراني) أي عن عبادة بن الصامت . قوله : (قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق) هي استغاثة به فيما يقدر عليه من كف المنافق إما بضرب أو تهديد أو قتل وإنما قال « إنه لا يستغاث بي » إرشاداً لهم إلى التأدب في الألفاظ حماية لجناب التوحيد ، فإذا قال ذلك في أمر يقدر

(١) سورة النمل ، الآية : ٦٢ .

عليه ، فما الظن بالاستغاثة به ﷺ أو بغيره بعد موته في تفريج الكرب وجلب المنافع ، أو في إدخال الجنة والنجاة من النار ؟ فثبت أن من دعا أحداً من المخلوقين فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك الشرك الأكبر الموجب للخلود في النار .

* * *

فيه مسائل

الأولى : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص .

الثانية : تفسير قوله : ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك .

الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر .

الرابعة : أن أصلح الناس لو يفعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين .

الخامسة : تفسير الآية التي بعدها .

السادسة : كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً .

السابعة : تفسير الآية الثالثة .

الثامنة : أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله ، كما أن

الجنة لا تطلب إلا منه .

التاسعة : تفسير الآية الرابعة .

العاشرة : أنه لا أضل ممن دعا غير الله .

الحادية عشرة : أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه .

الثانية عشرة : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له .

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادةً للمدعوّ .

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة .

الخامسة عشرة : هي سبب كونه أضل الناس .

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة .

السابعة عشرة : الأمر العجيب ، وهو إقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر إلا الله ، ولأجل حماية المصطفى ﷺ حِمى التوحيدِ والتأدب مع الله .

* * *

١٥ - باب

قول الله تعالى : ﴿أَيُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ، وَلا يَسْتَطِيعُونَ لهُمْ نَصْرًا﴾ الآية . وقوله : ﴿والَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ الآية .

وفى الصحيح عن أَنَسٍ قال : « شُجَّ النبيُّ ﷺ

***

جميع من سوى الله هذه صفتهم أي لا يقدرون على خلق شيء وهم مخلوقون ولا يستطيعون نصر من عبدهم ولا ينصرون أنفسهم ، فبطلت عبادتهم من دون الله . قوله : ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴾[1] الآية . أخبر تعالى أن المدعوين من دون الله لا يملكون من قطمير وهو اللفافة التي على ظهر النواة . أي لا يملكون قليلاً ولا كثيراً ، وأخبر أنهم لا يسمعون دعاء الداعي ، وأنهم لو سمعوا ما أجابوه ؛ وأنهم يوم القيامة يجحدون عبادتهم إياهم ، وهذه الآية نص في أن دعاء غير الله شرك لقوله ﴿ يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾ قال قتادة : يعني نفسه تبارك وتعالى فإنه أخبر بالواقع لا محالة .

قوله : (شج النبي ﷺ) روى الطبراني من حديث أبي أمامة قال رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ يوم أُحد ، فشجَّ

---

(١) سورة فاطر ، الآية : ١٣ .

يومَ أُحُدٍ ، وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُه ، فقال : كيف يُفلِحُ قومٌ شَجُّوا نبيهم؟ فنزلت : ﴿ ليس لكَ من الأَمْرِ شيءٌ ﴾ . وفيه عن ابن عمرَ رضى الله عنهما : « أنه سمعَ رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسَه من الركوع فى الركعةِ الأخيرةِ من الفجرِ : اللّهمّ الْعَنْ فلانًا وفلانًا ، بعدما يقولُ : سمعَ الله لمن حمدَه ربَّنا ولك الحمدُ ،

وجهه وكسر رباعيته فقال : خذها وأنا ابن قمئة . فقال رسول الله ﷺ « مالك أقمأك الله » فسلط الله عليه تيس الجبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة . وذكر ابن هشام أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية رسول الله ﷺ ، وقال القرطبي : الرباعية بفتح الراء وتخفيف الياء كل سن بعد ثنية . وقال النووي : للإنسان أربع رباعيات : وقال الحافظ والمراد أنها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها .

قوله : (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم) زاد مسلم : وكسروا رباعيته وأدموا وجهه ؟ قوله ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ قال ابن اسحاق : أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم .

قوله : « اللهم العن فلاناً وفلاناً » هذا بعد وقعة أُحُد . قوله « سمع الله لمن حمده » قال ابن القيم : عدى باللام لتضمينه

فأنْزَل اللهُ : ﴿ ليس لَكَ من الأمرِ شيءٌ ﴾ » الآية .
وفى رواية « يَدْعُو على صَفْوانَ بن أُمَيَّةَ وسُهَيْلِ بن عَمْرٍو والحارِث بن هِشَامٍ ، فنزلت : ﴿ ليس لك مِن الأمرِ

——— *** ———

معنى استجاب ، والحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه ، ولهذا كان خبراً يتضمن الإنشاء بخلاف المدح فإنه خبر مجرد . قوله وفي رواية (يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو أو الحارث بن هشام) عينهم ﷺ لأنهم من أشد الناس عداوة له ، وهم السبب في غالب ما جرى عليه ﷺ وأصحابه هم وأبو سفيان ومع ذلك فما أجيب فيهم بل أنزل الله عليه ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ [1] فتاب الله عليهم وآمنوا فدل على أنه لا يملك ولايقدر إلا ما ملكه الله أو أقدره الله عليه كما قال تعالى ﴿ قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً . قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً إلا بلاغاً من الله ورسالاته ﴾ [2]

وقال تعالى ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، ولو كنتُ أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسَّني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ [3] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨ .
(٢) سورة الجن ، الآية : ٢١ . (٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٨ .

شىء ﴾» . وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قام رسول الله ﷺ حين أُنْزِلَ عليه ﴿ وأنذرْ عَشِيرتَكَ الأقْرَبِينَ ﴾ ، فقال : يا مَعْشَرَ قُرَيشٍ ، أو كلمةً نحوَها ، اشْتَرُوا أَنفُسَكُم ، لا أُغْنِي عنكم من الله شيئًا ، يا عباسُ بنَ عبد المطَّلِب لا أُغنِي عنكَ من الله شيئًا ، يا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رسول الله ﷺ لا أُغنى عنكِ من الله شيئًا ، ويا فاطمةُ بنتَ محمدٍ ، سلِينِي من مالى ما شئتِ ، لا أُغنِي عنكِ من الله شيئًا » .

* * *

قوله : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ عشيرة الرجل بنو أبيه أو قبيلته والأقربين أي الأقرب فالأقرب . قوله : ﴿ اشتروا أنفسكم ﴾ أي بتخليصها من عذاب الله بالطاعة ، لأنها ثمن النجاة . قوله : ﴿ لا أغني عنكم ﴾ أي لا أدفع عنكم من عذاب الله شيئاً . قوله : « يا عباس بن عبد المطلب » يجوز في عباس الرفع والنصب ، وينصب ابن لا غير وكذا ما بعده ـ فإذا صرح ﷺ أنه لا يغني عن ابنته وعمه وعمته شيئاً وامن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ، ثم عرف ما وقع في قلوب الضالين : تبين له غربة الدين .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : قصة أُحد .

الثالثة : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمِّنون في الصلاة .

الرابعة : أن المدعو عليهم كفار .

الخامسة : أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار ، منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم .

السادسة : أنزل الله عليه في ذلك ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ .

السابعة : **قوله** : ﴿ أو يتوب عليهم أو يعذبهم ﴾ فتاب عليهم فآمنوا .

الثامنة : القنوت في النوازل .

التاسعة : تسمية المدعوّ عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم .

العاشرة : لعن المعيَّن في القنوت .

الحادية عشرة : قصته ﷺ لما أنزل عليه ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ .

١٦ ـ باب

قول الله تعالى : ﴿حتّى إذا فُزِّعَ عن قُلُوبِهِم قالوا : ماذا قال ربُّكُمْ ؟ قالوا : الحقَّ ، وهو العَلِىُّ الكَبيرُ﴾ .

* * *

قال الشارح : أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من عُبد من دون الله ، فإذا كانت هذه هيبتهم من الله وخوفهم منه فكيف يدعوهم أحد من دون الله ؟ وإذا كانوا لا يدعون فغيرهم أولى ففيه رد على جميع فرق المشركين الذين يدعون مع الله من لا يداني الملائكة في صفة من صفاتهم . قوله : ﴿ فزع ﴾ أي زال عنها الفزع قاله ابن

⇐ **الثانية عشرة** : جِدُّه ﷺ بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون ، وكذلك لو يفعله مسلم الآن .

الثالثة عشرة : **قوله للأبعد والأقرب** : « لا أغني عنك من الله شيئاً » ، حتى قال : « يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً » ، فإذا صرح ، وهو سيد المرسلين ، بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين ، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن ـ : تبين له التوحيدُ وغربةُ الدين .

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إذا قَضَى الله الأمرَ في السماءِ ضَرَبَتِ الملائكةُ بأَجْنِحَتِها خَضَعَانًا لقَوْلِه ، كأنَّه سِلْسِلَةٌ على صَفْوَانٍ ، يَنْفُذُهُمْ ذلك ، حتَّى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحقَّ وهو العليُّ الكبيرُ . فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ ، ومُسْتَرِقُ السَّمْعِ هكذا بعضُهُ

***

عباس وابن عمر وأبو عبد الرحمن السلمي والشعبي والحسن وغيرهم ، والمراد الملائكة كما اختاره ابن جرير ، قال ابن كثير وهو الحق الذي لا مرية فيه ، وهذا مقام رفيع في العظمة ، وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي فسمع أهل السموات كلامه ، أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي . ملخص .

قوله : (خضعاناً) قال الحافظ بفتحتين من الخضوع . وفي رواية بضم أوله وسكون ثانيه مصدر ، أي خاضعين لقول الله تعالى . قوله : « ينفذهم ذلك » بفتح التحتية وسكون النون وضم الفاء والذال المعجمة أي يخلص ذلك القول ويمضي في قلوب الملائكة . قوله : « فيسمعها مسترق السمع » وفي صحيح البخاري عن عائشة مرفوعاً (إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوصله إلى الكهان فيكذبون

فوقَ بعضٍ ، وصفَهُ سُفْيَانُ بكَفِّهِ ، فحرَّفها وبَدَّدَ بين أصابعه ، فَيَسْمَعُ الكلمةَ فَيُلْقيها إلى مَن تحتهُ ، ثم يُلقيها الآخرُ إلى من تحته ، حتى يُلقيها على لسانِ

معها مائة كذبة من عند أنفسهم) قال الشارح فظاهر هذا أنهم لا يسمعون كلام الملائكة الذين في السماء الدنيا ؛ وإنما يسمعون كلام الملائكة الذين في السحاب اهـ وليس كما قال فإن هذا الحديث إنما دل على أنهم يسمعون من الذين في السحاب ؛ وسماعهم منهم لا ينفي سماعهم من الذين في السماء الدنيا بل سماعهم منها دل عليه دليل آخر وقد قال تعالى ﴿ وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾[1] وقال : ﴿ إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ﴾[2] وقال تعالى إخباراً عنهم ﴿ وأَنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً * وأَنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾[3] والشهب إنما يرمى بها من السماء لا من السحاب . فالحق أن يقال إنهم كما يسمعون من ملائكة السماء فكذلك يسمعون من ملائكة السحاب ، ولا تنافي بين الأمرين .

قوله : (فحرفها) بحاء مهملة وراء مشددة (وبدد) أي

---

(١) سورة الحجر الآيتان : ١٧ ، ١٨ . (٢) سورة الصافات الآية : ١٠

(٣) سورة الجن الآية : ٨ ـ ٩ .

السّاحِرِ أو الكاهنِ ، فرُبَّمَا أدركه الشِّهابُ قبل أن يُلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فَيَكْذِبُ معها مائةَ كِذْبةٍ ، فيقال : أليس قد قال لنا يومَ كذا وكَذا : كذا وكذا ؟ فيُصَدَّقُ بتلك الكلمة الَّتى سُمِعَتْ من السماء » .

وعن النّواسِ بن سمعانَ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أَرادَ الله تعالى أن يُوحىَ بالأمرِ تَكَلَّم بِالوحى أخذت السموات منه رَجْفَةٌ ، أو قال : رِعْدَة شديدة ، خوفًا من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهلُ السمٰوات صَعِقوا وخرُّوا لله سُجَّدًا ، فيكونُ

فرق . قوله : (فيكذب معها) أي يكذب الكاهن أو الساحر مع الكلمة أو يكذب الشيطان مع الكلمة التي استرقها . وكذبة بفتح الكاف وسكون الذال . قوله : (فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا) لفظ الحديث : يوم كذا وكذا ، كذا وكذا . قوله : (فيصدق بتلك الكلمة) قال المصنف : وفيه قبول النفوس للباطل ، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة كذبة ؟

قوله : ابن سمعان بكسر السين . قوله : (رجفة) بالرفع أي أصابت السموات منه رجفة . قوله : (أو قال رعدة) شك هل قال النبي ﷺ رجفة أو رعدة . وهي بفتح الراء . قوله : (صعقوا

أَوَّلَ من يرفع رأسه جبريلُ ، فيكلمه اللهُ من وحيه بما أراد ، ثم يَمُرُّ جبريل على الملائكة ، كلَّما مرَّ بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريلُ ؟ فيقول جبريل : قال الحقَّ ، وهو العلى الكبير ، فيقولون كلهم مِثل ما قال جبريلُ ، فَيَنْتَهى جبريل بالوحى إلى حيثُ أَمَرَهُ الله عز وجل » .

***

وخروا) أي يقع منهم الصعوق وهو الغشي والسجود . قولـه : (فيكون أول من يرفع رأسه جبريل) روى ابن جرير وأبو الشيخ عن علي بن الحسين قال : اسم جبريل عبد الله . وفي الحديث إثبات العلو وإثبات الكلام ، وإن لله صوتاً يُسمعه من شاء من خلقه ، خلافاً للجهمية النافية .

***

فيه مسائل

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما فيها من الحجة على إبطال الشرك ، خصوصاً مَنْ تعلق على الصالحين ، وهي الآية التي قيل إنهـا تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .

الثالثة : تفسير قوله ﴿ قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾ .

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

الخامسة : أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله : قال كذا وكذا .

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل .

السابعة : أنه يقول لأهل السمٰوات كلهم ، لأنهم يسألونه .

الثامنة : أن الغشى يعم أهل السمٰوات كلهم .

التاسعة : ارتجاف السمٰوات لكلام الله .

العاشرة : أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله .

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضاً .

الثالثة عشرة : إرسال الشُّهُب .

الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه .

الخامسة عشرة : كون الكاهن يَصدق بعض الأحيان .

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبة .

السابعة عشرة : أنه لم يصدَّق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء .

الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل ، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة ؟ !

التاسعة عشرة : كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .

العشرون : إثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة .

الحادية والعشرون : أن تلك الرجفة والغشى خوفاً من الله عز وجل .

الثانية والعشرون : أنهم يخرُّون لله سجداً .

* * *

١٧ ـ باب الشفاعة

وقولِ الله عزَّ وجل : ﴿ وأَنْذرْ بِهِ الذين يَخَافُون أن يُحْشَرُوا إلى ربِّهم ليس لهم من دُونِهِ وَلِيٌّ ولا شَفِيعٌ ﴾. وقوله : ﴿ قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ . وقوله : ﴿ مَن ذا

* * *

قوله : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ﴾[١] وقوله : ﴿ ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ﴾[٢] يقول تعالى وأنذر يا محمد بالقرآن الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ، وقوله : ﴿ ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ﴾ قال الزجاج : موضع ﴿ليس﴾ نصب على الحال كأنه قال متخلين من وليّ وشفيع والعامل فيه ﴿يخافون﴾ وقال ابن كثير : ﴿ ليس لهم من دونه ﴾ يومئذ شفيع من عذابه إن أرادهم به ﴿ لعلهم يتقون ﴾ فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به من عذابه يوم القيامة .

وقوله : ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾[٣] بعد قوله : ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أوَلوْ كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ﴾[٤] أنكر سبحانه وتعالى عليهم اتخاذ الشفعاء ثم أمره أن يقول : لله الشفاعة جميعاً أي هو مالكها ، فليس لغيره فيها

---

(١) و (٢) سورة الأنعام ، الآية : ٥١ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٤٤ . (٤) سورة الزمر ، الآية : ٤٣ .

الذى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلَّا بإذْنِهِ ﴾ . وقوله : ﴿ وكَمْ مِنْ مَلَكٍ فى السَّموات لا تُغْنى شَفَاعَتهُمْ شيئًا إلّا مِنْ بَعْدِ أنْ يَأْذَنَ اللهُ لمن يشاء ويرضى ﴾ . وقوله : ﴿ قُلِ

* * *

ملك ، وله ملك السموات والأرض وإليه ترجعون فتعلمون أن من طلبها من غير الله فهو خاسر السعي ولا تحصل له

قوله :﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾[1] قال ابن جرير : نزلت لما قال الكفار ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى فقال الله تعالى : ﴿ له ما في السموات والأرض ﴾ وتقرر في هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة وهم الأنبياء والعلماء وغيرهم ؛ والإذن راجع إلى الأمر فيما نص عليه كمحمد ﷺ إذا قيل له (اشفع تشفع) .

وقوله : ﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾[2] قال أبو حيان :﴿ كم ﴾ خبرية ومعناها التكثير وهي في موضع رفع بالابتداء والخبر ﴿ لا تغني ﴾ وإذا كانت الملائكة لا تغني شفاعتهم إلا بعد إذن الله ورضاه أي يرضاه أهلاً للشفاعة ، فكيف تشفع الأصنام لمن عبدها ؟

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٢٦ .

ادْعُوا الَّذِين زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فى السمٰوات ولا فى الأرْضِ ﴾ الآيتينِ .

قال أبو العباس[1] : نَفَى اللهُ عَمَّا سواهُ كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره مِلْكٌ أَو قِسْطٌ منهُ ، أو يكون عَوْنًا لله ، ولم يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ .

* * *

قوله : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السمٰوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير* ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾[2] الآية قال بعض العلماء : هذه الآية تقطع عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها ، وكلام أبي العباس شيخ الإسلام ابن تيمية الآتي في تفسيرها كافٍ في بيان المثبت من الشفاعة والمنفي منها ، فرحمه الله وعفا عنه .

قوله : (نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون) أي في هذه الآية قوله (فنفى أن يكون لغيره ملك) أي في قوله : ﴿ لا يملكون مثقال ذرة في السمٰوات ولا في الأرض ﴾ قوله : (أو قسط منه) أي من الملك في قوله : ﴿ وما لهم فيهما من

---

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية . أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام . إمام المسلمين . وهذه كنيته . انظر فتح المجيد ص : ١٦٨ .

(٢) سورة سبأ ، الآية : ٢٢ .

فَبَيَّنَ أَنَّهَا لا تَنْفَعُ إلا لمن أَذن له الرَّبُّ . كما قال : ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ . فهذه الشفاعةُ الَّتى يَظُنُّها المشركون هى مُنْتَفِيَةٌ يوم القيامة ، كما نفاها القرآن .

* * *

شرك ﴾ قولــه : ﴿ أو يكون عونــاً لله ﴾ أي في قول الله ﴿ وما له منهم من ظهير ﴾ قال ابـن القيم في الـكلام علـى الآية : وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله ولياً فمثله كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع ، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع . إما مالكاً لما يريد عابده منه فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً ، فإن لم يكن معيناً له ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده ؛ فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً منتقلاً من الأعلى إلــى ما دونــه ، فنفــى الملك والشـركة والمظاهـرة والشفاعة التي يطلبها المشرك وأثبـت شفاعـة لا نصيب فيهـا لمشرك وهي الشفاعة بإذنه ، فهو الذي يأذن للشافع وإن لم يأذن له لم يتقدم بالشفاعة بين يديه انتهى .

وقال شيخ الإسلام لما ذكر آيات الشفاعة : وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق ، طرفان ووسط ، فالمشركون ومن

وأخْبَرَ النبيُّ ﷺ «أنه يأْتى فيسجد لربهِ ويَحْمَدُهُ – لا يَبْدَأ بالشفاعة أوّلاً – ثم يقال له : ارفع رأْسك . وقلْ يُسْمَعْ ، وسَلْ تُعْطَ ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ» . وقال له أبو هريرة : «مَنْ أسْعَدُ النَّاس بشفاعتكَ؟ قال : مَنْ قال

***

وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الأمة أثبتوا الشفاعة التي نفاها الله بالقرآن . والخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته بل أنكر طائفة من أهل البدع انتفاع الإنسان بشفاعة غيره ودعائه كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه ، فأنكروا الشفاعة بقوله تعالى : ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾[1] وبقوله : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾[2] وأما سلف الأمة وأئمتها ومن اتبعهم من أهل السنة والجماعة فأثبتوا ما جاءت به السنَّة عن نبي الله ﷺ من شفاعته لأهل الكبائر من أمته ، وغير ذلك من أنواع شفاعته وشفاعة غيره من النبيين والملائكة ، وقالوا إنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد ، وأقروا بما جاءت به السنة من انتفاع الإنسان بدعاء غيره وشفاعته ، والصدقة عنه ، بل والصوم عنه في أصح قولي العلماء كما ثبتت به السنة الصحيحة الصريحة وما كان في معنى الصوم ، وقالوا

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٤ . (٢) سورة غافر ، الآية : ١٨ .

لا إله إلَّا اللهُ خالصًا مِنْ قلبهِ » . فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ، ولا تكونُ لمن أَشْرَكَ بالله . وحقيقتُه : أَنَّ اللهَ سبحانه هو الذى يَتَفَضَّلُ على أهلِ الإخلاص . فيغفرُ لهم بواسِطَةِ دعَاءِ من أَذِنَ له أَنْ يَشْفَعَ ، لِيُكْرِمَهُ وينالَ المقامَ المحمودَ . فالشفاعةُ التى نفاها القرآن ما كان

* * *

لأن الشفيع يطلب من الله ويسأله إلى أن قال :

وأما من علق قلبه بأحد من المخلوقين يرجوه ويخافه ، فهذا من أبعد الناس عن الشفاعة ؛ فشفاعة المخلوق عند المخلوق تكون بإعانة الشافع للمشفوع له بغير إذن المشفوع عنده ، بل يشفع إما لحاجة المشفوع عنده ، وإما لخوفه منه فيحتاج أن يقبل شفاعته ، والله غني عن العالمين كلهم ، فما من شفيع إلا من بعد إذنه ، فهو الذي يأذن للشافع . ا هـ ، من الاقتضاء .

والحاصل أن الشفاعة الثابتة هي التي تطلب من الله بإذنه لمن يرضى قوله وعمله والله لا يرضى إلا التوحيد ، والمنفية هي التي تطلب من غير الله ، أو بغير إذنه ، أو لأهل الشرك به .

إذا تبين هذا فشفاعة النبي ﷺ في القيامة ستة أنواع : (الأول) : الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم حتى تنتهي إليه للإراحة من الموقف . (الثانية) : شفاعته لأهل الجنة في دخولها . (الثالث) : شفاعته لقوم من العصاة من

فيها شِرْكٌ ، ولهذا أَثْبَتَ الشفاعةَ بإذنه فى مواضع . وقد بيَّن النَّبيُّ ﷺ أنَّها لا تكونُ إلَّا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه .

أمته أن لا يدخلوا النار . (الرابع) : شفاعته في إخراج العصاة من أهل التوحيد من النار . (الخامس) : شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم . (السادس) : شفاعته في تخفيف العذاب عن أبي طالب ، ملخص من الشرح .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير الآيات .

الثانية : صفة الشفاعة المنفية .

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة .

الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى ، وهي المقام المحمود .

الخامسة : صفة ما يفعله ﷺ ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد ، فإذا أذن الله له شفع .

السادسة : مَنْ أسعد الناس بها .

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله .

الثامنة : بيان حقيقتها .

١٨ ـ باب

قول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى من أحْبَبْتَ ﴾ الآية

فى الصحيح عن ابن المسيَّب عن أبيه ، قال : « لمَّا حَضَرَتْ أبا طالب الوفاة ، جاءهُ رسول الله ﷺ ، وعنده عبد الله بن أبى أُمية وأبو جهلٍ ، فقال له :

***

قال الشارح : أراد المصنف الرد على عُباد القبور الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين أنهم ينفعون ويضرون فيسألونهم مغفرة الذنوب ، وتفريج الكروب ؛ فإذا عرف الإنسان معنى هذه الآية ومن نزلت فيه تبين له بطلان مذهبهم وفساد شركهم ؛ وإذا كان رسول الله ﷺ قد حرص على هداية عمه أبي طالب عند موته فلم يتيسر ذلك ودعا له بعد موته ونهاه الله عن ذلك وذكر له أنه لا يقدر على هداية من أحب هدايته تبين أنه ﷺ لا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه فبطلت عبادته من دون الله فعبادة غيره أبطل وأبطل . انتهى ببعض تصرف واختصار .

قوله : جاءه رسول الله . فيه جواز عيادة المشرك اذا رجا إسلامه وجواز حمل العلم إذا كان فيه مصلحة راجحة على عدمه قاله الشارح . قوله : « كلمة » بدل من لا إله إلا الله ، ويجوز الرفع على حذف المبتدأ .

يا عمِّ ، قل لا إله إلا اللهُ ، كلمةً أُحاجُّ لك بها عند الله ، فقالا له : أَترغَبُ عن ملة عبد المطلب ؟ فأعاد عليه النبي ﷺ ، فأعادا ، فكان آخرَ ما قال : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أَن يقول لا إله إلّا اللهُ ، فقال النبي ﷺ : لأَستَغفِرَنَّ لك ، ما لم أُنْهَ عنك . فأنزل الله عزَّ وجل : ﴿ ما كان للنَّبيِّ والذين آمنوا

* * *

قوله : « أحاج لك بها » أي أشهد لك بها . قوله : فقالا له أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ قال المصنف : فيه تفسير لا إله إلا الله ، بخلاف ما عليه أكثر من يدعي العلم ، وفيه أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل قل لا إله إلا الله ؛ فقبح الله مَنْ أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام .

قوله : هو على ملة عبد المطلب ، رواية الإمام أحمد « أنا » فلعل الراوي كره حكايته بلفظه ، قال المصنف : وفيه الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه ، ومضرة أصحاب السوء على الإنسان ومضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .

قوله : فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾[1] أي لا ينبغي لهم ذلك .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٣ .

أَنْ يَسْتَغْفِرُوا للمشركين ﴾ وأنزل الله فى أبى طالب : ﴿إنَّك لا تَهْدِى من أحببتَ ، ولكنَّ الله يَهْدِى من يَشاءُ﴾ » .

***

فائدة : أسلم المسيب وعبد الله بن أبـي أمية ومات أبو جهل كافراً وكذا أبو طالب ، وكانت وفاته بمكة قبل الهجرة بقليل . وقد ثبت أن النبي ﷺ أتى قبر أمه لما اعتمر فاستأذن ربه أن يستغفر لها فنزلت هذه الآية فأشكل ذلك ، فقيل يحتمل أن النزول تأخر وإن تقدم السبب أو يكون لنزولها سببان . قال الحافظ : وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وتحريم موالاتهم ومحبتهم لأنـه إذا حرم الاستغفار لهم فموالاتهم ومحبتهم أولى .

***

فيه مسائل

الأولى : تفسير ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ الآية .

الثانية : تفسير قوله ﴿ ما كان للنبي ﴾ الآية .

الثالثة : وهي المسألة الكبرى ، تفسير قوله « قل لا إله إلا الله » بخلاف ما عليه من يدعي العلم .

الرابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل « قل لا إله إلا الله » . فقبَّح اللهُ مَنْ أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام .

الخامسة : جِدُّه ﷺ ومبالغته في إسلام عمه .

السادسة : الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه .

السابعة : كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له ، بل نهى عن ذلك .

الثامنة : مضرَّة أصحاب السوء على الإنسان .

التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .

العاشرة : الشبهة للمبطلين في ذلك ، لاستدلال أبي جهل بذلك :

الحادية عشرة : التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين ، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها ، مع مبالغته ﷺ وتكريره ، فلأجْل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها .

* * *

١٩ ـ باب
ما جاء أن سببَ كُفر بنى آدم وتركهم دينَهم *
هو الغلوُّ فى الصالحين

وقولِ الله عز وجل : ﴿ يا أهلَ الكتابِ لا تغلوا فى دينكم ﴾ .

فى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فى قول الله تعالى : ﴿ وقالوا لا تذرُنَّ آلهتكم ، ولا

***

* قوله : « وتركهم » بالجر ، ودينهم بالنصب أي أراد إقامة الحجة على أن الغلوَ سبب للخروج من الدين خصوصاً في الصالحين ، فإن الشيطان يخرجه في قالب محبتهم .

قوله : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾[١] أي لا تجاوزوا ما حدَّ الله في الدين . وأهل الكتاب : اليهود والنصارى . وكذا نهى هذه الأمة في قوله : ﴿ فاستقم كما أُمرت ومن تاب معك ولا تطغوا ﴾[٢] قال شيخ الإسلام : ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بافراط فيه أو تفريط ، وضاهاهم في ذلك فقد شابههم .

قوله : (في الصحيح) إلى آخره . فيه فوائد نبَّه عليها

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧١ .

(٢) سورة هود ، الآية : ١١٢ .

تذَرُنَّ وَدًّا ولا سُوَاعًا ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا ﴾ .
قال : « هذه أسماءُ رجالٍ صالحينَ من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصِبوا إلى مجالسهم التى كانُوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تُعْبَدْ ، حتى إذا هلك أُولئك ونُسِى العلمُ ، عُبِدَتْ » .

***

المصنف ، منها معرفة أن أول شرك حدث في الأرض بشبهة محبة الصالحين ، ومنها معرفة سبب قبول النفوس للبدع مع كون الشرائع والفطر تنكرها : ومنها أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل فالأول محبة الصالحين والثاني فعْل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً فظن من بعدهم أنهم أرادوا غيره ومنها جبلة الإنسان في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد : ومنها أن فيها شاهداً لقول بعض السلف : إن البدعة سبب للكفر ، وإنها أحب إلى إبليس من المعصية ، لأن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها ، ومنها معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل ، ومنها معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها ، ومنها وهي أعجب : قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن

وقال ابن القيِّمِ : قال غيرُ واحدٍ من السَّلَفِ : لما ماتُوا عكفوا على قبورهم ، ثم صَوَّرُوا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمدُ فعبدوهم .

وعن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تُطْرُونِي كما أطرتِ النصارى ابنَ مريم ، إنما أنا عبدٌ ، فقولوا : عَبْدُ الله ورسوله » . أخرجاهُ .

* * *

فعل قوم نوح هو أفضل العبادات واعتقدوا أن نهي الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال ، ومنها التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم ؛ ففيها معرفة قدر وجوده ومضرة فقده .

قوله : « لا تطروني » الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه قوله : (فقولوا عبد الله ورسوله) أي صفوني بما وصفني به ربي في قوله ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ﴾[1] ولا تدعوا فيّ ما ادعته النصارى في عيسى بن مريم ، فأبى الظالمون إلا كفوراً وادعى بعض الضالين فيه أعظم مما ادَّعت النصارى في عيسى .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الاستغاثة عن بعض أهل زمانه أنه جوّز الاستغاثة بالرسول في كل ما يستغاث

(١) سورة الفرقان ، الآية : ١ .

وقال : قال رسول الله ﷺ : « إيّاكُمْ والغلوَّ، فإنما أَهْلَكَ مَن كان قبلَكم الغُلُوُّ» .

——— *** ———

فيه بالله ، وصنف في ذلك مصنفاً . وكان يقول : إن النبي ﷺ يعلم مفاتيح الغيب ، وذكر عن آخر أنه كان يقول : إنه ﷺ يعلم ما يعلمه الله ويقدر على مايقدر عليه الله وأن بعضهم قال في قوله : ﴿ وتسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ إن الرسول هو الذي يسبح . ومنهم من قال : نحن نعبد الله ورسوله إلى غير ذلك من الكفر الصريح ، فأين هؤلاء من قوله : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ﴾ وقوله : ﴿ قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ﴾ وقوله : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ﴾ .

قوله : (قال : قال رسول الله ﷺ) هكذا ثبت في أصل المصنف ، وهذا الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته « القط لي حصى » فلقطت له سبع حصيات هنّ حصى الخذف فجعل ينفضهنّ في كفه ويقول « أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين فانما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين » هذا لفظ ابن ماجه .

قال شيخ الإسلام : هذا عام في جميع أنواع الغلو في

ولمسلم عن ابن مسعودٍ ، أن رسول الله ﷺ قال : « هَلَكَ المتنطعونَ » . قالها ثلاثًا .

الاعتقادات والأعمال ، والغلو مجاوزة الحد أن يزداد في مدح الشيء أو ذمه على ما يستحقه وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار بناء على أنه أبلغ من الصغار ، ثم علله بما يقتضي مجانبة هديهم مطلقاً إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به ، وإن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه الهلاك اهـ ملخصاً .

قوله : (هلك المتنطعون) قال ابن الأثير : هم المتعمقون الغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم ، مأخوذ من النَطع وهو الغار الأعلى من الفم ثم استعمل في كل تعمق قولاً أو فعلاً . وقال غيره الغالون في عباداتهم بحيث تخرج عن قوانين الشريعة . قوله : (قالها ثلاثاً) مبالغة في التحذير والتعليم .

***

فيه مسائل

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام ، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب .

الثانية : معرفة أول شرك حدث في الأرض ، أنه بشبهة الصالحين .

الثالثة : أول شيء غُيِّر به دين الأنبياء وما سبب ذلك ، مع معرفة أن الله أرسلهم :

الرابعة : قبول البدع ، مع كون الشرائع والفطر تردها .

الخامسة : أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل ، فالأول محبة الصالحين ، والثاني فعل أناس من أهل العلم شيئاً أرادوا به خيراً فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره .

السادسة : تفسير الآية التي في سورة نوح .

السابعة : جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد .

الثامنة : فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر .

التاسعة : معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل .

العاشرة : معرفة القاعدة الكلية ، وهي النهي عن الغلو ، ومعرفة ما يؤول إليه .

الحادية عشرة : مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح .

الثانية عشرة : معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها .

الثالثة عشرة : معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها .

الرابعة عشرة : وهي أعجب وأعجب ، قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ، ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم ، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات ، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال .

الخامسة عشرة : التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة .

السادسة عشرة : ظنهم أن العلماء الذي صوروا الصور أرادوا ذلك .

السابعة عشرة : البيان العظيم في قوله : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم » ، فصلوات الله وسلامه عليه بَلَّغ البلاغ المبين .

الثامنة عشرة : نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين .

التاسعة عشرة : التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم ، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده .

العشرون : أن سبب فقد العلم موت العلماء .

٢٠ ـ باب
ما جاء من التّغْليظ فيمن عَبَدَ الله عند قبر رجلٍ صالحٍ* فكيف إذا عَبَدَهُ ؟

فى الصحيح عن عائشة : « أنْ أُمَّ سلمةَ ذكرتْ لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرضِ الحبشة ، وما فيها مِن الصُّوَرِ ، فقال : أولئكَ إذا مات فيهم الرجل الصالح ، أو العبدُ الصالح ، بَنَوْا على قبره مسجدًا ، وصَوَّرُوا فيه تلك الصُّوَرَ ، أولئكِ شِرَارُ الخلقِ عند الله » . فهؤلاء جَمَعُوا بين فتنتين : فتنةِ القبور ، وفتنةِ التماثيلِ .

* * *

* إذا كانت عبادة الله عند القبور منهياً عنها ومغلظاً فيها ، فكيف بعبادتها وأصحابها ؟ قوله : (ذَكرت لرسول الله ﷺ) أي في مرض موته كما في الصحيح ، وفيهما أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة وهي معبد النصارى .

قوله : (بنوا على قبره مسجداً) أي موضعاً للصلاة وإن لم يسمّ مسجداً قوله : (وصوروا فيه تلك الصور) إشارة إلى ما ذكرتاه لأن في رواية (فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها) قوله : (فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين) إلى آخره هو كلام شيخ الإسلام .

ولهما عنها ، قالت : « لما نُزِل برسول الله ﷺ طفِقَ يطرحُ خميصَةً له على وجهه ، فإذا اغْتَمَّ بها كشفها ، فقال ، وهو كذلك : لَعْنَةُ الله على اليهود والنصارى ، اتَّخَذُوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ ، يُحَذِّرُ ما صنعوا ، ولولا ذلك أُبْرِزَ قَبْرُه ، غير أنه خُشِيَ أن يُتَّخَذَ مسجدًا » . أخرجاه .

* * *

قوله : (لما نزل) بضم النون وكسر الزاي أي نزل به ملك الموت ، قوله (طفق) أي جعل والخميصة كساء له أعلام . قوله (لعن الله اليهود والنصارى) يدل على أن اتخاذ القبور محلاً للعبادة حرام ومن الكبائر . قوله : (يحذر ما صنعوا) أي لعن اليهود والنصارى يحذر أمته أن يصنعوا مثلهم والظاهر أن هذا من كلام عائشة .

وقال شيخ الإسلام : فأما قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء والصالحين تبركاً بالصلاة في تلك البقعة ، فهذا عين المحادة لله ورسوله والمخالفة لدينه ؛ وابتداع دين لم يأذن به الله ، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ من أن الصلاة عند القبر أي قبر كان لا فضل فيه لذلك ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير بل مزية

ولمسلم عن جُنْدُب بن عبد الله ، قال : « سمعتُ النبى ﷺ قبل أن يموت بخمسٍ ، وهو يقول : إنِّى أَبْرَأُ إلى الله أن يكون لى منكم خليلٌ ، فإنَّ الله قدِ اتَّخَذَنى خليلاً ، كما اتَّخَذَ إبراهيمَ خليلاً ، ولو كنتُ مُتَّخِذًا مِن أمَّتِي خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلا ، أَلَا وإنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجدَ ، أَلَا فلا تتخذُوا القبورَ مساجِدَ ، فإنى أنهاكُمْ عن ذلك » .

شر . انتهى .

قوله : (غير أنه خشي) روى بفتح الخاء وضمها ، فعلى الفتح أي هو الذي خشي ، فأمر بعدم إبراز قبره ، وعلى الضم أي خشيته عائشة كما في رواية (غير أني أخشى) أو هي ومن معها من الصحابة . قوله : (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل) أي أمتنع من ذلك . الخليل هو المحبوب غاية المحبة . قال ابن القيم : الخلة نهاية المحبة . قوله (ولو كنت متخذاً من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلاً) فيه رد على الرافضة وعلى الجهمية الذين هم شر أهل البدع ،بل أخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة ، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور ، وهم أول من بنى عليها المساجد .

فقد نهَى عنه فى آخرِ حياتِه ، ثم إنه لعنَ – وهو فى السياقِ – مَنْ فَعَله . والصلاةُ عندها من ذلك ، وإنْ لم يُبْنَ مسجدٌ ، وهو معنى قولها : « خُشِى أن يُتَّخَذَ مسجدًا » . فإنَّ الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبرهِ مسجدًا ، وكل موضع قُصِدَت الصلاةُ فيه فقد اتُّخِذ مسجدًا ، بل كل موضع يصَلَّى فيه يسمى مسجدًا ، كما قال ﷺ : « جُعِلَتْ لِىَ الأرضُ مسجدًا وطَهُورًا » .

ولِأَحْمَدَ بسند جَيِّدٍ عن ابن مسعودٍ رضى الله عنه مرفوعًا : « إنَّ من شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ الساعةُ وهم أحياءٌ ، والذين يَتَّخذونَ القبورَ مساجدَ » . ورواهُ أبو حاتم فى صحيحه .

* * *

قال المصنف قوله : (فقد نهى عنه في آخر حياته) إلى اخره . هذا كلام شيخ الإسلام . **قوله** : (من تدركهم الساعة وهم أحياء) أي من تقوم عليهم بحيث ينفخ في الصور وهم أحياء **قوله** : (والذي يتخذون القبور مساجد) أي بالصلاة والدعاء عندها . **قال ابن القيم** : وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه ، وفهم عن الرسول ﷺ مقاصده ، جزم جزماً لا يحتمل

* * *

النقيض أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغتيه : صيغة (لا تفعلوا) وصيغة (إني أنهاكم) ليس لأجل النجاسة بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة من عصاه وارتكب ما عنه نهاه ، واتبع هواه ولم يخش ربه ومولاه ، وقل نصيبه أو عدم من تحقيق لا إله إلا الله ، فإن هذا وأمثاله من النبي ﷺ صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه ، وتجريد له وغضب لربه أن يعدل به سواه ، فأبى المشركون إلا معصية لأمره ، وارتكاباً لنهيه وغرهم الشيطان بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين ، وكلما كنتم أشد لها تعظيماً ، وأشد فيهم غلواً ؛ كنتم بقربهم أسعد ، ومن أعدائهم أبعد ، ولعمر الله من هذا الباب بعينه دخل على عباد يغوث ويعوق ونسر ، ودخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة .

* * *

فيه مسائل

الأولى : ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح ، ولو صحت نية الفاعل .

الثانية : النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك .

الثالثة : العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك ، كيف بين لهم هذا أولاً ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان في النزْع لم يكتف بما تقدم .

الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر .

الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم .

السادسة : لعنه إياهم على ذلك .

السابعة : أن مراده ﷺ تحذيره إيانا عن قبره .

الثامنة : العلة في عدم إبراز قبره .

التاسعة : في معنى اتخاذه مسجداً .

العاشرة : أنه قرن بين من اتخذها مسجداً وبين من تقوم عليه الساعة ، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .

الحادية عشرة : ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما شرّ أهل البدع ، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة ، وهم الرافضة والجهمية ، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور ، وهم أول من بنى عليها المساجد .

الثانية عشرة : ما بلي به ﷺ من شدة النزع .

الثالثة عشرة : ما أكرم به من الخلة .

الرابعة عشرة : التصريح بأنها أعلى من المحبة .

الخامسة عشرة : التصريح بأن الصدِّيق أفضل الصحابة .

السادسة عشرة : الاشارة إلى خلافته .

* * *

٢١ ـ باب
ما جاء أن الغُلُوَّ فى قبور الصالحين يُصيِّرُها أوثانًا تُعْبَدُ من دُون الله

روى مالكٌ فى المُوَطَّأ : أن رسول الله ﷺ قال : « اللَّهُمَّ لا تجعل قبرى وَثَنًا يُعْبَدُ ، اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتخَذُوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ » .

* * *

قوله : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد » قد استجاب الله دعاءه فحماه كما قال ابن القيم :

ودعا بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمه وثناً من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاءه بدعائه في عزة وحماية وصيان

قال القرطبي : بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته وسدوا المداخل إليها ، وجعلوها محدقة بقبره ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين فتتصور الصلاة إليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره .

ولابن جَرِيرٍ بسنده عن سُفْيانَ عن منصورٍ عن مُجَاهِدٍ ﴿أَفَرَأَيْتُم اللَّاتَ والعُزَّى﴾ ، قال : كان يَلُتُّ لهم السَّوِيقَ ، فمات ، فعكفُوا على قبره . وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يَلتُّ السَّويقَ للحاجِّ .

وعن ابن عباسٍ رضى الله عنهما قال : « لَعَنَ رسول الله ﷺ زَائِرَاتِ القُبُورِ ، والمُتَّخِذِينَ عليها

وفيه أنه لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه . ذكره المصنف .

قوله : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قال الشارح : هذه الجملة بعد الأولى تنبيه على سبب لحوق اللعن بهم وهو توسلهم بذلك إلى أن تصير أوثاناً تعبد ؛ ففيه اشارة إلى ما ترجم له المصنف . قوله : « ولابن جرير » إلى آخره تقدم تقريره . قوله : « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور » أي من النساء وهو يدل على تحريمه عليهن . وقد قيل في تعليل ذلك أنه يخرجها إلى الجزع والندب والنياحة والإفتتان بها وبصوتها وتأذى الميت ببكائها كما في حديث آخر « فإنكن تفتن الحي وتؤذين الميت »

المساجدَ والسُّرُجَ » . رواهُ أهل السُّنَنِ .

* * *

قوله : (والسرج) قال أبو محمد المقدسي : لو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن فاعله ولأن فيه تضييعاً للمال بغير فائدة وإفراط في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام . وقال ابن القيم : اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير الأوثان .

الثانية : تفسير العبادة .

الثالثة : أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه .

الرابعة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد .

الخامسة : ذكر شدة الغضب من الله .

السادسة : وهي من أهمها ، معرفة صفة عبادة اللات ، التي هي أكبر الأوثان .

السابعة : معرفة أنه قبر رجل صالح .

الثامنة : أنه اسم صاحب القبر ، وذكر معنى التسمية .

التاسعة : لعنه زَوَّارات القبور .

العاشرة : لعنه من أسرجها .

٢٢ - باب
ما جاء فى حمايةِ المصطفى ﷺ جنابَ التوحيدِ وسَدِّه كلَّ طريق يوصل إلى الشرك

وقولِ الله تعالى : ﴿ لقد جَاءَكُمْ رسولٌ من أَنْفُسِكُمْ عزِيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ ﴾ الآية .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول

* * *

قال الشارح : الجناب هو الجانب . قوله : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾[1] امتنَّ تعالى على العرب في بعث الرسول منهم أي ليس من غير لسانكم ولا ملكاً لا تقدرون على مخاطبته قال تعالى : ﴿ لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ﴾[1] الآية قوله : ﴿ عزيز عليه ما عنتم ﴾ أي شديد عليه عنتكم أي الأمر الذي يشق عليكم . قوله : ﴿ حريص عليكم ﴾ روى الطبراني بسند جيد عن أبي ذر قال تركنا رسول الله ﷺ وما من طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا فيه علماً . قال : وقال ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ١٢٨ .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٤ .

الله ﷺ : « لا تجعلُوا بيوتكم قُبوراً ، ولا تجعلوا قبرى عيدًا ، وصلوا عَلَيَّ ، فإنّ صلاتكم تبلُغنى حيث كُنتم » . رواه أبو داود بإسناد حسنٍ ، ورواته ثقاتٌ .

وعن على بن الحسين رضى الله عنه : « أَنه رأَى رجُلاً يجىء إلى فرجةٍ كانت عند قبر النبى ﷺ فيدخُلُ فيها فيدعو ، فنَهاه ، وقال : ألا أُحَدِّثكم حديثًا سمعته

قوله : (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً) قال شيخ الإسلام : أي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور ، فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريها عند القبور ؛ عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم ؛ وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعاً « اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً » وقوله « ولا تجعلوا قبري عيداً » قال ابن القيم : العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان أو مكان . قوله : « وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » قال شيخ الإسلام : يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبُعدكم فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيداً . قوله : « فرجة » بضم الفاء قوله : (فنهاه) قال الشارح رحمه الله : الحديث يدل على النهي عن قصد القبور لأجل الصلاة والدعاء عندها لأن ذلك من اتخاذها عيداً كما فهمه علي

من أبى عن جدى عن رسول الله ﷺ ؟ قال : لا تتَّخذوا قبْرى عيدًا ، ولا بيوتكم قبورًا ، فإنَّ تسليمكم ليبلُغُنى أينما كنتم » . رواه فى المختارة .

***

ابن الحسين من الحديث ، فنهى ذلك الرجل عن المجيء إلى قبر النبي ﷺ فكيف بقبر غيره ؟ ويدل أيضاً على أن قصد الرجل القبر لأجل السلام إذا لم يكن يريد المسجد من اتخاذه عيداً المنهي عنه ، ويدل أيضاً على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه لأن ذلك من اتخاذه عيداً . وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل إنسان المسجد أن يأتي إلى قبر النبي ﷺ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك قال ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . اهـ ملخصاً .

***

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية براءة .

الثانية : إبعاده أمته عن هذا الحِمَى غاية البعد .

الثالثة : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

الرابعة : نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال .

الخامسة : نهيه عن الاكثار من الزيارة .

السادسة : حثه على النافلة في البيت .

السابعة : أنه متقرر عندهم أنه لا يصلي في المقبرة .

الثامنة : تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بَعُدَ ، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب .

التاسعة : كونه ﷺ في البرزخ تعرض عليه أعمال أمته ، في الصلاة والسلام عليه .

* * *

٢٣ ـ باب
ما جاء أنَّ بعض هذه الأُمَّة يَعبُدُ الأوثان *

وقولِ الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِين أُوتوا نصيبًا منَ الكتَابِ يُؤْمِنُون بالجِبت والطَّاغُوتِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ من ذلك مَثُوبةً عندَ اللهُ ؟ مَنْ لَعنهُ اللهُ وغضب عليهِ وجعَل منهم القِرَدَةَ والخنازير وعَبَدَ الطّاغُوتَ ﴾ .

* * *

* أي عكس ما يقول الجاهلون أو المعاندون إن الشرك لا يوجد في هذه الأمة . قوله : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾(١) وجه الدلالة أنه إذا كان في أهل الكتاب من يؤمن بالجبت والطاغوت فالرسول ﷺ قد أخبر أن أمته ستفعل مثل ذلك . ويأتي معنى الجبت والطاغوت إن شاء الله .

قال المصنف : وفيه معرفة الإيمان بالجبت والطاغوت هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها . قوله : ﴿ قل هل أنبئكم بشرّ من ذلك ﴾ الآية : قال الشارح يقول تعالى لنبيه ﷺ قل يا محمد لهؤلاء الذين

(١) سورة النساء : الآية : ٥١ .

وقوله : ﴿ قال الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عليهم مَسْجِدًا﴾ .

* * *

اتخذوا دينكم هزواً ولعباً ﴿ هل أنبئكم ﴾ أي هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا : هم أنتم أيها المتصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله : ﴿ من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ﴾[1] اهـ ملخصاً .

قال شيخ الإسلام في قوله : ﴿ وعبَد الطاغوت ﴾ الصواب أنه معطوف على قوله ﴿من لعنه الله وغضب عليه﴾ فهو فعل ماض معطوف على ما قبله أي ومن عبد الطاغوت . ولم يعد ﴿من﴾ لأنه جعل هذه الأفعال كلها صفة لصنف واحد وهم اليهود ، ملخص .

ووجه الدلالة من الآية أنه إذا كان في اليهود من عبد الطاغوت فكذلك يكون في هذه الأمة ؟

قوله : ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم ﴾[1] الآية : ووجه الدلالة أنه إذا كان أهل الكتاب يتخذون على القبور المساجد فكذلك هذه الأمة . وذكر ابن جرير في الذين قالوا ذلك هل هم المسلمون أو الكافرون ؟ وعلى كل حال فهم مذمومون . قوله :

---

(١) سورة المائدة الآية : ٦٠ (٢) سورة الكهف الآية : ٢١

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لتتَّبعنَّ سَنَنَ من كان قبلكم ، حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لَدخلتُموهُ . قالوا : يا رسول الله اليهودَ والنصارى ؟ قال : فمن ؟ » أخرجاهُ .

« سنن من كان قبلكم » أي طريقتهم ، بفتح السين وقيل بضمها . قوله (حذو) بفتح الواو (والقذة) بضم القاف أي ريشة السهم ، وله قذتان متساويتان أي تساوونهم في أفعالهم مثل مساواة القذة لصاحبتها .

قال الشارح : وهذا من معجزاته ﷺ فقد تبع كثير من أمته سنن اليهود والنصارى وفارس في شيمهم ومراكبهم وملابسهم وإقامة شعائرهم في الأديان والحروب والعادات من زخرفة المساجد ، وتعظيم القبور واتخاذها مساجد حتى عبدوها وإقامة الحدود والتعزيرات على الضعفاء دون الأقوياء وترك العمل يوم الجمعة ، والتسليم بالأصابع ، وعدم عيادة المريض يوم السبت ، واتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً ، والاعراض عن كتاب الله والإقبال على كتب الضلال ، إلى غير ذلك مما اتبعوا فيه اليهود والنصارى .

قوله : (حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) وفي حديث آخر (حتى لو أن أحدهم جامع أمه على الطريق لفعلتموه) قال شيخ الإسلام : هذا خرج مخرج الخبر والذم لمن يفعله كما كان يخبر

ولمسلم عن ثَوْبانَ رضى الله عنه ، أَن رسول الله ﷺ قال : « إن الله زَوَىٰ لِىَ الأرضَ فرأَيتُ مشارقها ومغاربها . وإنَّ أُمَّتى سيَبلغُ مُلكُها ما زُوِىَ لِى منها . وأُعطيتُ الكَنزين : الأحمرَ والأبيضَ ، وإنى سأَلتُ ربِّى لأُمَّتى

———— *** ————

عما يكون بين يدي الساعة من الأشراط والأمور المحرمة .

قوله : (إن الله زوى لي الأرض) قال القرطبي : أي جمعها لي حتى أبصرت ما تملك أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها . وظاهر هذا اللفظ يقتضي أن الله قوّى إدراك بصره ورفع عنه الموانع المعتادة فأدرك البعيد من موضعه كما أدرك بيت المقدس من مكة وأخذ يخبرهم عن آياته وهو ينظر إليه . قوله : (وإن أمتي سبلغ ملكها ما زوى لي منها) قال القرطبي : هذا الخبر قد وجد مخبره كما قاله فكان ذلك من دلائل نبوته وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ بحر طنجة (بالنون والجيم) الذي هو منتهى عمارة المغرب وإلى أقصى الشرق مما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد السند والهند والصفد ، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال ، ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه قوله : (وأُعطيت الكنزين) قال القرطبي:هما كنز كسرى ملك الفرس وكنز قيصر ملك الروم وقصورهما وبلادهما

أَن لا يُهلكَها بسنةٍ بِعَامَّة . وأن لا يُسَلِّطَ عليهم عدُوًّا من سِوى أنفسهمْ ، فيَسْتَبيحَ بيْضَتَهُمْ . وإنَّ ربِّي قال : يا محمدُ . إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرَد . وإني أعطيتُكَ لأُمَّتك أَن لا أُهلكهُم بسنةٍ بِعَامَّة . وأن لا أُسلِّطَ عليهم عدوًّا من سِوى أنفسهم فيَسْتَبيحَ بَيْضَتهم ، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها . حتى يكون بعضُهُم يُهلكُ بعضًا ويَسْبِي بعضُهم بعضًا » . ورواهُ البَرْقاني

***

وقد دل على ذلك قوله (والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله) وقد وجد ذلك في زمان الفتوح في إمارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت أمواله وكذلك فعل الله بقيصر لمافتح بلاده .

قوله : (بسنة بعامة) وفي رواية بترك الباء يعني الجدب العام الذي يكون به الهلاك العام . قوله : (فيستبيح بيضتهم) قال الشارح : الظاهر أن المراد أن الله لا يسلط الكفار على معظم المسلمين وجماعتهم وإمامهم ماداموا بضد هذه الأوصاف المذكورة في قوله :(حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً) فأما إذا وجدت هذه الأوصاف فقد يسلط الكفار على جماعتهم ومعظمهم كما وقع فإن هذه الأمة لما جعل بأسها بينهاتفرقت جماعتهم واشتغل بعضهم ببعض عن جهاد العدو

فى صحيحه ، وزاد : « وإنما أخافُ على أُمَّتى الأئمَّةَ المُضلِّين ، وإذا وقَعَ عليهم السيف لم يُرْفَعْ إلى يوم القيامة ، ولا تقومُ الساعةُ حتى يَلْحَق حيٌّ من أُمَّتى

فاستولى .

قوله : (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) أي من الأمراء والعلماء والعباد الذين يقتدي بهم الناس ؛ وروى الدارمي عن زياد بن حدير قال : قال لي عمر بن الخطاب : هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قلت لا . قال : يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين ، وفي كلام معاذ بن جبل : واحذروا زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول بالضلالة على لسان الحكيم ، رواه أبو داود ، وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى .

وهل أفسد الدين إلا الملوك   وأحبار سوء ورهبانها

قوله : (وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة) وقع كما أخبر فإنه لما وقع بقتل عثمان لم يرفع ولكن يكثر تارة ويقل أخرى ، ويكون في جهة دون أخرى . قوله : (حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين) وفي رواية أبي داود (ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين) أي يشاركونهم

بالمشركين . وحتى تَعبُدَ فِئَامٌ من أُمَّتى الأوْثانَ . وإنهُ سيكونُ فى أُمَّتى كذَّابون ثلاثون ، كلهم يَزْعُم أنه نبيٌّ ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبيَّ بعدى . ولا تزال طائفةٌ منْ

في المسكن عندهم والديانة . قوله : (وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان) الفئام مهموز الجماعات الكثيرة . وفي رواية أبي داود (حتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان) وهذا شاهد الترجمة . ومثله ما في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً « لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة » قال : وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية . وروى ابن حبان عن معمر قال إن عليه الآن بيتاً مبنياً مغلقاً . وفي صحيح مسلم عن عائشة مرفوعاً « لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى » .

قوله : (وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي) قال الحافظ ليس المراد من ادعى النبوة مطلقاً فإنهم لا يحصون كثرة وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت لهم شبهة ، وقد أهلك الله من وقع منهم ذلك وبقي منهم من يلحق بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر .

قوله : (ولا تزال طائفة من أمتي على الحق) قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من

أُمَّتي على الحقِ منصورةً ، لا يَضُرُّهم مَنْ خَذَلهُم . حتى يأتى أمرُ اللهِ تبارك وتعالى » .

* * *

هم . ويحتمل أن تكون هذه الطائفة من أنواع المؤمنين فمنهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخر من الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل يكونون متفرقين :

(قلت) : والحاصل أنهم العاملون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ

قال المصنف : وفيه الآية العظيمة أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ؛ والبشارة بأن الحق لا يزول كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة . قوله : (حتى يأتي أمر الله) قال الشارح : الظاهر أن المراد بأمر الله ما روي من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة ووقوع الآيات العظام ثم لا يبقى إلا شرار الناس فعليهم تقوم الساعة كما جاء في الأحاديث انتهى بمعناه .

وقال أيضاً : وفي كلام ابن بطال ما يدل على أن هذه الطائفة لا يجب أن تكون في الشام أو بيت المقدس بل قد تكون في موضع آخر لكن لا تخلو الأرض منها حتى يأتي أمر الله وهذا هو الحق . وقوله : في الحديث (هم ببيت المقدس) وقول معاذ

* * *

بالشام : المراد أنهم يكونون فيه بعض الأزمان دون بعض .

(أحاديث وآثار تتعلق بالباب)

قال محمد بن نصر رحمه الله : حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي حدثنا بشر بن المفضل حدثنا داود يعني ابن أبي هند عن أبي عطاء اليحبوري قال : قال عبادة بن الصامت يا أبا عطاء كيف تصنعون إذا فر قراؤكم وعلماؤكم منكم حتى يصيروا إلى رؤوس الجبال مع الوحش ؟ قال : قلت : ولم يفعلون ذلك ؟ قال : خشية أن تقتلوهم . قال : قلت : سبحان الله أنقتلهم وكتاب الله بين أظهرنا نقرؤه ؟ قال : ثكلت أبا عطاء أمه ؛ ألم تؤت اليهود التوراة ثم ضلوا عنها وتركوها . ألم تؤت النصارى الإنجيل ثم ضلوا عنه وتركوه ؟ إنما هي السنن يتبع بعضها بعضاً ، إنه والله ما من شيء كان ممن قبلكم إلا سيكون فيكم .

حدثنا اسحق بن إبراهيم حدثنا جرير عن الأعمش عن يحيى ابن عبيد أبي عمر قال سمعت رجلاً من أشجع قال : قال عبد الله ابن مسعود : أنتم أشبه الناس ببني إسرائيل والله لا تدعون شيئاً عملوه إلا عملتموه ، ولا كان فيهم شيء إلا سيكون فيكم مثله ، فقال له رجل يكون فينا مثل قوم لوط ؟ قال : نعم ممن أسلم وعرف نسبه .

* * *

حدثنا بندار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبي قيس الهذيلي قال : قال عبد الله : أنتم أشبه الناس سمتاً وهيئة ببني إسرائيل تتبعون آثارهم حذو القذة بالقذة ، لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله .

حدثنا اسحق حدثنا أبو خالد عن يحيى بن سعيد الأنصاري أنه سمع عمر بن الحكم يقول أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : لتركبن سنة من قبلكم حلوها ومرها .

حدثنا اسحق حدثنا جرير عن الأشعث بن اسحق عن جعفر ابن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا كائن فيكم .

وقال أيضاً : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أحمد بن عبد الله ابن يونس حدثنا شهر حدثني ابن غنم أن أبا شداد بن أوس حدثه عن حديث رسول الله ﷺ « ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين من قبلهم من أهل الكتاب حذو القذة بالقذة » وقال أيضاً : حدثنا اسحق حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن همام بن الحارث قال : كنا عند حذيفة فذكروا: ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[1] فقال رجل من القوم : إنما هذا في

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٤

بني إسرائيل فقال حذيفة : نعم الأخوة لكم بنو إسرائيل إن كان لهم المر ولكم الحلو ، كلا والذي نفسي بيده حتى تتخذوا السنة بالسنة حذو القذة بالقذة .

وقال أيضاً : حدثنا إسحق حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي عن عبد الله ابن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « سيأتي على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلاً بمثل حذو النعل بالنعل ، وإنهم تفرقوا على اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار غير واحدة » قالوا يا رسول الله وما تلك الواحدة ؟ قال هو ما أنا عليه اليوم وأصحابي .

وقد تقدم حديث أبي واقد وحديث أبي هريرة وحديث ثوبان ، ذكرهن المصنف وتقدم قريباً حديث أبي هريرة « لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة » وحديث عائشة « لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى » وفي الباب أحاديث وآثار لا تحصى كثرة تدل على ما هو الواقع من أزمنة متطاولة من الشرك والبدع وسائر أنواع المعاصي . ولهذا جاء الترغيب بالتمسك بالسنة عند وقوع هذه الأشياء .

قال ابن نصر : حدثنا أبو قدامة عبد الله بن سعيد حدثنا عبد

الرحمن بن مهدي حدثنا عبد الله بن المبارك عن عتبة بن أبي حكيم عن عمر بن جابر اللخمي عن أبي أمية الشعباني قال : لقيت أبا ثعلبة الخشني فسألته عن قوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً ، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ، وإياك وأمر العوام فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله » قال وزادني غيره « قيل له خمسين منهم ؟ قال خمسين منكم » .

حدثني محمد بن ادريس حدثنا عبد الله بن يوسف التنيسي حدثنا خالد بن يزيد بن صبيح المري عن إبراهيم بن أبي عبلةَ عن عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة وكان من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : « إن من ورائكم أيام : الصبر للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم » قالوا يا رسول الله أو منهم ؟ قال : « لا بل منكم » فهذا الأجر لمن تمسك بسنته على الحقيقة وقليل ما هم ، فإذا عرفت ذلك وعملت بموجبه تخلى عنك كثير ممن كان معك وبالله التوفيق .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية النساء .

الثانية : آية المائدة .

الثالثة : تفسير آية الكهف .

الرابعة : وهي أهمها ، ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع ، هل هو اعتقاد قلب ، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها ؟

الخامسة : قولهم : إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين .

السادسة : وهي المقصود بالترجمة ، أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة ، كما تقرر في حديث أبي سعيد .

السابعة : التصريح بوقوعها ، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة ، في جموع كثيرة .

الثامنة : العجب العجاب ، خروج من يدعِي النبوة مثل المختار ، مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة ، وأن الرسول حق ، وأن القرآن حق ، وفيه أن محمداً خاتم النبيين ، ومع هذا يُصَدَّق في هذا كله مع التضادّ الواضح ، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة .

التاسعة : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى ، بل لا تزال عليه طائفة .

العاشرة : الآية العظمى ، أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم .

الحادية عشرة : أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة .

الثانية عشرة : ما فيه من الآيات العظيمة ، منها إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب ، وأخبر بمعنى ذلك ، فوقع كما أخبر ، بخلاف الجنوب والشمال ، وإخباره بأنه أعطِي الكنزين ، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الإثنتين ، وإخباره بأنه مُنع الثالثة ، وإخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع إذا وقع ، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضاً ، وسبي بعضهم بعضاً ، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين ، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة ، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة . وكل هذا وقع كما أخبر ، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول .

الثالثة عشرة : حصره الخوف على أمته من الأئمة المضلين .

الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان .

* * *

٢٤ ـ باب
ما جاء في السِّحر *

وقولِ الله تعالى : ﴿ ولقد عَلِموا لَمَن اشتَراه ما له في الآخِرةِ منْ خَلاقٍ ﴾ . وقوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ

* * *

* أي من الدليل على أنه كفر مناف للإيمان والتوحيد ، قال أبو محمد المقدسي : السحر عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه .

قوله : ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خَلَاق ﴾(١) قال قتادة : وقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لاخلاق له في الآخرة قال الحسن : ليس له دين . وروى عبد الرازق عن صفوان بن سليم قال : قال رسول الله ﷺ « من تعلم شيئاً من السحر قليلاً كان أو كثيراً كان آخر عهده من الله » وهذا مرسل .

قوله: ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾(٢) ظاهر في كفره . قوله : ﴿ يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾(٣) قال عمر بن الخطاب : الجبت السحر والطاغوت الشيطان رواه ابن أبي حاتم ، وكذا كلام جابر بنحوه . وعن ابن عباس وعكرمة وأبي مالك : الجبت

(١) و(٢) سورة البقرة، الآية : ١٠٢ . (٣) سورة النساء، الآية : ٥١ .

والطَّاغُوتِ ﴾ . قال عمرُ : الجبتُ السِّحْر . والطاغوتُ : الشيطانُ . وقال جابرٌ : الطواغِيت كُهَّانٌ كان يَنْزِلُ عليهم الشيطانُ . في كلِّ حَيٍّ واحدٌ .

* * *

الشيطان . زاد ابن عباس « بالحبشية » وعنه : الجبت الشرك ، وعنه : الجبت الأصنام . وعنه الجبت حيي بن أخطب . وعن الشعبي الجبت الكاهن . وعن مجاهد : الجبت كعب بن الأشرف . وقال الجوهري : الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك . وفي الحديث « الطيرة والعيافة والطرق من الجبت » ا هـ .

وأما الطاغوت فأحسن ما قيل فيه وأكمله قول ابن القيم : الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع . فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه في غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله ﷺ إلى طاعة الطاغوت ومتابعته .

قوله : « كهان » أي إن الكهان من الطواغيت وليس المراد الحصر ، قوله : (في كل حي واحد) أي عند كل قبيلة كاهن .

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « اجتَنِبوا السَّبْعَ الموبِقاتِ . قالوا : يا رسول الله . وما هُنَّ ؟ قال : الشركُ بالله . والسحرُ . وقتلُ النفْس التى حرَّم الله إلا بالحق . وأكلُ الرّبا . وأكلُ مال اليتيم . والتَّوَلِّى يومَ الزحْفِ . وقذفُ المحصَنات الغافلات المؤمنات » .

قوله : (عن أبي هريرة) الحديث في الصحيحين . قوله : (الموبقات) أي المهلكات قوله : (الشرك بالله) قدّمه لأنه أعظم الذنوب ، قال ابن القيم في تعريفه :

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيا كان من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الديان

قوله : (والسحر) تقدم . وهو شاهد الترجمة . قوله : (وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق) وهو الشرك أو قتل نفس مسلمة أو زنا بعد إحصان قوله : (وأكل الربا) أي تعاطيه والمعاملة به ، للآيات والأحاديث في ذلك قوله : (وأكل مال اليتيم) يعني إهلاكه وإتلافه أو جحده وغصبه . قوله : (والتولي يوم الزحف) أي الإدبار عن وجوه الكفار وقت القتال غير متحرف أو متحيز إلى فئة . قوله : (وقذف المحصنات) أي

وعن جُنْدَبٍ مرفوعًا : « حَدُّ الساحِرِ ضَرْبةٌ بالسَّيْفِ » . رواه الترمذى . وقال : الصحيحُ أنه موقوف .

وفى صحيح البخارى عن بَجَالَةَ بن عَبدَةَ قال : «كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنِ اقتُلوا كلَّ ساحرٍ وساحرَةٍ . قال : فقتلنا ثلاثَ سواحِرَ» . وصحَّ عن حَفْصَةَ رضى الله عنها أنها أمرتْ بقتل جارية لها سَحرتها ، فقُتِلَتْ . وكذلك صح عن جُنْدَبٍ .

* * *

العفيفات وإن لم يزوجن (الغافلات) أي البريئات والمراد قذفهن بالزنا أو اللواط . قوله : (المؤمنات) أي فالكافرات ليس قدفهن من الكبائر . قوله : (ضربه بالسيف) يروى بالهاء والتاء وكلاهما صحيح .

قوله : (وفي البخاري) قال الشارح : الذي في البخاري ليس فيه قتل السحرة ، فلعل المصنف أراد أصله لا لفظه ؛ قوله : (بجالة) بفتح الموحدة بعدها جيم ، ابن عبده بفتحتين .

قوله : « أن اقتلوا كل ساحر وساحرة » صريح في قتل الساحر من غير استتابة كما هو أصح القولين ، ويدل عليه قوله (وصح عن حفصة) أي أم المؤمنين . رواه في الموطأ ، وكذلك صح عن جندب . قال الشارح : المراد به هنا جندب الخير لا

قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ .

الأزدي . **قوله** : (**عن ثلاثة**) أي عمر وحفصة وجندب .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية النساء .

الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما .

الرابعة : أن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الانس .

الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي .

السادسة : أن الساحر يكفر .

السابعة : أنه يقتل ولا يستتاب .

الثامنة : وجود هذا في المسلمين على عهد عمر ، فكيف بعده ؟ .

* * *

٢٥ ـ باب
بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عَوْفٌ ، عن حَيَّانَ بن العَلاءِ ، حدثنا قَطَنُ بن قَبيصةَ ، عن أبيه ، أنه سمع النبيَّ ﷺ قال : « إنَّ العِيافة والطَّرْقَ والطِّيَرَةَ مِن الجِبْتِ » .

قال عوفٌ : العِيافةُ : زَجْرُ الطيْرِ ، والطَّرْقُ : الخَطُّ يُخَطُّ بالأرض ، والجبتُ : قال الحسنُ : رَنَّةُ الشيطان . إسناده جيد . ولأبى داود والنسائى وابن حِبَّانَ فى صحيحه المسْنَدُ منه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال

* * *

لما ذكر رحمه الله حكم السحر ذكر شيئاً من أنواعه . قوله : (قبيصة) بفتح القاف ، وتفسير عوف كاف . قوله : (ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه) . المسند مرفوع مبتدأ مؤخر أي أن أبا داود والنسائي وابن حبان اقتصروا على الحديث دون تفسير عوف . قال الشارح : وقد رواه أبو داود

رسول الله ﷺ : « مَن اقتَبس شُعبَةً من النجوم فقد اقتبسَ شُعبةً منَ السِّحرِ ، زادَ ما زاد » رواه أبو داود ، وإسناده صحيحٌ .

وللنسائي من حديث أبي هريرة : « مَن عَقَدَ عُقْدَةً ، ثم نَفثَ فيها فقد سحَرَ ، ومن سَحَرَ فقد أشرك .

* * *

بالتفسير دون كلام الحسن . قوله : (من اقتبس) أي تعلم وحصّل . قوله : (فقد اقتبس شعبة من السحر) .

قال شيخ الإسلام : فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر ، وقد قال تعالى : ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ وهكذا الواقع فإن الاستقراء يدل على أن أهل النجوم لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة .

قوله : (زاد ما زاد) أي كلما زاد في اقتباس علم النجوم زاد في الإثم أو زاد في اقتباس شعب السحر ما زاد اقتباس علم النجوم ، وهما متلازمان . قاله الشارح ؛ قوله : (من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر) اعلم أن السحرة إذا أرادوا عمل السحر عقدوا الخيوط ونفثوا على كل عقدة حتى ينعقد ما يريدونه من السحر ، ولهذا أمر الله بالاستعاذة من شرهم في قوله ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾ يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك ، والنفث

ومن تعلَّق شيئًا وُكِل إليه » .

وعن ابن مسعود ، أن رسول الله ﷺ قال : « ألا هل أُنبِّئُكم ما العَضْهُ؟ هى النَّميمةُ ، القالةُ بين الناس » . رواه مسلم .

***

هو النفخ مع ريق ، وهو دون التفل ؛ وهو رتبة بينهما . والنفث فعل الساحر ، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة نفخ في تلك العقد نفخا معه ريق فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى مقترن بالريق الممازج لذلك ، وقد تساعد هوى النفس الشيطانية على أذى المسحور فيصيبه السحر بإذن الله الكوني القدري لا الإذن الشرعي . قاله ابن القيم ، والحديث نص في أن السحر شرك .

قوله : (ما العضه) بفتح العين وسكون الضاد المعجمة ، قال ابن الأثير : هكذا تروى في كتب الحديث وقال الزمخشري : أي البهت . قال الشارح : ظاهر إيراد المصنف لهذا الحديث هنا أن العضه عنده السحر . قوله : (القالة بين الناس) قال ابن الأثير أي كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يحكى لبعضهم عن بعض ، وقال أبو الخطاب : ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس ، اهـ ، وهي محرمة إجماعاً لأنها من الكبائر .

ولهما عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ من البَيانِ لَسِحرًا » .

***

قوله : « إن من البيان لسحراً » قال صعصعة بن صوحان هو الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق ؛ وروى أحمد وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً (إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تخلل البقرة بلسانها) وروى أبو داود عن عمرو بن العاص أنه قال يوماً ، وقال رجل فأكثر القول فقال عمرو : لو قصد في قوله لكان خيراً له ، سمعت رسول الله ﷺ قال لقد رأيت أو لقد أمرت أن أتجوز في القول فإن الجواز هو خير .

***

فيه مسائل

الأولى :أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت .

الثانية : تفسير العيافة والطرق والطيرة .

الثالثة : أن علم النجوم من أنواع السحر .

الرابعة : أنّ العقد مع النفث من ذلك .

الخامسة : أن النميمة من ذلك .

السادسة : أن بعض الفصاحة منه .

٢٦ ـ باب
ما جاء فى الكُهّان ونحوهم

روى مسلم فى صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ ، عن النبي ﷺ ، قال : « مَن أتى عَرّافًا فسأله عن شئ فصدَّقَه ، لم تُقبل له صلاةٌ أربعين يومًا » .

وعن أبى هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « مَن أتى كاهنًا فصدَّقَه بما يقولُ فقد كفرَ بما أُنزِل على محمد ﷺ » . رواه أبو داود .

وللأربعةِ والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما . عن [أبى هريرة] : « مَن أَتى عَرّافًا أو كاهنًا فصدَّقَه بما يقول فقد كفر بما أُنزلَ على محمد ﷺ » .

ولأبى يَعْلَى بسندٍ جيدٍ عن ابن مسعودٍ مِثْلُه موقوفًا .

* * *

قوله : « من أتى عرّافاً » الحديث ، قال الشارح : ليس في مسلم (فصدقه بما يقول) وظاهر الحديث أن الوعيد مرتب على مجيئه سواء صدقه أو شك في خبره ، قوله : (فقد كفر بما أُنزل على محمد) روى هذا الحديث أبو هريرة كالـذي قبلـه . قال

وعن عِمرانَ بنِ حُصَين مرفوعًا : « ليس مِنّا من تَطيَّر أو تُطُيِّرَ له ، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّن له ، أو سَحَرَ أَوْ سُحِرَ له ، ومن أَتى كاهنًا فصدَّقَه بما يقول ، فقد كفر بما أُنزل على محمدٍ ﷺ » . رواه البَزَّارُ بإسنادٍ جيِّدٍ . ورواه الطَّبَرَانىُّ فى الأوْسط بإسنادٍ حسنٍ من حديث ابن عَبَّاسٍ ، دون قوله « ومن أتى » إلى آخره .

قال البَغَوِىُّ : العَرَّافُ : الذى يَدَّعِي معرفةَ الأمور بمقدماتٍ يستدلُّ بها على المسروقِ ومكان الضالَّةِ ونحو ذلك ، وقيل : هو الكاهنُ . والكاهنُ : هو الذى يخبر عن المغيباتِ فى المستقبل ، وقيل : الذى يُخبرُ عما فى الضمير . وقال أبو العبّاس بنُ تَيْمِيَّةَ : العَرَّافُ اسمٌ للكاهن والمَنجِّم والرَّمَّالِ ونحوهم ، ممن يتكلمُ فى معرفة الأمور بهذه الطُرُقِ . وقال ابن عباسٍ ، فى قومٍ يَكْتُبون

الشارح : الحديث الذي فيه الوعيد بعدم قبول الصلاة ليس فيه تصديقه ، والأحاديث التي فيها الكفر مقيدة بتصديقه ، وهل الكفر في هذا كفر دون كفر أو يجب التوقف : فلا يقال ينقل عن

«أبا جادٍ» ، وينظرون فى النُّجومِ : ما أَرَى مَن فَعَل ذلك له عندَ اللهِ مِن خَلاقٍ .

الملة ؟ روايتان عن أحمد . قوله : (يكتبون أبا جاد) أي ويتعلمونها يدعون بها معرفة الغيب وهو المسمى عندهم علم الحروف . قوله (ما أرى) أي ما أظن أو ما أعلم .

* * *

فيه مسائل

الأولى :لا يجتمع تصديق الكاهن مع الايمان بالقرآن .

الثانية : التصريح بأنه كفر .

الثالثة : ذكر من تكهن له .

الرابعة : ذكر من تطير له .

الخامسة : ذكر من سحر له .

السادسة : ذكر من تعلم «أبا جاد» .

السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعراف .

* * *

٢٧ ـ باب
ما جاء فى النُّشْرةِ *

عن جابر: «أن رسول الله ﷺ سُئلَ عن النُّشرةِ، فقال: هى من عملِ الشيطان». رواه أحمد بسند جيدٍ، وأبو داود، وقال: سُئلَ أحمد عنها فقال: ابن مسعود يَكْره هذا كلُّه. وفى البخارى عن قتادة: قلتُ لابنِ المُسيَّبِ: رجلٌ به طِبٌّ أو يؤخذُ عن امرأتهِ، أيُحَلٌّ عنه أو يُنْشَرُ؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به

---

* قال ابن القيم: هي حل السحر عن المسحور. قوله: (به طب) أي سحر، قوله: (يؤخذ) بفتح الواو مهموز وتشديد الخاء المعجمة، وبعدها ذال معجمة أي يحبس عن امرأته فلا يصل إلى جماعها، والأخذة بضم الهمزة الكلام الذي يقوله الساحر (أيحل) بضم الياء التحتية. قوله: (أو ينشر) بضم الياء أيضاً وتشديد الشين، وكلام ابن القيم الذي ذكره المصنف كافٍ فيما يجوز من ذلك وما لا يجوز.

قال الشارح: ومما جاء في النشرة الجائزة ما رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تقرأ في إناء فيه ماء ثم تصب

الإصلاحَ ، فأما ما يَنفعُ فلم يُنهَ عنه ، انتهى . ورُوى عن الحسن أنه قال : لا يحلُّ السحرَ إلا ساحرٌ. قال ابنُ القيِّم : النُّشرةُ حَلُّ السحرِ عن المسحور ، وهى نوعان : حَلٌّ بسحرٍ مثلِه ، وهو الذى من عملِ الشيطان . وعليه يُحمَلُ قولُ الحسن ، فيتقرَّبُ الناشرُ والمنتشِرُ إلى الشيطان بما يُحبُّ ، فيبطُلُ عملُه عن المسحورِ. والثانى : النُّشرةُ بالرُّقْيةِ والتعوُّذات والأدوية والدعواتِ المباحة . فهذا جائزٌ.

* * *

على رأس المسحور ﴿ قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله ﴾[1] الآيتين . وقوله : ﴿ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ﴾[2] إلى أربع آيات . وقوله : ﴿ إنما صنعوا كيد ساحر ﴾ ، الآية . وقال ابن بطال في كتاب وهب بن منبه : أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه اية الكرسي والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به ، فإنه يذهب عنه ما كان به ، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله .

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٨١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١١٨ .

٢٨ ـ باب

ما جاء في التطيُّر

وقول الله تعالى : ﴿ ألا إنَّما طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ ولكنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ .

* * *

قال الشارح : لما كانتِ الطيرة باباً من الشرك منافياً للتوحيد أو لكماله ذكرها المصنف تحذيراً منها . واعلم أن من كان معتنياً بها كانت أسرع إليه من السيل إلى منحدره ، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ، ويفتح له الشيطان من المناسبات القريبة والبعيدة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه وينكد عليه عيشته اهـ مخلصاً .

قوله : ﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ﴾[1] أول الآية قوله : ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ﴾[2] الآية : قال الشارح :

فيه مسائل

الأولى : النهي عن النشرة .

الثانية : الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه ، مما يزيل الاشكال .

(١) و (٢) سورة الأعراف : ١٣١ .

وقوله : ﴿ قالوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ الآية .

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا عَدْوَى ، ولا طِيرَةَ ، ولا هامَةَ ، ولا صَفَرَ » .

* * *

المعنى إن آل فرعون إذا أصابتهم الحسنة أي الخصب والسعة والعافية على ما فسره مجاهد وغيره ﴿ قالوا لنا هذه ﴾ أي نحن الجديرون الحقيقيون به ونحن أهله ﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ أي بلاء وضيق وقحط ﴿ يطَّيَّروا بموسى ومن معه ﴾ فيقولون هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا شؤمهم ، فأخبر سبحانه أن طائرهم عند الله ، قال ابن عباس : (طائرهم) ما قضى عليهم وقدر لهم ، وفي رواية شؤمهم عند الله ﴿ ومن قبله ﴾ أي إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله ، وقيل : المعنى إن الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار لا هذا الذي أصابهم في الدنيا . وقوله : ﴿ قالوا طائركم معكم ﴾ قال الشارح : المعنى والله أعلم أي حظكم وما نالكم من خير وشر معكم أي بسبب أفعالكم ليس هو من أجلنا ولا بسببنا ، فالتطير من أعمال أعداء الرسل كما في الآيتين .

قوله : « لا عدوى » يقال أعداه الداء يعديه أعداء وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء ، وفي بعض روايات هذا الحديث : فقال أعرابي : يا رسول الله فما للإبل تكون في الرمل كأنها

الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها قال فمن أعدى الأول ؟ وفي بعض روايات الحديث (وفر من المجذوم كما تفر من الأسد) وفي حديث آخر (لا يورد ممرض على مصح) والنهي عن الدخول على موضع الطاعون ؛ فأشكل ذلك على كثير من العلماء . قال الشارح : وأحسن ما قيل في ذلك ما قاله البيهقي وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم أن قوله (لا عدوى) أي على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله ، وإن هذه الأمراض تعدي بطبعها وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من العيوب سبباً لحدوث ذلك ، وكل ذلك بتقدير الله كما قال « فمن أعدى الأول » يشير إلى أن الأول إنما جرب بقضاء الله وقدره ؛ فكذلك الثاني وما بعده .

وأما أمره بالفرار من المجذوم ونهيه عن إيراد الممرض على المصح ، وعن الدخول إلى موضع الطاعون فإنه من باب اجتناب الأسباب التي جعلها الله أسباباً للهلاك والأذى ، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية منها كما أنه يؤمر أن لا يلقي نفسه في الماء أو في النار أو تحت الهدم ، أو نحو ذلك مما جرت العادة أنه يهلك ، وكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم والقدوم على بلد الطاعون ، وأما إذا قوي التوكل على الله ، والإيمان بقضائه وقدره ، وقويت النفس على مباشرة هذه

الأسباب اعتماداً على الله ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر ، ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك لا سيما إذا كانت فيه مصلحة عامة أو خاصة ، وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة ثم قال « كل باسم الله ثقة بالله وتوكلاً عليه » ونظير ذلك ما روي عن خالد بن الوليد من أكل السم ومنه مشى سعد بن أبي وقاص وأبي مسلم الخولاني بالجيوش على متن البحر . قاله ابن رجب ا هـ ملخصاً .

قوله : « ولا طيرة » قال ابن القيم : هذا يحتمل أن يكون نفياً أو يكون نهياً أي لا تطيروا ولكن قوله في الحديث « ولا عدوى ولا صفر ولا هامة » يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها والنفي في هذا أبلغ من النهي ، لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي إنما يدل على المنع منه ، وأما قوله ﷺ « والشؤم في ثلاث : في المرأة والدار والدابة » فقال ابن القيم : ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله ، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعياناً مشؤومة على من قاربها أو سكنها وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر ، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه ؛ ويعطي غيرهما ولداً مشؤوماً

يريان الشر على وجهه ، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية وغيرها فكذلك الدار والمرأة والفرس والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس ، فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركة ، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له ، ويخلق بعضها نحوساً ينحس بها من قاربها وكل ذلك بقضائه وقدره كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ولذ بها من قاربها من الناس ؛ وخلق ضدها وجعلها سبباً لألم من قاربها من الناس ، والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس فكذلك في الديار والنساء والخيل ، فهذا لون والطيرة الشركية لون .

قوله : « ولا هامة » قال الفراء : الهامة طائر من طير الليل ؛ قال ابن الأعرابي : كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول نعت إليّ نفسي أو أحداً من أهل داري . وقال أبو عبيد كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة فتطير ويسمون ذلك الطائر الصدي ، وجزم به ابن رجب فظاهر كلام الفراء وابن الأعرابي أنها موجودة ، فالمعنى عليه أن الذي تعتقدونه في هذا الطائر باطل لا حقيقة له ، وعلى كلام أبي عبيد المراد نفيها وأنها لا توجد .

قوله : « ولا صفر » قال الشارح : بفتح الفاء روى أبو عبيدة معمر بن المثنى في غريب الحديث له عن رؤبة أنه قال هي

أخرجاه ، زاد مسلمٌ : « ولا نَوْءَ ، ولا غُولَ » .

وهما عن أنسٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا عَدْوَى ، ولا طِيَرَةَ ، ويُعجبُني الفألُ ، قالوا :

حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس ، وهي أعدى من الجرب عند العرب ، وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى ويكون عطفه على العدوى من عطف الخاص على العام ، وممن قال بهذا سفيان بن عيينة واحمد والبخاري وابن جرير ، وقال آخرون : المراد به شهر صفر ، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء ، وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه ، وهذا قول مالك ، وفيه نظر . وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول : إن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر ويقولون إنه شهر مشؤوم ، فأبطل النبي ﷺ ذلك ، قال ابن رجب : ولعل هذا القول أشبه الأقوال.

قوله : (ولا نوء) يأتي معناه إن شاء الله ، قوله : (ولا غول) بالضم ، قال ابن الأثير واحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول تتراءى للناس فتتغول تغولاً أي تتلون تلوناً ، وقيل ليس نفياً لوجود الغول وإنما هو إبطال زعم العرب أي إنها لا تستطيع أن تضل أحداً .

قوله : (ويعجبني الفأل) قال ابن القيم : ليس الإعجاب

وما الفألُ ؟ قال : الكلمةُ الطَّيِّبة » .

ولأبى داود بسند صحيح ، عن عُقبةَ بن عامرٍ ، قال : « ذُكِرَت الطِّيَرَةُ عند رسول الله ﷺ ، فقال : أحسنُها الفألُ ، ولا تَرُدُّ مسلمًا ، فإذا رأى أحدُكم ما يَكرهُ ، فليقل : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ، ولا يَدْفَعُ السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوةَ إلابك » .

وله من حديث ابن مسعودٍ مرفوعًا : « الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، الطِّيَرَةُ شركٌ ، وما مِنَّا إلَّا ، ولكن اللهُ يُذْهِبُهُ

بالفأل ومحبته شيء من الشرك بل إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها . وقال الحلبي : وإنما كان يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله بغير سبب محقق والتفاؤل حسن ظن به ، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله على كل .

قوله : (عن عقبة بن عامر) قال الشارح : صوابه عروة بن عامر كذلك أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما . **قوله** : (أحسنها الفأل) وقال ابن القيم : أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ولكنه خير منها ، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما

بالتوكُّل » . رواه أبو داود والترمذى وصححه ، وجعل آخِرَه من قول ابن مسعود .

ولأحمد من حديث ابن عَمْرو : « مَنْ رَدَّتْه الطِّيَرَةُ عن حاجته فقد أشرك ، قالوا : فما كفَّارةُ ذلك ؟ قال : أن يقول : اللهمَّ لا خيرَ إلا خيرُك ، ولا طيْرَ إلا طيْرُك ، ولا إلٰه غيْرُك » .

وله من حديث الفضل بن العباس رضى الله عنه : « إنما الطيَرَةُ ما أمضاك أو ردَّك » .

* * *

ومضرة الآخر . **قوله** : (وما منا إلا) أي إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك . قاله المنذري .

قوله : (إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك) قال الشارح : هذا حد الطيرة المنهي عنها بأنها ما أوجب للإنسان أن يمضي لما يريده ولو من الفأل فإن الفأل إنما يستحب لما فيه من البشارة والملاءمة للنفس ، فأما أن يعتمد عليه ويمضي لأجله مع نسيان التوكل على الله فإن ذلك من الطيرة وكذلك لو سمع ما يكره وتشاءم به وردّه عن حاجته فإن ذلك أيضاً من الطيرة .

* * *

فيه مسائل

الأولى : التنبيه على قوله : ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ مع قوله : ﴿طائركم معكم﴾ .

الثانية : نفي العدوى .

الثالثة : نفي الطيرة .

الرابعة : نفي الهامة .

الخامسة : نفي الصفر .

السادسة : أن الفأل ليس من ذلك ، بل مستحب .

السابعة : تفسير الفأل .

الثامنة : أن الواقع في القلب من ذلك مع كراهته لا يضرّ، بل يذهبه الله بالتوكل .

التاسعة : ذكر ما يقول من وجده .

العاشرة : التصريح بأن الطيرة شرك .

الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة .

* * *

٢٩ ـ باب
ما جاء فى التنجيم

قال البخارى فى صحيحه : قال قَتادةُ : خلقَ اللهُ هذه النجومَ لثلاثٍ : زينةً للسماءِ ، ورجومًا للشياطين ، وعلاماتٍ يُهتَدى بها ، فمن تأوّل فيها غيرَ ذلك أخطأ

* * *

قال شيخ الإسلام : هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية . قال الشارح : وهو ثلاثة أقسام (أحدها) : ما هو كفر بإجماع المسلمين وهو القول بأن الكواكب فاعلة مختارة ، وأن الحوادث مركبة على تأثيرها . (الثاني) : الاستدلال على الحوادث بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ويقولون إن ذلك بتقدير الله ومشيئته فلا ريب في تحريم ذلك ؛ وينبغي أن يقطع بكفر فاعله . (الثالث) : ما ذكره المصنف في تعلم المنازل . قوله : (لثلاث) أي كما في قوله تعالى : ﴿ ولقد زينَّا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾[١] وقوله : ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾[٢] .

---

(١) سورة الملك ، الآية : ٥ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ١٦٢ .

وأضاعَ نصيبه ، وَتَـكَـلَّفَ ما لا عِلمَ له به ، انتهى . وكره قتادة تعلُّمَ منازل القمر. ولم يُرخِّص ابنُ عُيينة فيه ، ذَكرهُ حَربٌ عنهما . ورخَّص فى تعلم المنازل أحمدُ وإسحاقُ .

وعن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يَدْخلون الجنة : مُدْمِنُ الخمر ، وقاطعُ الرَّحِم ،

* * *

قوله : (فمن تأول فيها غير ذلك) أي زعم فيهـا غير ما خلقت له ؛ قوله : (وأضاع نصيبه) أي حظه من الدين لإفساده ذلك . قوله : (وكره قتادة) إلى آخره . قال ابن رجب : والمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير فإنه باطـل محـرم قليلـه وكثيره ؛ وأما علم التسيير فتعلم ما يحتاج إليه منـه للاهتـداء ومعرفة القبلة والطرق جائز عند الجمهور ، وما زاد عليه لا حاجة إليه لشغله عما هو أهم منه وربما أدى تدقيق النظر فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين كما وقع من أهل هذا العلـم قديمـاً وحديثاً ، وذلك يفضي إلى اعتقاد خطأ السلف في صلاتهم وهو باطل اهـ مختصراً .

قوله : (مدمن الخمر) أي المداوم على شربهـا . قولـه : (وقاطع الرحم) أي القرابة ، قال الله تعالى : ﴿ فهل عسيتم إن

وَمُصَدِّقٌ بالسِّحْرِ» . رواه أحمد وابن حِبَّان فى صحيحه .

* * *

توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الـذين لعنهم الله فأصمهم وأعمـى أبصارهـم ﴾[1] قولـه : (ومصـدق بالسحر)قال الشارح: ويدخل فيهالتنجيم لحديث « من اقتبس علماً من النجوم اقتبس علماً من السحر » وهـذا وجـه مطابقـة الحديث للباب .

* * *

فيه مسائل

الأولى : الحكمة في خلق النجوم .

الثانية : الرد على من زعم غير ذلك .

الثالثة : ذكر الخلاف في تعلم المنازل .

الرابعة : الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ، ولو عرف أنه باطل .

* * *

(١) سورة محمد الآية : ٢٢ ، ٢٣ .

٣٠ - باب
ما جاء فى الاستسقاء بالأَنْوَاءِ *

وقولِ الله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ .

عن أبى مالك الأشعَرِىِّ رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال « أربعٌ فى أُمَّتى من أمر الجاهلية لا يتركونهنَّ : الفخرُ بالأحساب ، والطعنُ فى الأنساب ،

---

* أي منازل القمر سميت أنواء لأنه إذا غرب واحد ناء مقابله أي نهض وطلع ، والاستسقاء بها نسبة مجيء المطر إليها . قوله : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ قال الشارح : روى أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في المختارة عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (وتجعلون رزقكم) يقول شكركم (أنكم تكذبون) تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا . وقال ابن القيم :أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به يعني القرآن : قال الحسن : تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون ، قال : وخسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به . قال الشارح : والآية تشمل المعنيين . ملخص .

* * *

قوله : (لا يتركـونهن) قال شيخ الإسلام : أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ، ذماً لمن لم يتركه ، وهذا يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها . ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم ؛ وهذا كقوله : ﴿ ولا تبرَّجْنَ تبرُّج الجاهلية الأولى ﴾[١] فإن في ذلك ذماً للتبرج ، وذماً لحال الجاهلية الأولى ، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة .

قوله : (الفخر بالأحساب) أي المناقب والفضائل وعن أبي هريرة مرفوعاً « ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء : مؤمن تقي أو فاجر شقي ، الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها » رواه أبو داود ، قوله : (والطعن في الأنساب) أي ذمها وعيبها بأن يقول هذا ليس من آل فلان، أو آل فلان ليس نسبهم جيداً ونحو ذلك ، ولهذا قال النبي ﷺ لأبي ذر « إنك امرؤ فيك جاهلية » لما عيَّر رجلا بأمه . قال شيخ الإسلام : فدل ذلك على أن التعيير بالأنساب من أخلاق الجاهلية ، وأن الرجل مع فضله

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣ .

والاستسقاءُ بالنجوم ، والنِّياحة . وقال : النائحةُ إذا لم تتُب قبل موتِها تُقامُ يوم القيامة وعليها سِرْبَالٌ من قَطِرَانٍ ، ودِرْعٌ من جَرَبٍ » رواه مسلمٌ .

ولهما عن زيد بن خالد رضى الله عنه ، قال : « صلَّى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبْحِ بالحُديبِية على إثْرَ سَماءٍ كانت من الليل ، فلما انصرفَ أقبلَ

وعلمه ودينه قد يكون فيه بعض هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية ؛ ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه .

قوله : (والاستسقاء بالنجوم) قال الشارح : أي نسبة السقيا ومجيء المطر إلى النجوم والأنواء وهو نوعان (أحدهما) : أن يعتقد أن المنزل للمطر هو النجم ، وهذا كفر ظاهر . (الثاني) : أن ينسب إنزال المطر إلى النجم مع اعتقاد أن الله هو الفاعل لذلك ولكن أجرى الله العادة بنزول المطر عند ظهور ذلك النجم ، والصحيح أنه محرم لأنه من الشرك الخفي . ملخص .

قوله (والنياحة على الميت) أي رفع الصوت بالندب عليه ، فأما البكاء من غير نياحة وندب وشق جيب فقال شيخ الإسلام : البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب ، ولا ينافي الرضا بقضاء الله ، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه .

على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربُّكم ؟ قالوا : اللهُ ورسولُه أعلمُ ، قال : قال : أصبح من عبادى مؤمنٌ بى وكافرٌ ، فأما من قال : مُطرنَا بفضل الله ورحمتِه ، فذلك مؤمنٌ بى كافرٌ بالكوكبِ ، وأما مَن قال : مُطرنا بنوءِ كذا وكذا ، فذلك كافرٌ بى مؤمنٌ بالكوكبِ » .

ولهما من حديث ابن عباس معناه ، وفيه : قال بعضهم : « لقد صدَق نَوْءُ كذا وكذا ، فأنزل اللهُ هذه الآية : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ إلى قوله ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾ » .

* * *

قوله : (سربال) أي قميص ، وروي عن ابن عباس القطران النحاس المذاب فهو مع الجرب أشد ألماً . قوله : (صلى لنا) أي بنا . قوله : (على إثر) بكسر الهمزة وسكون المثلثة أي عقب سماء أي مطر ، قوله : (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر) قال الشارح : المراد بالكفر هنا هو الأصغر بنسبة ذلك إلى غير الله وإن كان يعتقد أن الله تعالى هو الخالق لذلك (قلت) والقسمان اللذان ذكرهما آنفاً جاريان في هذا أيضاً .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية الواقعة .

الثانية : ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية .

الثالثة : ذكر الكفر في بعضها .

الرابعة : أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة .

الخامسة : قوله « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر » بسبب نزول النعمة .

السادسة : التفطن للإيمان في هذا الموضع .

السابعة : التفطن للكفر في هذا الموضع .

الثامنة : التفطن لقوله « لقد صدق نوء كذا وكذا » .

التاسعة : إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها ، لقوله « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » .

العاشرة : وعيد النائحة .

* * *

٣١ ـ باب

قولِ اللهِ تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ﴾ الآية .

وقولِه : ﴿ قُلْ إِنْ كانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِه ﴾ الآية .

عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمِنُ

* * *

قال ابن كثير : يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الآخرة من العذاب والنكال حيث جعلوا لله أنداداً أي أمثالاً ونظراء يحبونهم كحب الله ، أي يساوونهم بالله في المحبة والتعظيم ، وهذا اختيار شيخ الإسلام في الآية ، وقيل يحبون أندادهم ، كما يحب المؤمنون الله . قال شيخ الإسلام : وهذا متناقض وهو باطل فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين الله ، ودلت الآية على أن من أحب شيئاً كحب الله فقد اتخذه نداً لله ، وذلك هو الشرك الأكبر ، قاله المصنف .

وقوله : ﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾[1] أي من محبة المشركين بالأنداد لله وقيل أشد حباً لله من حب أصحاب الأنداد لأندادهم . قال ابن القيم : والقولان مرتبان على القولين في

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥ .

أَحدُكم حتى أكونَ أَحبَّ إليه من ولده ووالده والناسِ أجمعين » أخرجاه .

ولهما عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَد بهنَّ حلاوةَ الإيمان . أن يكون اللهُ

* * *

قوله : ﴿ يحبونهم كحب الله ﴾ ملخص من الشرح .

قوله : ﴿ لا يؤمن أحدكم ﴾ أي لا يكون آتياً بالإيمان الواجب عليه فدل على أن من لم يكن الرسول أحبَّ إليه من ولده ووالده بل ومن نفسه فهو من أصحاب الكبائر إن لم يكن كافر . قال شيخ الإسلام : فإنه لا يعهد نفي اسم مسمى أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعضُ واجباته ، فإذا كان الفعل مستحباً في العبادة لم ينفها لانتفائه المستحب ، ولو صلح هذا لنفى عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة ونحو ذلك ، وهذا لا يقوله عاقل ، فمن قال إنه نفي للكمال فإن أراد الواجب الذي يذمّ تاركه ويتعرض للعقوبة فقد صدق ، فإن أراد المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله انتهى ملخصاً .

قوله : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان) قال شيخ الإسلام : أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله ؛ وذلك بثلاثة أمور : تكميل هذه المحبة وتفريغها ودفع

ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبَّه إلّا للهِ ، وأَن يَكرهَ أن يَعودَ فى الكفرِ ، بعد إذْ أنقذَه اللهُ منه ، كما يكره أن يُقذَف فى النار» .

وفى رواية : «لا يَجِدُ أحدٌ حلاوةَ الإيمان حتى» إلى آخره .

وعن ابن عباس قال : «من أحَبَّ فى الله ، وأبغضَ فى الله ، ووالَى فى الله ، وعادَى فى الله ، فإنما تُنَالُ وَلايةُ الله بذلك ، ولن يجدَ عبدٌ طعمَ الإيمان ، وإن كَثُرت صلاته وصومه ، حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامَّةُ مؤاخاة الناس على أمرِ الدنيا ، وذلك لا يُجْدِى على أهله شيئًا» رواه ابنُ جَرير .

وقال ابن عباس فى قوله ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ قال : المودَّةُ .

* * *

ضدها . فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . وتفريغها أن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ودفع ضدها أن يكره ضد الإيمان كما يكره

* * *

أن يقذف في النار .

قوله: وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا . هذا في زمن ابن عباس رضي الله عنه فكيف لو رأى مؤاخاة أهل هذا الزمان على الكفر والمعاصي ؟ قوله : (لا يجدي على أهله شيئاً) أي لا ينفعهم ، قوله : (قال المودة) أي تقطعت المودة في الآخرة كما قال تعالى : ﴿ الأخلاَّء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾(١) .

إذا تبين ذلك فاعلم أن المحبة قسمان : مشتركة ومختصة ، والمشتركة ثلاثة أنواع . محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام ، ومحبة إشفاق ورحمة كمحبة الوالد لولده ، ومحبة أنس وألف كمحبة شريك في صناعة أو تجارة أو سفر فهذه الثلاثة لا تستلزم التعظيم فلا يكون وجودها شركاً في محبة الله ؛ وأما المختصة فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم والطاعة والإيثار على مراد النفس ، فهذه لا تصلح إلا لله ، ومتى أحب العبد بها غيره فقد أشرك الشرك الأكبر ، ا هـ بمعناه من الشرح وعزاه لابن القيم .

* * *

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٦٧ .

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : وجوب محبته ﷺ على النفس والأهل والمال .

الرابعة : أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام

الخامسة : أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها .

السادسة : أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها .

السابعة : فهم الصحابي للواقع : أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا .

الثامنة : تفسير ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ .

التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً .

العاشرة : الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه .

الحادية عشرة : أن من اتخذ نِدًّا تُساوي محبته محبةَ الله فهو الشرك الأكبر .

٣٢ ـ باب

قولِ الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . وقوله : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ باللهِ واليوم الآخِرِ وأقامَ الصَّلَاةَ وآتَى الزَّكَاةَ ولم يَخْشَ إِلَّا اللهَ ﴾ الآية . وقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا باللهِ فإِذَا أُوذِيَ في اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ ﴾ الآية .

* * *

قال ابن القيم : المعنى عند جميع المفسرين يخوفكم بأوليائه ، قال قتادة : يعظمهم في صدوركم ، ولهذا قال : ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾[1] فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان ، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم .

قوله : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾ قال ابن القيم رحمه الله : أخبر عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة أنه إذا أوذي في الله جعل فتنة الناس له وهي أذاهم أو نيلهم له بالمكروه وهو الألم الذي لا بد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم ، جعل ذلك في فراره منه

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣ .

عن أبي سعيد رضى الله عنه مرفوعًا : « إنَّ من ضَعْفِ اليَقينِ أن تُرضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله ، وأن تحمَدَهم على رزْقِ الله ، وأن تَذُمَّهُمْ على ما لم يؤتِكَ اللهُ ، إنَّ

وتركه السبب الذي يناله به كعذاب الله الذي فرَّ منه المؤمنون بالإيمان ، فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب ، وهذا لضعف بصيرته فر من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ، ومتابعتهم ، ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله فجعل ألم فتنة الناس في الفرار منه بمنزلة ألم عذاب الله ، وغُبن كل الغبن إذ استجار من الرمضاء بالنار ، وفر من ألم ساعة إلى ألم الأبد ، وإذا نصر الله جنده وأولياءه قال : إني كنت معكم ، والله عليم بما انطوى عليه صدره من النفاق .

قوله : (عن أبي سعيد) رواه البيهقي وأبو نعيم وإسناده ضعيف . ومعناه صحيح وتمامه (وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط) وروى الطبراني بسند صحيح عن ابن مسعود (اليقين الإيمان كله ، والصبر نصف الإيمان) قاله الشارح ، رحمه الله . وقال شيخ الإسلام : اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته ، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه

رِزْقَ اللهِ لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ ، ولا يَرُدُّهُ كراهيَةُ كارِهٍ » .

وعن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنِ الْتَمسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رضى الله

——— *** ———

وتدبيره ، فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقناً لا بوعده ولا برزقه ؛ فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم ، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم ، وإرضاؤهم بما يسخطه إنما يكون خوفاً منهم ورجاء لهم وذلك من ضعف اليقين وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم فانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ؛ فإذا ذممتهم على ما لم يقدر كان ذلك من ضعف يقينك فلا تخفهم ولا ترجوهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك ؛ ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود ؛ ومن ذمه الله ورسوله منهم فهو المذموم .

قوله : (من التمس رضا الله بسخط الناس) قال شيخ الإسلام : وكتبت عائشة إلى معاوية وروي أنها رفعته (من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن أرضى الناس

عنه وأرضى عنه الناس ، ومَنِ الْتمسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عليه وأسخطَ عليه النَّاس » . رواه ابنُ حِبَّانَ فى صحيحه .

بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً) هذا لفظ المرفوع ، ولفظ الموقوف (من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس له ذاماً) هذا لفظ المأثور عنها . وهذا من أعظم الفقه في الدين ، والمأثور أحق وأصدق ، فإن من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه وكان عبده الصالح والله يتولى الصالحين ، وهو كاف عبده ، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب ، وأما كون الناس كلهم يرضون عنه فقد لا يحصل ذلك لكن يرضون عنه إذا سلموا من الأغراض ، وإذا تبين لهم العاقبة ، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً كالظالم الذي يعض على يديه ، وأما كون حامده ينقلب ذاماً فهذا يقع كثيراً ويحصل في العاقبة فان العاقبة للتقوى ولا يحصل ابتداء عند أهوائهم ، قال ابن رجب : فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب ، فكيف يقدم طاعة من هو تراب على ربّ الأرباب ؟ أم كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب ، إن هذا لشيء عجاب .

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : تفسير آية العنكبوت .

الرابعة : أن اليقين يضعف ويقوى .

الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك هذه الثلاث .

السادسة : أن إخلاص الخوف لله من الفرائض .

السابعة : ذكر ثواب من فعله .

الثامنة : ذكر عقاب من تركه .

* * *

٣٣ - باب

قول الله تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

وقوله :﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية .

***

قال ابن القيم : فجعل التوكل على الله شرطاً في الإيمان ؛ فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه . ا هـ ، وفي الآية أن التوكل على غيره شرك ؛ ولأن تقديم المعمول يفيد الحصر .

قوله : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قلوبهم ﴾[1] الآية . قال ابن عباس في الآية إن المنافقين لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ، ولا يؤمنون بشيء من آياته ، ولا يتوكلون على الله ، ولا يصلون إذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم ، فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين فقال : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قلوبهم ﴾ فأدوا فرائضه ، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وهذه الأعمال الخمسة مستلزمة لباقي الواجبات ، فلذلك اقتصر

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٢ .

وقوله : ﴿ يا أَيُّها النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ .

عن ابن عباسٍ قال : « ﴿ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ،

عليها . وفي الآية أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أهل السنة .

قوله : ﴿ يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾[1] قال ابن القيم : أي الله كافيك وحده وكافي أتباعك فلا تحتاجون معه إلى أحد .

قوله : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾[2] قال ابن القيم : أي كافيه ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدو ؛ ولا يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبداً وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه ، وبين الضرر يُشتفى به منه .

قوله : ﴿ ونعم الوكيل ﴾ أي نعم الموكل إليه . قوله : (وقالها محمد) هذا بعد أحد حين بلغ النبي ﷺ أن أبا سفيان قد أجمع الكرّة خارجاً إليهم فخرج ﷺ وبعض أصحابه إلى حمراء الأسد « ثلاثة أميال من المدينة » فمر الراكب الذي كان

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٤ .
(٢) سورة الطلاق ، الآية : ٣ .

قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلْقِيَ فى النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له : ﴿ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمانًا ﴾ الآية » . رواه البخارى والنسائى .

أبو سفيان أوصاه ، فأخبرهم بخروجه وقد ألقى الله الرعب في قلبه ، فرجع إلى مكة ، فلما أخبرهم قالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

فيه مسائل

الأولى : أن التوكل من الفرائض .

الثانية : أنه من شروط الإيمان .

الثالثة : تفسير آية الأنفال .

الرابعة : تفسير الآية في آخرها .

الخامسة : تفسير آية الطلاق .

السادسة : عظم شأن هذه الكلمة ، وأنها قول إبراهيم عليه السلام ومحمدٍ ﷺ في الشدائد .

٣٤ ـ باب

قول الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ ؟ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الخَاسِرُونَ ﴾ وقوله : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّون ﴾ .

عن ابن عباس : « أن رسول الله ﷺ سُئلَ عن الكبائر؟ فقال : الشِّرْك بالله ، واليأسُ من رَوْح الله ،

* * *

قال الحسن : من وسع الله عليه فلم يرَ أنه يمكر به فلا رأي له ، ومن قتر عليه ولم ير أنه ينظر له فلا رأي له . وقال قتادة : ما أخذ الله قوماً قط إلا عند سلوتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله ؛ فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون . رواهما ابن أبي حاتم .

والمراد بهذه الترجمة التنبيه على الجمع بين الخوف والرجاء ولهذا ثنى بقوله : ﴿ ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾[(١)] أي المخطئون طريق الصواب قوله : (الشرك بالله) هو أكبر الكبائر لأن معناه تنقص رب العالمين (واليأس من روح الله) أي قطع الرجاء من رحمته قال تعالى : ﴿ ولا تيئسوا من روح الله إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم

(١) سورة الحجر ، الآية : ٥٦ .

والأمن من مكرِ اللهِ » .

وعن ابن مسعود قال : « أكبرُ الكبائر الإشْرَاك باللهِ ، والأمنُ من مكر اللهِ ، والقُنوط من رحمة اللهِ ، واليأسُ من رَوْح اللهِ » . رواه عبد الرزّاق .

* * *

الكافرون ﴾[1] قوله : (والأمن من مكر الله) أي عدم الخوف من استدراجه . قوله : (والقنوط من رحمة الله) قال ابن الأثير : القنوط أشد اليأس والمراد أن هذه الأمور من الكبائر لاحصرها .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية الأعراف .

الثانية : تفسير آية الحِجْر .

الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله .

الرابعة : شدة الوعيد في القنوط .

(١) سورة يوسف ، الآية : ٨٧ .

٣٥ ـ باب
من الإيمان بالله الصَّبرُ على أقدار الله*

وقولِ الله تعالى : ﴿ومن يُؤْمِن بالله يَهْدِ قلبه﴾ .

قال عَلْقَمَةُ : هو الرَّجُلُ تصيبهُ المصيبة فيعْلم أنها من عند الله ، فيرضَى ويُسلِّم .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « اثنَتان فى الناس هُما بهم كُفرٌ : الطَّعنُ

* * *

* قال الإمام أحمد ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً . قوله : ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ قال ابن عباس في قوله ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله﴾ إلا بأمر الله يعني من قدره ومشيئته . قوله : ﴿ يهدِ قلبه ﴾ قال ابن عباس : (يهد قلبه) لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . قوله : (هو الرجل تصيبه المصيبة) هذا تفسير للإيمان في الآية . قوله : (ثنتان في الناس هما بهم كفر) قال شيخ الإسلام : أي هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس فنفس الخصلتين كفر حيث كانتا من أعمال الكفار ، وهما قائمتان

(١) و(٢) سورة التغابن ، الآية : ١١ .

فى النَّسب ، والنِّياحة على الميِّت » .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا : « ليسَ مِنَّا من ضَرَبَ الخُدودَ ، وشقَّ الجُيُوب ، ودَعا بدَعْوَى الجاهليةِ » .

وعن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أرادَ اللهُ بعبده الخيْرَ عَجَّل له العُقوبةَ فى الدنيا ، وإذا

***

بالناس ، لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق حتى يقوم به حقيقة الكفر كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً حتى يقوم به أصل الإيمان وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله (ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة) وبين كفر منكر في الاثبات .

قوله : (من ضرب الخدود) أي أو بقية البدن وإنما خص الخد لأنه الغالب . قوله : (وشق الجيوب) قال الحافظ : المراد كمال فتحه قال الشارح : الظاهر أن فتح بعضه كفتح كله . قوله : (ودعا بدعوى الجاهلية) قال شيخ الإسلام : هو ندب الميت ، وقال ابن القيم : الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية للأنساب ، ومثله التعصب للمذاهب والطوائف والمشايخ .

قوله : (عجل له العقوبة) قال شيخ الإسلام : المصائب

أرادَ بعبدِهِ الشَّرّ أمْسكَ عنه بذنبِه ، حتى يوافى به يَوْمَ القيامة » .

وقال النبي ﷺ : « إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظم البلاءِ ، وإن الله تعالى إذا أحبَّ قوْمًا ابتَلاهم ، فمن رَضى فلَهُ الرِّضا ، ومن سخطَ فلَهُ السَّخَطُ » حَسَّنَهُ الترمذى .

****

نعمة لأنها مكفرة للذنوب ، ولأنها تدعو إلى الصبر فيثاب عليها ، ولأنها تقتضي الإنابة إلى الله والذل له ، فنفس البلاء يكفر الله به الخطايا ، ومعلوم أن هذا من أعظم النعم لو كان من رجل من أفجر الناس فلا بد أن يخفف الله عنه عذابه بمصائبه ؛ فالمصائب نعمة ورحمة في حق عموم الخلق إلا أن يدخل صاحبها بسببها في معاصٍ أعظم مما كان قبل ذلك فتكون شراً عليه من جهة ما أصابه في دينه ، فإن من الناس من إذا ابتلى بفقر أو مرض أو جوع حصل له من الجزع والسخط والنفاق ومرض القلب والكفر الظاهر ، أو ترك الواجبات وفعل المحرمات ، ما يوجب له ضرراً في دينه بحسب ذلك، فهذا كانت العافية خير من جهة ما أورثته المصيبة لا من جهة نفس المصيبة .

قوله : (أمسك عنه) أي أخر عقوبته (حتى يوافي) بضم

* * *

الياء وكسر الفاء منصوب بحتى . قوله : (وقال النبـي) رواه الترمذي عن أنس كالذي قبله قوله : (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء) أي من كان ابتلاؤه أعظم فجزاؤه أعظم قولـه : (فلـه الرضا) أي من الله ، قوله : (ومن سخط) أي أقدار الله (فله السخط) منه ، وفيه أن الله يرضى و يسخط خلافاً للجهمية ؛ وقال ابن عون إرض بقضاء الله من عسر ومن يسر فان ذلك أقل لهمك وأبلغ فيما تطلب من أجر آخرتك . واعلـم أن العبـد لن يصيب حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر والبلاء كرضاه عنـد الغنى والرخاء ، كيف تستقضي الله في أمرك ثم تسخط إن رأيت قضاءه مخالفاً لهواك ؟ ولعل ما هويت من ذلك لو وفق لك كان فيه هلاكك ، وترضى بقضائه إذا وافق هواك ، وذلك لقلة علمك بالغيب ، إن كنت كذلك ما أنصفت من نفسك ولا أصبت باب الرضا ، ذكره ابن رجب .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية التغابن .

الثانية : أن هذا من الايمان بالله .

الثالثة : الطعن في النسب .

الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب

٣٦ ـ باب
ما جاء في الرِّياء*

وقولِ الله تعالى : ﴿ قُلْ إنما أنا بشرٌ مِثلكُم يُوحى إلىَّ أَنما إلهُكم إلهٌ واحدٌ ﴾ الآية .

——— *** ———

* قال الحافظ هو مشتق من الرؤية والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس بها فيحمد صاحبها . ا هـ

قوله : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد ﴾[1] أي معبودكم واحد ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾[2] من كان يخشى البعث في الآخرة رواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن

ودعا بدعوى الجاهلية .

الخامسة : علامة إرادة الله بعبده الخير .

السادسة : علامة إرادة الله بعبده الشر .

السابعة : علامة حب الله للعبد .

الثامنة : تحريم السخط .

التاسعة : ثواب الرضا بالبلاء .

---

(١) و (٢) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

عن أبي هريرة مرفوعاً : « قال اللّه تعالى : أنا أغنى الشّركاء عن الشِّرْك ، من عمل عملاً أشركَ معي فيه غيري تركْتُه وشِركه » . رواه مسلم .

***

جبير . . وقال شيخ الإسلام : أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يقتضي المشاهدة والمعاينة بعد السلوك والمسير ، وقالوا إن لقاء اللّه يتضمن رؤيته سبحانه : وأطال في ذلك واحتج له .

قوله : ﴿ فليعمل عملاً صالحاً ﴾ قال ابن القيم : العمل الصالح هو السالم من الرياء المقيد بالسنة . وقوله : ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ فيه الرد على من قال أولئك يتشفعون بالأصنام ونحن نتشفع بصالح ، لأنه قال ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ فليس بعد هذا بيان ، افتتح الآية بذكر براءة النبي ﷺ الذي هو أقرب الخلق إلى اللّه سبحانه وسيلة وختمها بقوله (أحداً) قاله المصنف .

قوله : (تركته وشركه) وفي رواية (فأنا منه بريء) وهو للذي أشرك والعمل المراءى فيه أقسام ، فتارة يكون مقصود العمل من أصله الرياء فهذا باطل إجماعاً وصاحبه معاقب عليه وتارة يكون ابتداءه للّه ثم يطرأ عليه الرياء ، فان دفعه وردّه لم يضره وإن استرسل معه أبطل عليه وقيل لا يبطله ، ويجازى

وعن أبي سعيد مرفوعاً : « ألا أُخْبركم بما هو أخْوَفُ عليكم عندي من الميسح الدجَّال ؟ قالوا : بلَى ، قال : الشِّرْكُ الخفِيُّ ، يقُومُ الرَّجل فيُصلي ، فيُزَيِّنُ صلاتَهُ ، لِما يَرَى من نظرِ رجُلٍ » . رواه أحمد .

* * *

على أصل نيته . قوله : (بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال) إنما كان الرياء كذلك لخفائه وقوة الداعي إليه ، وعسر التخلص منه لما يزينه الشيطان والنفس الأمارة في قلب صاحبه . قاله الشارح ثم فسره بقوله : (يقوم الرجل) الخ . .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية الكهف .

الثانية : الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير اللّه .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك ، وهو كمال الغنى .

الرابعة : أن من الأسباب أنه خير الشركاء .

الخامسة : خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء .

السادسة : أنه فسّر ذلك بأن المرء يصلي للّه لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه .

٣٧ ـ باب
من الشِّرك إرادةُ الإنسان بعمله الدنيا*

وقولِ الله تعالى : ﴿مَنْ كان يريد الحياةَ الدنيا وزينتَها نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها﴾ الآيتين .

* * *

* قال الشارح : قد ظن بعض الناس أن هذا الباب داخل في الرياء وأن هذا مجرد تكرير ؛ وأخطأ بل المراد بهذا أن يعمل الإنسان عملاً صالحاً يريد به الدنيا كالذي يجاهد لأجل الغنيمة ونحو ذلك . قوله : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبخسون ﴾[1] الآيتين ، قال المصنف رحمه الله : ذكر عن السلف فيها أنواع ما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه ، فمن ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة أو صلة أو صلاة وإحسان إلى الناس أو ترك ظلم ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله ؛ لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله أو تنميته أو حفظ أهله وعياله أو إدامة النعمة عليهم ؛ ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار ، فهذا يعطي ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب ؛ وهذا النوع ذكره ابن عباس (النوع الثاني) : وهو أكبر من

---

(١) سورة هود ، الآية : ١٥ .

* * *

الأول وأخوف وهو الذي ذكر مجاهد في الآية أنها نزلت فيه وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة .

(النوع الثالث) : أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً مثل أن يحجّ لمال يأخذه لا لله أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها أو يجاهد لأجل المغنم فقد ذكر هذا النوع أيضاً في تفسير هذه الآية ، وكما يتعلم الرجل لأجل مدارسة أهله أو رياستهم أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيراً ؛ وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها ، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس ، ولا يحصل لهم طائل ، والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له لكن لم يطلبوا منه الخير الكثير الدائم وهو الجنة ؛ ولم يهربوا من الشر العظيم وهو النار .

(النوع الرابع) : أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجه عن الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام ، وتمنع قبول أعمالهم ؛ فهذا النوع أيضاً ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره ، وكان السلف

في الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « تَعِسَ عبدُ الدِّينار ، تَعِسَ عبدُ الدِّرهم ، تَعِسَ عبد الخميصة ، تَعِسَ عبدُ الخَميلة ، إنْ أُعطي رَضِيَ ، وإن لم يُعْطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وانتكس ، وإذا شيكَ فلا انتَقَشَ ، طُوبَى لعَبدٍ أخذ بعِنان فَرسهِ في

***

يخافون منها . لكن بقي أن يقال إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه اللّه طالباً ثواب الآخرة ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا مثل أن يحج فرضه اللّه ثم يحجّ بعده لأجل الدنيا كما هو الواقع فهو لما غلب عليه منها ، وقد قال بعضهم : القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخلَص وأهل النار الخلص ، ويسكت عن صاحب الشائبتن ، وهو هذا وأمثاله انتهى كلامه رحمه اللّه ، ولعلك لا تجده لغيره ، والبعض الذي أشار إليه لعله ابن القيم فإنه ذكر ذلك في طبقات المكلفين .

قوله : (تعس) المراد هلك ، قاله الحافظ ، والخميصة ثوب خز أو صوف معلم ، والخميلة القطيفة وهي ثوب له خمل وقيل الخميل الأسود من الثياب . قوله : (وانتكس) أي انقلب على رأسه بعد أن سقط . ذكره ابن الأثير قوله : (وإذا شيك فلا انتقش) أي إذا اصابته شوكة لم يقدر على نقشها أي إخراجها بالمنقاش ، قال شيخ الإسلام : فسماه النبي ﷺ عبد الدينار

* * *

والدرهم وعبد القطيفة والخميصة ؛ وذكر فيه ما هو دعاء وخبر، وهو تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، وهذا حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ، ولم يفلح لكونه تعس وانتكس ، فلا نال المطلوب ، ولا خلص من المكروه ؛ وهذا حال من عبد المال؛ وقد وصف ذلك بأنه إن أعطى رضي وإن منع سخط كما قال تعالى : ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾[1] فرضاهم لغير اللّه وسخطهم لغير اللّه ؛ وهكذا حال من كان متعلقاً برياسة أو بصورة ونحو ذلك من أهواء نفسه ، إن حصل له رضي وإن لم يحصــل له سخط ، فهذا عبد مايهواه من ذلك وهو رقيق له ، إذ رق العبودية رق القلب وعبوديته ، فما استرقّ القلب واستعبده فهو عبده؛ إلى أن قال :

وهكذا أيضاً طالب المال فإن ذلك يسترقه ويستعبده وهذه الأمور نوعان فمنها ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك، فهذا يطلبه من اللّه ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه ، وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوعــاً . ومنهـا ما لا يحتــاج إليه العبد ، فهــذا ينبغــي أن لا

(١) سورة التوبة ، الآية : ٥٨ .

سبيل الله ، أشعَثَ رأسُهُ ، مُغبَّرةً قدماه ، إن كان فى الحراسة كانَ فى الحراسةِ ، وإن كان فى الساقةِ كان فى الساقةِ ، إن استْأذن لَمْ يُؤْذَن لهُ ، وإن شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ » .

* * *

يعلق قلبه بها ، فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبداً لها ، وربما صار مستعبداً معتمداً على غير الله فيها فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله ، ولا حقيقة التوكل عليه بل شعبة من العبادة لغير الله ، وشعبة من التوكل على غير الله . فهذا من أحق الناس بقوله : (تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة) وهذا هو عبد لهذه الأمور ولو طلبها من الله فإن الله إذا أعطاه إياها رضي وإن منعه إياها سخط ، وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما أحب الله ورسوله ، ويبغض ما أبغض الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله ، فهذا الذي استكمل الإيمان انتهى ملخصاً .

قوله : (إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة) قال الخلخالي : معناه ائتماره بما أُمر وإقامته لها حيث أقيم لا يفقد من مكانه .

* * *

٣٨ ـ باب
من أطاع العلماء والأُمراءَ في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حرَّمهُ فقد اتَّخذهم أربابًا

* * *

وأما قوله : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾[1] وقال ابن القيم : التحقيق أنهم الأمراء والعلماء فإنما تجب طاعتهم إذا أمروا بطاعة الله ورسوله فهي تبع لا استقلال ،

فيه مسائل

الأولى : إرادة الانسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية : تفسير آية هود .

الثالثة : تسمية الانسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة .

الرابعة : تفسير ذلك بأنه إن أعطى رضي ، وإن لم يعط سخط .

الخامسة : قوله « تعس وانتكس » .

السادسة : قوله « وإذا شيك فلا انتقش » .

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

وقال ابن عباس : « يُشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء ، أقول : قال رسول اللّه ﷺ ، وتقولون قال : أبو بكر وعمر » ؟ ! وقال أحمد بن حنبل : عَجِبْتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحَّته ، يذهبون إلى رأى سفيان ، واللّه تعالى يقول : ﴿ فلْيحذر الذين يُخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنةٌ أو يُصيبهم عذابٌ أليمٌ ﴾ ، أتدري ما الفتنة ؟ الفتنةُ الشّرْكُ، لعلَّهُ إذا رُدَّ بعضُ قوله أن يقعَ في قلبه شيءٌ من الزَّيغ فيهلك .

عن عديِ بن حاتم : « أنه سمع النبيَّ ﷺ يقرأُ هذه الآية : ﴿ اتَّخذوا أحْبارهم ورُهبانَهم أرباباً من دون اللّه ﴾ الآية ، فقلت له : إنَّا لسنا نعبُدهم ، قال : أليس يُحرِّمون ما أحلّ اللّه فتُحرِّمونه ، ويُحلُّون ما حرّمَ اللّهُ فتُحلُّونهُ ؟ فقلتُ : بلّى ، قال : فتلك عبادتهمْ » . رواه أحمد والترمذي وحسَّنه .

* * *

يدل على ذلك حذف قوله : (وأطيعوا) من الثالث فإنه قال : ﴿ أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول ﴾ ثم قال : ﴿ وأولي الأمر منكم ﴾ هذا معنى كلام ابن القيم ، فأما إذا أمروا بمعصية فلا

* * *

طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

قوله : (يوشك) قال ابن الأثير : أي يقرب ويدنو ويسرع، وهذا الكلام قاله ابن عباس لمن ناظره في متعة الحج ، وكان ابن عباس يأمر بها ؛ فاحتج عليه المناظر بنهي أبي بكر وعمر عنها أي وهما أعلم منك ، فقال ذلك . وقال الشافعي : أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد .

قوله : (وقال أحمد) إلخ . هذا الكلام قاله أحمد لما قيل له : إن قوماً يدعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان أي الثوري . قوله : (لسنا نعبدهم) ظن أن المراد التقرب إليهم بنحو صلاة أو ذبح ؛ فبين ﷺ أن المراد طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام .

قال شيخ الإسلام : وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وعكسه يكونون على وجهين : (أحدهما) : أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل ؛ فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم ، مع علمهم بأنهم خالفوا دين الرسول . فهذا كفر . وقد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون . (الثاني) : أن يكون اعتقادهم

* * *

وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله ، كما يفعل المسلم من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي . فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب ، ثم نقول إتباع هذا المحلل للحرام والمحرم للحلال إن كان مجتهداً قصده اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر ؛ وقد اتقى الله ما استطاع ؛ فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه ، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه ، ولكن من علم أن هذا أخطأ فيما جاء به الرسول ﷺ ثم اتبعه على خطئه فله نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله ، وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد ، فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ ، وأما إن قلد شخصاً دون نظيره بمجرد هواه ، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن الحق معه ، فهذا من أهل الجاهلية ، فإن كان متبوعه مصيباً لم يكن عمله صالحاً ، وإن كان متبوعه مخطئاً كان آثماً كمن قال في القرآن برأيه فإن أصاب فقد أخطأ وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار . اهـ ملخصاً .

فتبين أن كثيراً من الناس ينتسب إلى أهل العلم وهو من أهل الجاهلية ولولا ظلمة الجهل لما اختار فلاناً ونصر أقواله من غير اعتبار خطئها من صوابها ، وردّ أقوال الآخر ولم يلتفت إليها وإن كان الحق فيها .

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية النور .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي .

الرابعة : تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر ، وتمثيل أحمد بسفيان ،

الخامسة : تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال ، وتسمى الولاية ، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه ، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عُبد من دون الله من ليس من الصالحين ، وعُبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين .

* * *

٣٩ - باب

قول اللّه تعالى : ﴿ ألم ترَ إلى الذينَ يزعُمُون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلكَ يريدون أن يتحاكموا إلى الطَّاغوت ، وقد أُمِرُوا أن يكفرُوا به ، ويريد الشيطان أن يُضِلَّهمْ ضلالاً بعيداً ﴾ الآيات .

* * *

قال ابن كثير : هذه الآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ماسواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا . قوله : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾[1] قال ابن القيم : قال أكثر المفسرين لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة اللّه بعد إصلاح اللّه إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة اللّه ، فإن عبادة غير اللّه والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض ، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك ومخالفة أمره ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا أن يكون اللّه وحده هو المعبود والدعوة له لا لغيره ، والطاعة والاتباع لرسله ، ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد اللّه وعبادته وطاعة رسوله وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٨٥ .

وقوله : ﴿ وإذا قيل لهم لا تُفسدوا في الأرض قالوا إنما نحنُ مُصلحون ﴾ .

وقوله : ﴿ لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾ .

وقوله : ﴿ أفحُكمَ الجاهليَّة يبغون ؟ ﴾ الآية .

* * *

والدعوة إلى غير اللّه ورسوله .

قوله : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴾[1] قال أبو العالية في الآية يعني لا تعصوا في الأرض وكان فسادهم ذلك معصية اللّه لأنه من عصى اللّه في الأرض أو أمر بمعصية اللّه فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة . قوله : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ الآية . قال ابن كثير : ينكر تعالى على من خرج عن حكم اللّه المشتمل على كل خير وعدل ، الناهي عن كل شر ، إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة اللّه كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان الذي وضع لهم كتاباً ، مجموعاً من أحكام اقتبسها من شرائع شتى ومن الملة الإسلامية ، وفيها كثير من الأحكام أخذها

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١ .

عن عبد الله بن عَمْرٍو، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يُؤْمِنُ أحدكم حتى يكون هواهُ تبعًا لِما جئتُ به » . قال النووى : حديثٌ صحيحٌ ، رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح .

وقال الشَّعْبي : «كان بين رجل من المنافقين ورجل

* * *

عن مجرد نظره ، فصار في بنيه يقدمونه على الكتاب والسنة بالحكم ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير ، قال تعالى ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾[1] أي يريدون : ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾[2] أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه ، وآمن وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بعباده من الوالدة بولدها . فإنه تعالى العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء .

قوله : (لا يؤمن أحدكم) الخ . قال ابن رجب : معناه أن الانسان لا يكون مؤمناً كامل الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها فيحب ما أمر به ويكره ما نهى عنه ، قوله : (قال الشعبي) رواه ابن

(١) و (٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٠

من اليهود خُصومةٌ ، فقال اليهودى : نتحاكم إلى مُحمدٍ ، عرفَ أنه لا يأخذ الرِّشوة ، وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود ، لعلمهِ أنهم يأخذون الرشوة ، فاتَّفقا أن يأتيا كاهِنًا فى جُهينةَ فيتحاكما إليه ، فنزلت : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ يزعُمُون ﴾ الآية » . وقيل : « نَزَلتْ فى رجلين اخْتَصما ، فقال أحدهما : نَترافعُ إلى النبى ﷺ ، وقال الآخرُ : إلى كعب بن الأشْرَفِ ، ثم تَرَافعَا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة ، فقال للذى لَمْ يَرْضَ برسول الله ﷺ : أكذلك ؟ قال : نعم ، فضربهُ بالسيف ، فقتله » .

***

جرير وابن المنذر بنحوه، قوله : (لا يأخذ الرشوة) قال ابن الأثير : هي الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة ، وأصله من الرشا الذي يتوصل به الى الماء . قوله : (وقيل نزلت في رجلين) الخ ، قال الشارح : هذه القصة قد رويت من طرق متعددة وهي مشهورة متداولة بين السلف والخلف .

***

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الاعانة على فهم الطاغوت .

الثانية : تفسير آية البقرة ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ﴾ .

الثالثة : تفسير آية الأعراف ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها .

الرابعة : تفسير ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ .

الخامسة : ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولى .

السادسة : تفسير الايمان الصادق والكاذب .

السابعة : قصة عمر مع المنافق .

الثامنة : كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ .

***

٤٠ ـ باب
مَن جَحد شيئًا من الأسماءِ والصفات

وقولِ الله تعالى : ﴿ وهم يكفُرون بالرَّحمٰن ﴾ الآية .

وفى صحيح البخارى : قال علىٌّ : « حدِّثوا الناسَ بما يعرفون ، أتُرِيدون أن يُكذَّبَ اللهُ ورسوله ؟ » .

وروى عبد الرَّزاق عن مَعْمَر عن ابْن طاوُسٍ عن أبيه عن ابن عباس : « أنه رأى رجُلاً انتفض لمَّا سمع

قوله : ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ أي بعض كفار قريش يجحدون اسم الرحمن كما يأتي . قوله : (ولما سمعت قريش) الخ ، وليس المراد أنهم يجحدون الله ، قال الله ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾[1] قوله : (حدثوا الناس بما يعرفون) قال الحافظ : زاد آدم بن أبي اياس في كتاب العلم له عن عبد الله بن داود عن معروف في آخره (ودعوا ما ينكرون) وقال ابن مسعود : ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة . رواه مسلم .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٨٧ .

حديثًا عن النبي ﷺ فى الصِّفات استنكارًا لذلك ، فقال : ما فَرَقُ هؤُلاءِ ؟ يجدون رِقَّةً عند مُحْكَمِه . ويَهلكون عند مُتَشابِهِه ؟ » . انتهى .

ولمَّا سمعَتْ قُرَيشٌ رسولَ الله ﷺ يذكُرُ الرَّحمٰن ،

(قلت) : المراد أن الأشياء التي يجهلها العامة مما لا يجب عليهم تعَلمه إذا ظن إنكارهم له الأولى ترك ذكره لهم ، فأما ما يجب عليهم تعلمه فإنه لا يترك لخوف افتتان أحد بانكاره ، بل الواجب تعليم الناس ذلك ونشره بالأسهل .

قوله : (ما فرَق هؤلاء) فيه وجهان فتح الفاء والراء وضم القاف . مخففاً ، و « ما » استفهامية أي ما خوف هؤلاء من آيات الصفات واستنكارهم لها . والمراد الإنكار ؛ ويجوز فتح الفاء والراء والقاف مشدد ومخفف أي ما فرق هذا وأضرابه بين الحق والباطل .

قوله : (يجدون رقة) أي ليناً وقبولاً للمحكم (ويهلكون عند متشابهه) أي ما يشتبه عليهم فهمه ومعرفته ، فالتشابه أمر نسبي فقد يكون الشيء مشتبهاً على واحد ؛ واضحاً جلياً عند الآخر ، قوله : (ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ) الخ . قال الشارح : ذكر المصنف هذا الأثر بالمعنى وقد روى ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في الآية قال : هذا لما كاتب رسول

أنكرُوا ذلك ، فأَنزلَ اللهُ فيهم : ﴿ وهُم يكفُرُون بالرَّحمٰن ﴾ .

الله ﷺ قريش بالحديبية كتب (بسم الله الرحمن الرحيم) فقالوا لا تكتب الرحمن ولا ندري ما الرحمن ، ولا تكتب إلا (باسمك اللهم) فأنزل الله ﴿ وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي ﴾[1] أي قل يا محمد راداً عليهم في كفرهم بالرحمن هو ربي أي الرحمن عز وجل ربي لا إله إلا هو أي لا معبود سواه ﴿ عليه توكلت واليه متاب ﴾ أي إليه مرجعي وأوبتي وهو مصدر من قول القائل تبت متاباً وتوبة . قاله ابن جرير .

* * *

فيه مسائل

الأولى : عدم الايمان بشيء من الأسماء والصفات .

الثانية : تفسير آية الرعد .

الثالثة : ترك التحديث بما لا يفهم السامع .

الرابعة : ذكر العلة ، أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ، ولو لم يتعمد المنكر .

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك ، وأنه هلك .

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣٠ .

٤١ ـ باب

قولِ الله تعالى : ﴿يعرِفونَ نِعمتَ اللهِ ثم يُنكرُونها﴾ الآية .

قال مجاهِدٌ ما معناه : هو قول الرَّجُل : هذا مالى ، ورِثته عن آبائى . وقال عَوْنُ بن عبد الله : يقولون : لَوْلا فلانٌ لم يكنْ كذا . وقال ابن قُتَيْبَةَ : يقولون : هذا بِشَفاعةِ آلهتِنَا . وقال أبو العباس ، بعدَ حديث

* * *

قولـه : قال مجاهـد أي في تفسير الآية ولفظـه المسـاكن والأنعام وسرابيل الثياب والحديد يعرفه كفار قريش ثم ينكرونه بأن يقولوا هذا كان لآبائنا ورثناه عنهم . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . قال ابن القيم : لما أضافوا النعمة إلى غير الله فقد أنكروا نعمة الله بنسبتها إلى غيره فإن الذي يقول هذا جاحد لنعمة الله عليه غير معترف بها . ذكره الشارح بمعناه .

قوله : (وقال عون) رواه ابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم : قال ابن القيم : هذا يتضمن قطع إضافة النعمة عمن لولاه لم تكن ؛ وإضافتها إلى من لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عن غيره . قوله : (وقال ابن قتيبة) الخ . قال ابن القيم : هذا يتضمن الشرك مع إضافة النعمة إلى غير وليها ، فالآلهة التي تعبد من دون الله أذل وأحقر من أن تشفع عند الله ؛ وهي محضرة

زيد بن خالد ، الذى فيه أَنَّ الله تعالى قال : «أصْبَح مِنْ عبادِى مُؤْمِنٌ بى وكافرٌ» ، الحديث ، وقد تقدم – وهذا كثيرٌ فى الكتاب والسُّنة ، يَذُمُّ سبحانه من يُضِيفُ إنعامَه إلى غيره . ويُشْرِكُ به . قال بعض السَّلفِ :

هو كقولهم كانت الرِّيحُ طَيِّبةً ، والمَلّاحُ حاذِقًا ، ونحوِ ذلك ممَّا هو جارٍ على أَلْسنةِ كثيرٍ .

في الهوان والعذاب مع عابديها ، وأقرب الخلق إلى الله وأحبهم إليه لا يشفع عنده إلا من بعد إذنه لمن ارتضاه .

قوله : (كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً) الملاح والي السفينة ؛ والمعنى أن الله إذا أجرى السفينة وسلمها نسبوا ذلك إلى الريح والملاح ونسوا ربهم .

***

فيه مسائل

الأولى : تفسير معرفة النعمة وإنكارها .

الثانية : معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير .

الثالثة : تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة .

الرابعة : اجتماع الضدين في القلب .

٤٢ ـ باب

قولِ الله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا للهِ أندادًا وأنتُم تعلمون ﴾ .

قال ابن عباس فى الآية : « الأنداد هو الشِّرْكُ ، أخْفَى من دبيب النَّمْل على صفاةٍ سوداء فى ظلمةِ الليلِ ، وهو أن تقولَ : واللهِ وحياتِكَ يا فُلَان وحياتى ، وتقولَ : لولا كُلَيْبَةُ هذا لأتانَا اللصوصُ ، ولولا البطّ فى الدار لأتى اللصوصُ ، وقولُ الرجل لصاحبه :

قال ابن القيم : فتأمل هذه وشدة لزومها لتلك المقدمات قبلها ، وظفر العقل بها بأول وهلة ؛ وخلوصها من كل شبهة وريب وقادح ، إذا كان الله وحده هو الذي فعل هذه الأفعال فكيف تجعلون لله أنداداً وقد علمتم أنه لا ند له يشاركه في فعله . (قلت) يشير بالمقدمات إلى قوله : ﴿ يأيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ وما بعدها .

قوله : (أخفى من دبيب النمل) وروى ابن نصر عن ابن مسعود قال « الربا بضع وسبعون باباً والشرك نحو ذلك » وروي عنه أيضاً أنه قال « الربا ثلاثة وسبعون باباً والشرك نحو ذلك »

ما شاءَ اللهُ وشئتَ ، وقولُ الرجلِ : لولا اللهُ وفلانٌ . لا تجعلْ فيها فلانًا ، هذا كلُّهُ بهِ شِرْكٌ » . رواهُ ابن أبى حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فقد كَفَرَ ، أَوْ أَشْرَكَ » . رواه الترمذىُّ وحَسَّنَهُ ، وصححه الحاكمُ .

* * *

قوله : « لولا البط » يريد طائر يتخذ في البيوت إذا دخل غير أهلها صاح . قوله : (هذا كله به شرك) أي بالله .

قوله : (عن عمر) قال الشارح : الصواب عن ابن عمر ، كذلك أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان قال ابن العراقي إسناده ثقات ، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » وعن بريدة مرفوعاً (من حلف بالأمانة فليس منا) رواه أبو داود وقال ابن عبد البر: لا يجوز الحلف بغير الله بالاجماع . قوله : (فقد كفر أو أشرك) أخذ به طائفة فذهبوا إلى كفر الحالف بغير الله ، وقال الأكثرون لا يكفر كفراً ينقله عن الملة ؛ لكنه شرك أصغر فهو حرام بل هو أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر ؛ وأما قوله : (أفلح وأبيه إن صدق) ونحوه ، فقال

وقال ابن مسعودٍ : «لَأَنْ أحْلِفَ بِاللهِ كاذِبًا أحبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بغيْرِهِ صادقًا» .

وعن حُذَيْفَةَ رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : «لا تقولوا ما شاءَ اللهُ وشاءَ فلانٌ ، ولكن قولوا : ما شاءَ اللهُ ثم شاءَ فُلان» . رواه أبو داود بسند صحيح .

وجاء عن إبراهيم النَّخَعِيِّ ، أنه يَكْرَهُ : أعوذ باللهِ وبكَ ، ويجوز أن يقول : بالله ثمَّ بكَ ، قال : ويقولُ : لوْلا اللهُ ثم فلانٌ ، ولا تقولوا لوْلا اللهُ وفلانٌ .

* * *

الشارح : الحق ان هذا كان قبل النهي عن ذلك ثم نسخ . قال السهيلي : وعليه أكثر الشراح ، قوله : (وقال ابن مسعود) رواه الطبراني وذكره ابن جرير غير مسند ، قال شيخ الإسلام : وإنما رجح ابن مسعود الحلف بالله كاذباً على الحلف بغيره صادقاً لأن الحلف بالله توحيد ، والحلف بغيره شرك وإن قدر الصدق في الحلف بغير الله ، فحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك ـ قوله : (وجاء عن إبراهيم) رواه عبد الرزاق وابن أبي الدنيا .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية البقرة في الأنداد .

الثانية : أن الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعمّ الأصغر .

الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك .

الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس .

الخامسة : الفرق بين الواو وثم في اللفظ .

* * *

٤٣ ـ باب
ما جاء فيمن لم يَقْنَعْ بالحلف بالله

عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: « لا تحلفوا بآبائِكُمْ، منْ حلفَ بالله فليَصْدُقْ، ومن حُلفَ له بالله فليَرْضَ، ومن لم يَرْضَ فليس من الله ». رواه ابن ماجه بسندٍ حسنٍ.

* * *

قوله: من حلف له بالله فليرض أي يجب عليه الرضا.

قوله: (ومن لم يرض فليس من الله) فيه وعيد لمن لم يرض بالله؛ قال الشارح: وحدثت عن المصنف أنه حمله على اليمين في الدعاوى كمن يتحاكم عند الحاكم فيحكم على خصومه باليمين فيحلف فيجب عليه أن يرضى. وقال الشيخ تقي الدين ولا يغلظ اليمين بالتحليف عند ما لم يشرع للمسلمين تعظيمه كما لا يغلظ بالتحليف عند المشاهد ومقامات الأنبياء ونحو ذلك، ومن فعل ذلك فهو مبتدع ضال مخالف للشريعة.

* * *

فيه مسائل

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرض.

٤٤ ـ باب
قولِ « ما شَاءَ اللهُ وشئْتَ » *

عن قُتَيْلَةَ : « أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال : إنكُمْ تُشْرِكُونَ ، تقولون : ما شاءَ اللهُ وشئتَ ، وتقولون : والكَعبةِ ، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : وربِّ الكعبةِ ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثمّ شئتَ » . رواه النسائِيُّ وصححه .

وله أيضًا عن ابن عباس : « أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء اللهُ وشئْتَ ، فقال : أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا ؟ ما شاء اللهُ وحْدَهُ » .

ولابن ماجه ، عن الطفيلِ أَخي عائشةَ لِأُمِّها ، قال : « رأَيتُ كأَنِّي أَتَيْتُ على نفرٍ من اليهود ، قلتُ :

---

* أي ما حكم التلفظ به ، قوله : (عن قتيلة) بضم القاف مصغر ـ قوله : (إنكم تشركون) قال الشارح : هذا نص في أن هذا اللفظ من الشرك لأن النبي أقر اليهودي على تسميته هذا اللفظ تنديداً وشركاً ونهى عن ذلك وأرشد إلى اللفظ البعيد من الشرك وهو قول ما شاء الله ثم شئت ، وإن كان الأولى قول ما شاء الله وحده كما يدل عليه حديث ابن عباس وغيره .

إنكُمْ لأَنْتُمُ الْقَوْمُ لولا أنكم تقولون عُزَيْرٌ ابنُ الله . قالوا : وأنتم لَأَنْتُمُ القومُ لولا أنكم تقولون : ما شاء اللهُ وشاء محمد ، ثم مَرَرْتُ بنفرٍ من النصارى . فقلت : إنكم لأنتم القَومُ ، لولا أنكم تقولون : المسيح ابن اللهِ ، قالوا : وأنتم لَأَنْتُمُ القوم ، لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمدٌ ، فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرتُ ، ثم أتيتُ النبيّ ﷺ فأخبرتهُ ، قال : هل أخبرتَ بها أحدًا ؟ قلت : نعم ، قال : فَحَمِدَ اللهَ وأَثنى عليه ، ثم قال : أما بعدُ ، فإنَّ طُفَيْلاً رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بها من أَخبر منكم ، وإنكم قلتم كلمةً كان يَمْنَعُني كذا وكذا أَنْ أَنْهَاكُمْ عنها ، فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده » .

* * *

قوله : (وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا) في رواية أحمد والطبراني «كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها » وهذا الحياء منهم ليس على سبيل الحياء عن الإنكار عليهم بل كان ﷺ يكرهها ويستحي أن ينكرها لأنه لم يؤمر بإنكارها ، فلما جاء الأمر الإلهي بالرؤيا الصالحة أنكرها ، ولم يستح في ذلك . قاله الشارح .

فيه مسائل

الأولى : معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية : فهم الإنسان إذا كان له هوى .

الثالثة : قوله ﷺ « أجعلتني لله ندًّا » فكيف بمن قال : ما لي من ألوذ به سواك ، والبيتين بعده .

الرابعة : أن هذا ليس من الشرك الأكبر ، لقوله « يمنعني كذا وكذا » .

الخامسة : أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي .

السادسة : أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام .

* * *

٤٥ ـ باب
من سبَّ الدَّهْرَ فقد آذى اللهَ

وقولِ اللهِ تعالى : ﴿ وقالوا ما هى إِلَّا حياتُنا الدُّنيا نموتُ ونحيَا وما يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ الآية .

* * *

وأما الضرر فلا يضر الله أحد . قوله : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا ﴾ الآية . قال ابن جرير : أي ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها تكذيباً منهم بالبعث بعد الموت . ﴿ نموت ونحيا ﴾ قال ابن كثير : يموت قوم ويعيش آخرون ، وما ثم معاد ولا قيامة ؛ وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد ، وتقوله الفلاسفة الدورية المنكرون للصانع ، المعتقدون أن في كلّ ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه ، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى ، فكابروا العقول ، وكذبوا المنقول ، ولهذا قالوا : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ قال ابن جرير : أي ما يفنينا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر ؛ إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم ﴿ وما لهم بذلك من علم ﴾ قال ابن جرير : يعني من يقين علم ﴿ إن هم إلا يظنون ﴾ قال ابن كثير : أي يتوهمون ويتخيلون .

فى الصحيح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ، قال : « قال الله تعالى : يُؤْذِينِى ابنُ آدمَ ، يَسُبُّ الدَّهْرَ .

قوله : (يؤذيني ابن آدم) الخ : صريح في تحريم سب الدهر ، قال تعالى : ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً ﴾[1] وسبه كقول ابن المعتز :

يا دهر ويحك ما أبقيت لي أحداً
وأنت والد سوء تأكل الولدا

وقول أبي الطيب :

قبحاً لوجهك يا زمان فإنه وجه له في كل قبح برقع

قال ابن القيم : وفي هذا ثلاث مفاسد . (أحدها) : من ليس أهلاً للسب فإن الدهر خلق مسخر فسابّه أولى بالذم منه . (الثانية) : إن سبه متضمن للشرك فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع ، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر ، وأعطى من لا يستحق العطاء . (الثالثة) : إن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٧ .

وأَنا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ » .

وفى رواية : « لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، فإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ » .

* * *

لفسدت السموات والأرض ، فسابّ الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما : إما مسبة الله أو الشرك به فإنه إن اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك وهو يسب من فعله فقد سب الله تعالى . ا هـ ملخصاً .

قوله : (وأنا الدهر) قال الخطابي : معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور انتهى . وقد غلط من عد الدهر من أسماء الله تعالى ولو كان ذلك حقاً لكان الذين قالوا : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ صادقين ، ولم يرد الله عليهم بقوله : ﴿ إن هم إلا يظنون ﴾ قال المصنف : وفيه أنه قد يكون سباً ولو لم يقصده بقلبه .

* * *

فيه مسائل

الأولى : النهي عن سبّ الدهر :

الثانية : تسميته أذىً لله .

الثالثة : التأمل في قوله « فإن الله هو الدهر » .

الرابعة : أنه قد يكون سابًا ولو لم يقصد بقلبه .

٤٦ ـ باب
التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال : « إنَّ أَخْنَعَ اسمٍ عند الله ، رجلٌ تسمَّى مَلِكَ الأملاكِ ، لا مالِكَ إلا اللهُ » . قال سُفيَانُ : مثلُ شَاهَانْ شَاهْ .

* * *

قوله : (إن أخنع) قال المصنف : يعني أوضع ، وروى الطبراني « اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك » قوله : « تسمى » بفتح التاء الفوقية والسين المهملة أي سمى نفسه ؛ وقيل بضم الياء التحتية أي يدعى بذلك ويرضى به . قوله : (لا ملك إلا الله) هو الذي يستحق هذا الإسم ؛ ومن تسمي به فقد كذب وافترى وادعى ما ليس له ، فلذلك صار أذل الناس عند الله يوم القيامة . قال ابن القيم : الملك المتصرف بفعله والملك المتصرف بفعله وأمره . وسفيان هو ابن عيينة . قوله : (مثل شاهان شاه) قال ابن القيم : ملك الملوك ، وسلطان السلاطين ا هـ .

ومراد سفيان أن الحديث متناول لمثل هذا بأي لسان فلا ينحصر في لفظ بعينه بل ما أدى هذا المعنى فهو داخل في الحديث ، هذا معنى كلام الحافظ ، وقد زعم بعض المتأخرين أن التسمي بقاضي القضاة ونحوه جائز واستدلوا بحديث « أقضاكم

وفى رواية : « أَغْيَظُ رَجُلٍ على الله يوم القيامةِ وأخْبَثُهُ » .
قوله « أخْنَعُ » يعنى : أَوْضَع .

على » وتعقبه العلم العراقي فصوب المنع ورد ما احتج به بأن التفضيل في ذلك وقع في حق من خوطب به ومن يلتحق بهم فليس مساوياً في الإطلاق التفضيل بالألف واللام ، قال : ولا يخفى ما في إطلاق ذلك من الجرأة وسوء الأدب ، ولا عبرة بقول من وُلِّي القضاء فنعت بذلك فلذ في سمعه فاختار الجواز ؛ فإن الحق أحق أن يتبع .

* * *

فيه مسائل

الأولى : النهي عن التسمي بملك الأملاك .

الثانية : أن ما في معناه مثله ، كما قال سفيان .

الثالثة : التفطن للتغليظ في هذا ونحوه ، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه .

الرابعة : التفطن أن هذا لاجلال الله سبحانه .

* * *

٤٧ ـ باب
احترام أسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شُرَيْحٍ : « أنه كان يُكْنَى أَبَا الحَكَم ، فقال له النبي ﷺ : إنَّ اللهَ هو الحَكَمُ ، وإليه الحُكْمُ ، فقال : إن قَومى إذا اختلفُوا فى شىءٍ أَتَوْنِى فَحَكَمتُ بينهم ، فرضىَ كِلَا الفريقين ، فقال : ما أَحسنَ هذا ، فما لَكَ من الوَلَدِ ؟ قلت : شُرَيحٌ ، ومسلمٌ ، وعبدُ اللهِ ، قال : فمن أَكْبَرُهُم ؟ قلتُ : شريحٌ ، قال : فأنت أبُو شريح » . رواه أبو داود وغيره .

* * *

قوله (عن أبي شريح) قال الحافظ اسمه هاني بن يزيد الكندي . قوله (إن الله هو الحكم) قال البغوي : هو الذي إذا حكم لا يرد حكمه وهذه الصفة لا تليق بغيره تعالى . قوله : ﴿ وإليه الحكم ﴾ أي الفصل بينالعباد في الدنيا والآخرة . قوله : ﴿ إن قومي إذا اختلفوا في شيء ﴾ الخ . أي سماني قومي بذلك لذلك . قوله : ﴿ ما أحسن هذا ﴾ قال بعضهم : أي الحكم بين الناس حسن وقيل أي ما أحسن ما ذكرته من وجه الكنية قيل وهو الأولى . قوله : (فأنت أبو شريح) قال البغوي فيه أنه يُكنى الرجل بأكبر بنيه ، فإن لم يكن ابن فبأكبر بناته وكذلك المرأة .

٤٨ ـ باب
من هزل بشيء فيه ذكْرُ الله ، أو القرآن ، أو الرسول *

وقولِ الله تعالى : ﴿ولَئِنْ سأَلْتَهُمْ ليقولُنَّ إنَمَا كُنَّا نَخُوضُ ونلعبُ﴾ الآية .

***

* أي من فعل ذلك كفر إجماعاً لاستخفافه بالربوبية أو الرسالة .

قوله : ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ﴾(١) الآية . يقول تعالى ولئن سألت يا محمد هؤلاء الذين تكلموا بالاستهزاء ليقولن معتذرين إنما كنا نخوض ونلعب أي لم نقصد حقيقة ذلك ، فأخبرهم أن عذرهم لا يغني شيئاً وأنهم كفروا بعد ⇐

فيه مسائل

الأولى : احترام صفات الله وأسماء الله ، ولو لم يقصد معناه .

الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك .

الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦٥ .

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم

* * *

إيمانهم . قال شيخ الإسلام : وقول من قال إنهم كفروا بعد إيمانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم لا يصح لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يقال قد كفرتم بعد إيمانكم فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر ، وإن أريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يظهروا ذلك إلا لخواصهم ، وهم مع خواصهم ما زالوا هكذا بل لما نافقوا وحذروا أن تنزل عليهم سورة تُبين ما في قلوبهم من النفاق وتكلموا بالاستهزاء صاروا كافرين بعد إيمانهم ، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين ؛ إلى أن قال : لئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، فاعترفوا واعتذروا ، ولهذا قيل ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ، إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة ﴾[1] فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفراً ، بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر ، فبين أن الاستهزاء بآيات الله ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه ؛ فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم ، ولكن لم يظنوه كفراً ، وكان كفراً كفروا به ، فإنهم لم يعتقدوا جوازه ، قال وفي الآية دليل على أن الرجل إذا فعل الكفر ولم يعلم أنه كفر لا يعذر بذلك بل يكفر ؛

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦٦ .

وقتادةَ ، دخلَ حديثُ بعضِهم فى بعضٍ : « أنه قال رجلٌ فى غزوَةِ تَبُوكَ : ما رأينَا مثلَ قُرَّائنا هؤلاء ، أَرْغَبَ بطونًا ، ولا أَكْذَبَ أَلْسُنًا ، ولا أَجْبَنَ عند اللِّقَاءِ ، يعنى رسولَ الله ﷺ وأصحابَهَ القُرَّاء ، فقال له عَوْفُ بن مالكٍ : كَذَبتَ ، ولكنك مُنَافِقٌ ، لَأُخبِرَنَّ رسول الله ﷺ ، فذهبَ عوفٌ إلى رسول الله ﷺ لِيُخْبِرَهُ ، فوجد القرآن قد سبقهُ ، فجاء ذلك الرَّجلُ إلى

* * *

وعلى أن السابّ كافر بطريق أولى .

قوله : (دخل حديث بعضهم في بعض) أي أنه مجموع من رواياتهم . قوله : (أرغب بطوناً) أي أوسع ، يريد كثرة الأكل وهو وإن كان مذموماً لكن هذا ذكره استهزاء ـ وقد كذب هذا فإن الصحابة هم أحسن الناس اقتصاداً في الأكل وغيره بل المنافقون والكفار أوسع بطوناً وأكثر أكلاً كما صحت بذلك الأحاديث ، وكذلك المنافقون أشد الناس جبناً وهم أكذب خلق الله كما وصفهم الله بذلك في كتابه ، ولهذا قال له عوف « كذبت » قوله : « ولكنك منافق » فيه جواز وصف الرجل بالنفاق إذا ظهر منه ما يدل عليه ، قوله : « لأخبرن رسول الله ﷺ » هذا من النصيحة لله ولرسوله .

رسول الله ﷺ ، وقد ارتحَل وركبَ نَاقَتَهُ ، فقال : يا رسول الله ، إنما كُنَّا نخوضُ ونَتَحَدَّثُ حَديثَ الرَّكْبِ نقطعُ بهِ عناءِ الطرِيقَ ، قال ابن عمر : كأنِّي أَنْظُرُ إليه متعلقًا بِنَسْعَةِ ناقَةِ رسول الله ﷺ ، وإنَّ الحجارةَ تنكبُ رِجْلَيْهِ ، وهو يقول : إنما كُنَّا نخوضُ ونلعبُ . فيقول له رسول الله ﷺ : ﴿ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ؟ ﴾ ، ما يَلْتَفِتُ إليه وما يزِيدُهُ عليهِ » .

* * *

قوله : (بنسعة) بكسر النون . قال ابن الأثير : سير مضفور يجعل زماماً للبعير وقد تنسج عريضة تجعل على صدر البعير ، قوله : ﴿ أبالله وآياته ورسوله ﴾ الخ ، فيه اعتبار المقاصد ، لأنهم لم يذكروا الله ولا رسوله ولا كتابـه . فإن قيل كيف لم يقتلهم ؟ قيل : مخافة أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه كما علله بذلك ﷺ .

(تتمة) القول الصريح في الاستهزاء هذا وما يشابهه ، وأما الفعل الصريح فمثل مد الشفة وإخراج اللسان ، ورمز العين ، وما يفعله كثير من النـاس عنـد الأمـر بالصـلاة والـزكاة ، فكيف بالتوحيد ، قاله المصنف ، قال وفيه مسائل ، (الأولى) : وهي العظيمة أن من هزل بهذا أنه كافر . (الثـانية) : إن هذا هو

تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان . (الثالثة) : الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ورسوله . (الرابعة) : الفرق بين العفو الذي يحبه الله والغلظة على أعداء الله . (الخامسة) : إن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبل .

* * *

فيه مسائل

الأولى : وهي العظيمة ، أن من هزل بهذا فهو كافر .

الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان .

الثالثة : الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله .

الرابعة : الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله .

الخامسة : أن من الأعذار ما لا ينبغي أن يقبل .

* * *

٤٩ ـ باب

ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ ولئنْ أَذَقْناهُ رحمةً مِنّا مِنْ بعدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ليقولنَّ هَذا لِي ﴾ الآية . قال مجاهدٌ : هذا بعملي ، وأنَا محقوقٌ به . وقال ابن عباسٍ : يُرِيدُ من عندي . وقوله : ﴿ قال : إنما أُوتيتُهُ على عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ . قال قتادة : على علم مِني بوجوهِ المكاسِبِ ، وقال آخرون : على علم من الله أنِّي له أهلٌ ، وهذا معنى قول مجاهد : أُوتيتُهُ على شرفٍ .

وعن أبي هريرة ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ ثلاثةً من بني إسرائيلَ : أَبْرَصَ وأَقْرَعَ وأَعْمَى ، فأَرادَ اللهُ أنْ يبتلِيَهُمْ ، فبعثَ إليهِم مَلَكًا ، فأَتَى الأَبْرَصَ

* * *

المراد بهذه الترجمة بيان أن ما يحصل للعبد من النعم والفوائد مجرد فضل من الله وإحسان ، قوله : (قال مجاهد) رواه عبد بن حميد وابن جرير بنحوه ، قوله : (بعملي) أي كسبي واحترافي . قوله : (محقوق به) أي مستحق له ، قوله : (وقال قتادة) رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . قوله : (عن أبي هريرة) هذا سياق مسلم . قوله : (فأراد الله) ورواية

فقال : أىُّ شَىْءٍ أحبُّ إليك ؟ قال : لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسنٌ ، ويذهبُ عنّى الذى قد قذرنى الناسُ به ، قال : فمسحهُ ، فذهب عنه قَذَرُهُ ، فأُعْطى لَوْنًا حسنًا وجلدًا حسنًا ، قال : فأَىُّ المال أَحبُّ إليك ؟ قال : الإبلُ أو البقرُ – شَكَّ إسحاقُ – فأُعطىَ ناقةً عُشَراءَ . وقال : باركَ اللهُ لكَ فيها . قال : فأَتى الأَقْرَعَ . فقال : أىُّ شىءٍ أَحبُّ إليك ؟ قال : شَعْرٌ حسن . ويذهب عنِّى الذى قد قَذِرَنى الناسُ به ، فمسحهُ فذهب عنه . وأُعْطىَ شَعْرًا حسنًا ، فقال : أىُّ المال أحبُّ إليك ؟ قال : البقرُ أو الإبلُ ، فَأُعْطِىَ بَقَرَةً حَامِلاً ، قال بارکَ اللهُ لكَ فيها ، فَأَتى الأَعْمَى فقال أىُّ شىءٍ أحبُّ إليك ؟ قال : أنْ يَرُدَّ اللهُ إلَىَّ بَصَرِى ، فَأُبصرَ به الناس . فمسحهُ فردَّ اللهُ إليه بصرهُ ، قال : فأَىُّ المال أحبُّ إليك ؟ قال : الغنَمُ ، فأُعطى شاةً وَالِدًا ، فأُنتجَ هَذَانِ

البخاري (بدا لله) بالباء الموحدة والدال المهملة وكسر لام الجلالة . قال ابن قرقول ضبطناه بالهمز ، ورواه كثير من الشيوخ بلا همز ، قوله : (قذرني الناس) بكسر الذال المعجمة

وولَّدَ هذا ، فكان لهذا وادٍ مِن الإبلِ ، ولهذا وادٍ من البقرِ ، ولهذا وادٍ من الغَنَمِ . قال : ثُمَّ إنَّهُ أَتى الأَبْرص فى صورته وهيئتهِ ، فقال : رجلٌ مسكينٌ قد انقطعتْ بى

أي كرهوني ، انتهى من تنقيح الزركشي ، قوله : (شك اسحاق) أي ابن عبد الله بن أبي طلحة . قوله : (ناقة عشراء) بعين مهملة مضمومة وشين معجمة مفتوحة وبالمد غير منصرف ؛ قال في تيسير الوصول : هي الحامل وقيل هي التي أتى على حملها عشرة أشهر ، وفي التنقيح وهي من أنفس الإبل ، قوله : (فأعطاه شاة والداً) قال الزركشي الشافعي أي ذات ولد ، وقال في التيسير : الشاة الوالد التي عرف منها كثرة الولد ، والنتاج .

قوله : « فأنتج هذان » بفتح الهمزة والتاء المثناة فوق أي صاحب الناقة والبقرة . قوله : « وولد هذا » بتشديد اللام أي صاحب الشاة . قال في التيسير : ومعناه اعتنى بها عند الولادة اهـ أي وحفظها وقام بمصالحها . قوله : « في صورته وهيئته » قال ابن القيم : في كتاب الأعلام : وهذا ليس بتعريض وإنما هو تصريح على وجه ضرب المثال وإيهام أني أنا صاحب هذه القصة كما أوهم الملكان داود أنهما صاحبا القصة . قوله : « انقطعت بي الحبال » بالحاء المهملة بعدها باء موحدة أي

الحِبالُ فى سفرى ، فلا بلاغَ لى اليوم إلَّا باللهِ ثم بكَ ، أَسْأَلُكَ بالذى أعطاك اللون الحَسَنَ والجِلْدَ الحَسَنَ والمال – بعيرًا أَتبلَّغُ بهِ فى سفرى ، فقال : الحُقُوقُ كثيرةٌ ، فقال له : كأنِّى أعرِفُكَ ! أَلَمْ تكنْ أبرَصَ يقذَرُكَ الناسُ فقيرًا ، فأَعطاكَ اللهُ عز وجل المال ؟ فقال : إنما وَرِثْتُ هذا المال كابرًا عن كابرٍ ، فقال : إنْ كنْتَ كاذِبًا فصيَّرَكَ اللهُ إلى ما كنت . قال : وأَتَى الأَقْرَعَ فِي صورتِهِ ، فقال له مثل ما قال لهذا ، وردَّ عليه مثل ما ردَّ عليه هذا ، فقال : إنْ كُنت كاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إلى ما كنت . قال : وأتى الأعْمَى فِي صُورتهِ فقال : رجُلٌ مِسْكينٌ وابْنُ سبيل قد انقطعتْ بى الحِبالُ فِي سفرى ، فلا بلاغَ لى اليومَ إلا باللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِى ردَّ عليك بَصَرَكَ شاةً أَتبلَّغُ بها فِي سفرى ، فقال : قَدْ كنْتُ أَعْمَى فردَّ اللهُ إلىَّ بصرِى ، فَخُذْ ما شِئْتَ .

الأسباب التي يقطعها في طلب الرزق . ولبعض رواة مسلم « الحيال » ياء تحتية ؛ جمع حيلة . قال الزركشي ، قوله « أتبلّغ به » من البلغة ، وهي الكفاية ، أي أتوصل به إلى مرادي ، قوله « فصيرك الله إلى ما كنت » أي ردّك الله إلى ما كنت عليه سابقاً

ودَعْ ما شئتَ . فواللهِ لا أجْهَدُكَ اليوم بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ ، فقال : أمْسِكْ مالَكَ ، فَإِنَّما ابْتلِيتُمْ ، فقد رضى اللهُ عنك وسخِطَ على صَاحِبَيْكَ » أخرجاه .

* * *

من البرص والفقر ، قوله : « لا أجهدك » هكذا لبعض رواة مسلم ؛ أي لا أشقّ عليك في الأخذ والإمتنان ، ورواية البخاري « لا أحمدك » بالحاء المهملة والميم أي على طلب شيء أو أخذ شيء مما تحتاج إليه من مالي كما قيل « ليس على طول الحياة ندم » أي على فوت طول الحياة ، ولما لم يصح لبعضهم هذه المعاني قال بإسقاط الميم أي لا أحدك أي لا أمنعك شيئاً ، وهذا تكلف وتغيير للرواية ، قاله الزركشي الشافعي .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما معنى ﴿ ليقولن هذا لي ﴾ .

الثالثة : ما معنى قوله ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ .

الرابعة : ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة .

٥٠ ـ باب
قول الله تعالى

﴿ فَلَمَّا آتاهُما صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما ﴾ الآية .

* * *

أول الآية ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾[١] أي من أبينا آدم ﴿ وجعل منها زوجها ﴾ أي حواء خلقها الله منه ﴿ليسكن إليها ﴾أي يطمئن إليها ويألفها ﴿ فلما تغشاها ﴾ أي وطأها ﴿ حملت حملا خفيفاً ﴾ أي لا يثقلها أولاً إنما هو نطفة وعلقة ومضغة ﴿ فمرت به ﴾ قال مجاهد : استمرت عليه وقال مهران استخفته ، وقال ابن جرير : استمرت بالماء قامت به وقعدت ﴿ فلما أثقلت ﴾ أي صارت ذا ثقل بحملها ، قال السدي كبر في بطنها ﴿ دعوا الله ربهما ﴾ أي آدم وحواء ﴿ لئن آتيتناصالحاً ﴾ بشراً سوياً . قال ابن عباس أشفقا أن يكون بهيمة ﴿ فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾[٢] أي لم يؤديا شكرهما على الوجه المرضي بل أشركا في طاعة الله كما قال قتادة : شركاء في طاعته ، ولم يكن في عبادته وذلك تسميته عبد الحارث ، ثم استطرد من ذكر الشخص إلى الجنس فقال :

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٩ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٩٠ .

قال ابنُ حَزْمٍ : اتَّفَقُوا على تحريم كلِّ اسمٍ مُعبَّد لغيرِ الله ، كعبدِ عُمر ، وعبدِ الكعبةِ ، وما أشبه ذلك ، حاشا عبدَ المُطَّلبِ .

وعن ابن عباس فى الآيةِ . قال : « لَمَّا تغشَّاها آدَمُ حَمَلَتْ ، فأتاهما إبليس فقال : إنى صاحِبُكما الذى أخرجْتُكما من الجنةِ لَتُطيعانِّنِي أو لَأَجْعلنَّ له قرنَىْ إيَّلٍ فيخرُجُ من بطنك فيشقُّه ، ولأفعلنَّ ، يُخَوِّفُهما .

﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ أي يتنـزَّه الله عن إشـراك كل مشرك به في عبادة وطاعة .

قوله : (اتفقوا) قال الشارح : الظاهر أن المراد أجمعـوا . قوله : (حاشا عبد المطلب) أي فإنهم لم يتفقوا على تحـريم التسمية به بل اختلفوا فيه فأجازه قوم محتجين بقوله : (أنا ابن عبد المطلب) ومنعه آخرين واستدلوا بما أورده الشيخ في هذا الباب ، وبأن النبي ﷺ غير أسمـاء رجـال عبـدت لغير الله ، وأجابوا عن قوله : (أنا ابن عبد المطلب) بأن هذا انشاء للتسمية وإنما هو اخبار بمن كان هذا إسماً له ، ويجوز في الإخبار ما لا يجوز في الإنشاء ألا ترى أنه يقال بني عبد شمس وبني عبد الدار ونحو ذلك ؟ قوله : (قرني أيل) بفتح الهمزة وكسر التحتية

سمِّياهُ عبدَ الحارث ، فأَبيا أن يُطيعاهُ ، فخرج ميتًا . ثم حملتْ فأتاهما فذكر لهما ، فأدركهما حبُّ الولد . فسمَّياهُ عبدَ الحارثِ ، فذلك قوْلُهُ ﴿ جعَلَا لَهُ شُركاءَ فِيما آتاهُما ﴾ » . رواه ابن أبي حاتم . وله بسند صحيح عن قتادة ، قال : شُركاء في طاعتهِ ولم يكن في عبادته . وله بسند صحيح عن مجاهد ، في قوله ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا صالِحًا ﴾ قال : أشفقا أن لا يكون إنسانًا . وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

* * *

المشددة ذكر الأوعال . قوله : (سمياه عبد الحارث) قال سعيد ابن جبير كان اسمه في الملائكة الحارث .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تحريم كل اسم معبد لغير الله .

الثانية : تفسير الآية .

الثالثة : أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها .

٥١ ـ باب
قول الله تعالى

﴿ ولله الأسماءُ الحسنى فادْعُوهُ بها وذروا الذين يُلحِدون فى أسمائِه ﴾ الآية .

أخبر سبحانه أن له أسماء وأنها حسنى أي قد بلغت الغاية في الحسن فلا أحسن منها ولا أكمل فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأئمة معنى وأبعده وأنزهه عن شائبة النقص ، فأسماؤه أحسن الأسماء كما أن صفاته أكمل الصفات فلا يعدل عما سمى به نفسه إلى غيره كما لا يتجاوز ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون ، فعليك بمراعاة ما أطلقه سبحانه على نفسه من الأسماء والصفات وعدم إطلاق ما لم يطلقه على نفسه ما لم يكن مطابقاً لمعنى أسمائه وصفاته وحيئتذ فيطلق المعنى دون اللفظ وهذا كلفظ الفاعل والصانع فإنه لا يطلق عليه في أسمائه الحسنى إلا إطلاقاً مقيداً كما أطلق

⇐ الرابعة : أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم .
الخامسة : ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة .

* * *

على نفسه كقوله :﴿ فعَّال لما يريد ﴾[1] ، ﴿ ويفعل الله ما يشاء ﴾ وقوله : ﴿ صُنْع الله الذي أتقن كل شيء ﴾[2] فإن اسم الفاعل والصانع منقسم المعنى إلى ما يمدح عليه وما يذم ، فلهذا المعنى والله أعلم لم يجيء في الأسماء الحسنى المزيد كما جاء فيها السميع البصير ، ولا المتكلم الآمر الناهي لانقسام مسمى هذه الأسماء بل وصف نفسه بكمالاتها وأشرف أنواعها ، ومن هنا يعلم غلط بعض المتأخرين في اشتقاقه له سبحانه من كل فعل أخبر به عن نفسه اسماً مطلقاً وأدخله في أسمائه الحسنى ، فاشتق له الماكر والمخادع والفاتن والمضلّ ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . انتهى ملخصاً كثيراً من كلام ابن القيم .

وقوله: ﴿فادعوه بها﴾ الدعاء بها أحد مراتب إحصاءها الذي قال فيه ﷺ « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » رواه البخاري « المرتبة الأولى » : إحصاء ألفاظها وعددها « المرتبة الثانية » : فهم معانيها ومدلولها . « المرتبة الثالثة » : دعاؤه بها وهو نوعان دعاء ثناء وعبادة، ودعاء طلب ومسئلة ، فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى كذلك لا يسأل إلا بها فيسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب ،

---

(١) سورة هود ، الآية : ١٠٧ . (٢) سورة النمل ، الآية : ٨٨ .

* * *

فيكون السائل متوسلاً بذلك الإسم ، تقول ربّ اغفر لي وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم ، ولا يحسن : إنك أنت السميع البصير ونحو ذلك ، ملخص من كلام ابن القيم ، وروى الترمذي عن أبي هريرة عدها فقال طائفة من أهل العلم إنه مدرج من بعض الرواة . وقال ابن حزم : جاءت في إحصائها أحاديث مضطربة لا يصح شيء منها . وقال ابن القيم رحمه الله : أما قوله : (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) فالكلام جملة واحدة . وقوله : « من أحصاها دخل الجنة » صفة لا خبر مستقل ، والمعنى له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة ، وهذا لا ينبغي أن يكون له أسماء غيرها كقولك لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد فلا ينبغي أن يكون له مماليك غيرهم أعدهم لغير الجهاد ، ا هـ ، ويدل عليه قوله ﷺ « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك » قال ابن القيم : فجعل أسماءه ثلاثة أقسام : قسماً سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ؛ ولم ينزل به كتابه ، وقسماً أنزل به كتابه وتعرّف به إلى عباده ، وقسماً استثأر به في علم غيبه ، فلم يطلع عليه أحد من خلقه ، ومنه قوله عليه السلام في حديث الشفاعة « فيفتح عليَّ من محامده بما لا

———— *** ————

أحسنه الآن » وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته ومنه قوله « لا أحصي ثناء عليك » .

وقوله : ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ قال ابن القيم : الإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت ؛ وهو أنواع . (أحدها) : أن يسمى الأصنام بها كتسمية اللات من الإله ونحوه . (الثاني) : تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته أو علة فاعلة . (وثالثها) : وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود : ﴿ إن الله فقير ﴾ وقولهم : إنه استراح ؛ وقولهم ﴿ يد الله مغلولة ﴾ (ورابعها) : تعطيل الأسماء الحسنى عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية أنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي ويقولون لا سمع له ولا بصر ولا حياة ونحو ذلك . (وخامسها) : تشبيه صفاته بصفات خلقه ـ تعالى الله عن قول الملحدين علواً كبيراً ، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه ، وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله ، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه ، ولم يعدلوا بها عما أنزلت لفظاً ولا معنى بل أثبتوا له الأسماء والصفات ؛ ونفوا

***

ذكرَ ابنُ أبى حاتمٍ عن ابن عباسٍ يُلحِدُونَ فى أسمائِه : يشركونَ . وعنه : سَمَّوا اللَّاتَ منَ الإلٰهِ ، والعُزَّى من العَزِيزِ . وعن الأعمش : يدخلونَ فيها ما ليس منها .

* * *

عنه مشابهة المخلوقات ، فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه وتنزيههم خلياً من التعطيل لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنماً ؛ أو عطل حتى كأنه يعبد عدماً .

قوله : (وذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس) قال الشارح : لم يروه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وإنما رواه عن قتادة . قوله : (وعنه) أي عن ابن عباس . رواه ابن أبي حاتم عنه وكذلك أثر الأعمش .

* * *

فيه مسائل

الأولى : إثبات الأسماء .

الثانية : كونها حسنى .

الثالثة : الأمر بدعائه بها .

الرابعة : ترك من عارض من الجاهلين الملحدين .

الخامسة : تفسير الالحاد فيها .

السادسة : وعيد من ألحد .

٥٢ - باب
لا يُقالُ : السلامُ على الله *

فى الصحيح عن ابن مسعودٍ رضى الله عنه ، قال : «كُنا إذا كنَّا مع النبي ﷺ فى الصلاة قلنا : السلامُ على الله من عباده ، السلامُ على فلان وفلان ، فقال النبي ﷺ : لا تقولوا السلامُ على الله ، فإن الله هو السَّلامُ » .

* * *

* أي لأن السلام دعاء بالسلامة ، والله هو المدعو وهو السلام ، أي السالم من كل تمثيل ونقص . قوله : « إذا كنا مع رسول الله ﷺ » إلى آخره ، هذا في التشهد الأخير . قوله : « فإن الله هو السلام » قال ابن القيم في كافيته :

وهو السلام على الحقيقة سالم   من كل تمثيل ومن نقصان

واختلف في معنى السلام المطلوب عند التحية فقيل : المعنى اسم السلام عليكم أي نزلت بركة اسمه وحلت عليكم ، وقيل : أي السلامة ، قال ابن القيم : الصواب في مجموعهما ؛ فتضمن اللفظ السلامة : ذكر الله وطلب السلامة ؛ وهو مقصود المسلم ، فقد تضمن سلام عليكم إسماً من أسماء الله وطلب السلامة منه . اهـ ملخص كثيراً .

فيه مسائل

الأولى : تفسير السلام .

الثانية : أنه تحية .

الثالثة : أنها لا تصلح لله .

الرابعة : العلة في ذلك .

الخامسة : تعليمهم التحية التي تصلح لله .

* * *

٥٣ - باب
قول : اللهم اغفر لى إن شئتَ

فى الصحيح عن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يَقُلْ أحدكم اللهم اغفر لى إن شئتَ ، اللهم ارحمنى إن شئتَ ، لِيعْزِمِ المسألةَ ، فإن الله لا مُكرِه له » .

ولمسلم : « وليُعظِّمِ الرغبةَ ، فإن الله لا يتعاظَمهُ شئ أعطاه » .

***

أي أنه لا يجوز لأنه يدل أو يوهم دعوى الاستغناء عن مغفرة الله قوله : « اللهم اغفر لي إن شئت » قال القرطبي : إنما نهى رسول الله ﷺ عن هذا القول لأنه يدل على فتور الرغبة وقلة التهمم بالمطلوب ، ويتضمن أن هذا المطلوب إن حصل وإلا استغنى عنه ، ويدل على قلة اكتراثه بذنوبه ورحمة ربه . قوله : « ليعزم المسئلة » قال القرطبي : أي ليجزم في مسئلته وليحقق رغبته . قوله : « فإن الله لا مكره له » قال القرطبي : هذا إظهار لعدم فائدة تقييد الاستغفار والرحمة بالمشيئة فإن الله لا يضطره دعاء ولا غيره إلى فعل شيء بل يفعل ما يريد ، قوله : « وليعظم الرغبة » قيل الطلبة والحاجة . وقيل السؤال أي يلحّ فيه .

***

فيه مسائل

الأولى : النهـي عن الاستثنـــاء في الدعاء .

الثانية : بيان العلة في ذلك .

الثالثة : قوله « ليعزم المسألة » .

الرابعة : إعظام الرغبة .

الخامسة : التعليل لهذا الأمر .

* * *

٥٤ - باب
لا يقول : عَبْدِى وأَمَتى *

فى الصحيح عن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يَقُلْ أحدكم أطْعِم ربك ، وضِّىءْ ربك .

---

* أي لما في ذلك من إيهام المشاركة في الربوبية . قاله الشارح :قوله : « عن أبي هريرة » قال البغوي في شرح السنة : هذا حديث متفق على صحته . قيل إنما منع أن يقول : ربي ؛ أو اسق ربك لأن الإنسان مربوب متعبد باخلاص التوحيد ، فكره له المضاهاة بالاسم لئلا يدخل في معنى الشرك ، والعبد والحر فيه بمنزلة واحدة . فأما ما لا تعبد عليه من سائر الحيوانات والجماد فلا يمنع منه كقولك ربّ الدار وربّ الدابة ، ولم يمنع أن يقول سيدي ومولاي لأن مرجع السيادة إلى معنى الرياسة على ما تحت يده ، ولذلك سمي الزوج سيداً ، فقال تعالى : ﴿ وألفيا سيدها لدى الباب ﴾ وقال النبي ﷺ للحسن « إن ابني هذا سيد » والمولى كثير التصرف من ولي وناصر ومنعم وحليف ومعتق ، وأصله من ولاية أمر وإصلاحه ، فلم يمنع من أن يوصف به مالك الرقبة ، على أنه جاء في رواية « ولا يقل العبد مولاي » ومنع السيد من أن يقول عبدي ، لأن هذا الاسم من باب المضاف ومقتضاه العبودية له ، وصاحبه عبد الله متعبده بأمره

ولْيقل : سيدى ومولاى . ولا يقل أحدكم عبدِى وأمَتى ، وليقل : فَتاى وفَتاتى وغُلامى » .

* * *

ونهيه ؛ فإدخال مملوكه تحت هذا الاسم يوهم التشريك ، ومعناه راجع إلى البراءة من الكبر والتزام الذلّ والخضوع ، فلم يحسن لعبد أن يقول : فلان عبدي بل يقول فتاي وإن كان قد ملك فتاه امتحانا وابتلاءً من الله لخلقه كما قال تعالى : ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ﴾[1]·وعلى هذا امتحان الله تعالى أنبياءه وأولياءه ابتلى يوسف بالرق ودانيال حين سباه بختنصر ، ا هـ أملاه شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن أثابه الله تعالى .

* * *

فيه مسائل

الأولى : النهي عن قول : عبدي وأمتي .

الثانية : لا يقول العبد : ربي ، ولا يقال له : أطعم ربك .

الثالثة : تعليم الأول قول : فتاي وفتاتي وغلامي .

الرابعة : تعليم الثاني قول : سيدي ومولاي .

الخامسة : التنبيه للمراد ، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٢٠ .

٥٥ - باب
لا يُردُّ من سأل بالله *

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ سأَل باللهِ فأَعْطُوهُ ، ومَنِ استعاذَ باللهِ فأعِيذوهُ ، ومَنْ دعاكم فأَجِيبوهُ ، ومنْ صنع

* * *

* أي أن رده مكروه أو محرم إذا كان المطلوب ليس محرماً ولا مكروهاً لأن ردّه دليل على عدم إعظام الله ، وقد جاء الوعيد على منع من سأل بالله أو بوجه الله ، فروى الطبراني عن أبي موسى مرفوعاً « ملعون من سئل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هَجَرا » وعن أبي عبيدة مولى رفاعة بن رافع مرفوعاً « ملعون من سئل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله فمنع سائله » رواه الطبراني أيضاً وعن ابن عباس مرفوعاً « ألا أخبركم بشرّ الناس ؟ رجل سئل بوجه الله ولا يعطى » رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بشر البرية ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال : الذي يسئل بوجه الله ولا يعطى » فهذه الأحاديث مع حديث الباب تدل على وجوب إعطاء من سأل بالله وإن كان السؤال في حقه مكروهاً أو محرماً .

قوله : (من استعاذ بالله فأعيذوه) أي إذا قال أعوذ بالله من

إليكم معروفًا فكافئوهُ ، فإنْ لم تجدوا ما تكافئونهُ فادعُوا له حتى تُرَوا أنكم قد كافأْتُموهُ » . رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح .

***

شرك أو من شر فلان فامنعوا الشر عنه كقول الجونية (أعوذ بالله منك) فقال (لقد عذت بمعاذ . الحقي بأهلك) قوله : « ومن سأل بالله فأعطوه » أي إذا قال أسألك بالله أو بوجه الله كما في حديث ابن عباس « من سألكم بوجه الله فأعطوه » رواه أحمد وأبو داود . قوله : « ومن دعاكم فأجيبوه » أي من دعاكم إلى طعام فأجيبوه والحديث أعمّ من الوليمة وغيرها ، وهو يدل على الوجوب . قوله : (ومن صنع إليكم معروفاً) أي أحسن إليكم فكافئوه على إحسانه ليخلص القلب من إحسان الخلق ، لأنك إذا لم تكافىء من صنع إليك معروفاً ؛ بقي في قلبك له نوع تأله ، فشرع قطع ذلك بالمكافأة . هذا معنى كلام شيخ الإسلام . قوله : (فإن لم تجدوا ما تكافئوه) حذفت النون إما تخفيفاً أو سهواً من الناسخ . قاله الطيبي . قوله : (فادعوا له) أي إذا لم تقدروا على مكافأته فادعوا له . وقد روى الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان عن أسامة بن زيد مرفوعاً : من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء .

(تتمة) تنازعوا في إبرار المقسم هل يجب أو يستحب ؟

* * *

فظاهر كلام الشيخ التفريق بين قصد الإلزام فيجب أو الإكرام فلا يجب ، وأوجب الكفارة إذا لم يفعل المقسم عليه في الأولى دون الثانية ا هـ .

* * *

فيه مسائل

الأولى : إعاذة من استعاذ بالله .

الثانية : إعطاء من سأل بالله .

الثالثة : إجابة الدعوة .

الرابعة : المكافأة على الصنيعة .

الخامسة : أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه .

السادسة : قوله « حتى تروا أنكم قد كافأتموه » .

* * *

٥٦ ـ باب
لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجنَّة

عن جابر ، قال : قال رسول لله ﷺ : «لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجنة» . رواه أبو داود .

* * *

أي أن ذلك لا يجوز ، فأما سؤال المخلوق بوجه الله فحرام للأحاديث التي تقدمت في الباب قبله وفيها لعن من سأل أحداً بوجه الله ، قوله : (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة) قال الشارح : الظاهر أن المراد لا يسئل بوجه الله إلا الجنة أو ما هو وسيلة إليها. وقال العراقي : وذكر الجنة إنما هو للتنبيه به على الأمور العظام لا للتخصيص فلا يسئل بوجهه في الأمور الدنية بخلاف الأمور العظام تحصيلاً أو دفعاً ، والحديث أحق مما قال .

* * *

فيه مسائل

الأولى : النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب .

الثانية : إثبات الوجه .

* * *

٥٧ ـ باب
ما جاء في اللَّوّ

وقول الله تعالى : ﴿ يقولون لو كان لنا مِنْ الأمرِ شيءٌ ما قُتِلْنا هَهُنا ﴾ . وقوله : ﴿ الَّذِين قَالُوا لإخوانِهِمْ وقعدوا لو أطاعُونا ما قُتِلوا ﴾ .

أي من الذم لمن عارض بها أقدار الربّ تعالى إذا لم توافق مراده وهواه . وهذا مضاد لكمال التوحيد . قوله : ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ﴾[١] قال ابن كثير : فسر ما أخفوه في أنفسهم بقوله : ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ﴾ أي يسرون هذه المقالة عن رسول الله ﷺ اهـ . فتبين أن هذا من كلام المنافقين وهو معارضة القدر بلو ، ولهذا ردّ الله عليهم بقوله : ﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ قوله : ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قُتلوا ﴾[٢] وهذا معارضة للقدر من المنافقين بقولهم لمن خرج مع رسول الله ﷺ يوم أُحد ، قيل وإنما قال : (إخوانهم) لمشاركتهم لهم في الظاهر ، وقيل إخوانهم في النسب لا في الدين ؛ لو أطاعونا في مشورتنا عليهم بعدم الخروج ما قُتلوا . ﴿ قل فادرأوا عن أنفسكم الموت ﴾ أي إن عدم الخروج

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٤ . (٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٨ .

فى الصحيح عن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ ، واسْتَعِنْ باللهِ ، ولا

لا ينجي من الموت فإن كنتم صادقين فادفعوا الموت إذا جاءكم بل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم .

قوله : (احرص على ما ينفعك) أول الحديث (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك) إلخ . قال ابن القيم رحمه الله : سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده والحرص بذل الجهد ، واستفراغ الوسع ، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محموداً ، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين : أن يكون حريصاً وأن يكون حرصه على ما ينتفع به ، فإن حرص على ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك فالخير كله في الحرص على ما ينفع .

قوله : (واستعن بالله) قال ابن القيم : لما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه ، أمره أن يستعين به ليجمع له بين مقام ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله ، ولا تتم إلا بمعونة الله فأمره أن يعبده وأن يستعين به . قوله : (ولا تعجزن) قال ابن القيم . العجز ينافي حرصه على ما ينفعه وينافي الاستعانة بالله ،

تَعْجِزَنَّ ، وإن أَصابك شيءٌ فلا تقل لو أنني فعلتُ لكان كذا وكذا . ولكن قُلْ : قَدَّرَ اللهُ وما شاء فعل . فإِنَّ لو تفتَحُ عَمَلَ الشيطَانِ » .

———— *** ————

فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز ، فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده ، ومصدرها منه ، ومردها إليه ؛ فإذا وقع المقدور فللعبد حالتان : حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز إلى لو ولا فائدة فيها ، بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والحزن . وهذا من عمل الشيطان ، فنهاه عن افتتاح عمله بهذا المفتاح ، وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلى القدر وملاحظته ، وأنه لو قدر لم يفته ولم يغلبه عليه أحد ، ولهذا قال « وإن أصابك شيء » أي غلبك الأمر ولم يحصل المقصود بعد بذل الجهد والاستعانة بالله « فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل » فأرشده إلى ما ينفعه حالة حصول مطلوبه وحالة فواته ، فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد ، وهو يتضمن إثبات القدر والكسب ا هـ ، ببعض تصرف .

فأما قوله : « لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم » وقوله : (لو كنت راجماً أحداً بغير بينة لرجمت هذه) « ولولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك » وشبه ذلك

* * *

فأجاب القاضي عياض بأن هذا كله مستقبل لا اعتـراض فيه على قدر ولا كراهة فيه ؛ لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته ؛ فأما ما ذهب فليس في قدرته ، وكذا قوله : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولجعلتها عمرة » فليس من المنهي عنه بل هو إخبار لهم عما كان يفعل في المستقبـل لو حصـل ، ولا خلاف في جواز ذلك ، وإنما ينهي عن ذلك في معارضة القدر ، أو مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدر ، ا هـ ملخصاً .

فإن قيل : ليس في هذا رد للقدر ، فإن معناه لو وفقت لهذا القدر لاندفع عني ذلك القدر ؛ قيل هذا حق لكن لا ينفع بعد وقوع المقدور

فيه مسائل

الأولى : تفسير الآيتين في آل عمران .

الثانية : النهي الصريح عن قول « لو » إذا أصابك شيء .

الثالثة : تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان .

الرابعة : الارشاد إلى الكلام الحسن .

الخامسة : الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعاذة بالله .

السادسة : النهي عن ضد ذلك ، وهو العجز .

٥٨ ـ باب
النهي عن سَبِّ الرِّيحِ

عن أُبيِّ بْنِ كَعْبٍ رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ ، فإذا رَأَيْتُمْ ما تكرهون فقولوا : اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ من خيرِ هذه الريح وخيرِ ما فيها وخير ما أُمِرَتْ به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشَرِّ ما فيها وشرِّ ما أُمرتْ به » . صححه الترمذى .

* * *

أي لأنها في تدبير مدبر فسبها اعتراض عليه وهو قدح في التوحيد قوله : (فإذا رأيتم ما تكرهون) أي من الريح من شدة برودة أو حرارة أو قوة ، وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً « الريح من روح الله تأتي بالرحمة والعذاب فلا تسبوها ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا من شرها » وعن ابن عباس أن رجلاً لعن الريح عند النبي ﷺ فقال : « لا تلعنوا الريح فإنها مأمورة ، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة إليه » رواه الترمذي وقال غريب . وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال : « اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به » .

فيه مسائل

الأولى : النهي عن سب الريح .

الثانية : الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره .

الثالثة : الإرشاد إلى أنها مأمورة .

الرابعة : أنها قد تؤمر بخير ، وقد تؤمر بشر .

* * *

٥٩ ـ باب
قول الله تعالى

﴿ يَظُنُّونَ بِاللهِ غيرَ الحقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّة . يقولون : هل لَنَا من الأمر مِنْ شيءٍ ؟ قلْ : إنَّ الأمرَ كُلَّهُ لله ﴾ الآية .

***

قال الشارح : أراد المصنف التنبيه على وجوب حسن الظن بالله ، لأن ذلك من واجبات التوحيد ، قال ابن القيم أخبر عن الكلام الذي صدر عن ظنهم الباطل وهو قولهم ﴿هل لنا من الأمر من شيئ ﴾وقولهم : ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ﴾ فليس مقصودهم من الكلمة الأولى والثانية إثبات القدر ورد الأمر كله لله ، ولو كان ذلك مقصودهم لما ذموا عليه ، ولما حسن الرد عليهم بقوله ﴿ قُل إن الأمر كله لله ﴾[1] ولا كان مصدر هذا الكلام ظن الجاهلية ، ولهذا قال غير واحد من المفسرين : إن ظنهم الباطل ها هنا هو التكذيب بالقدر ، وظنهم إن الأمر لو كان إليهم وكان رسول الله ﷺ وأصحابه تبعاً لهم يسمعون منهم لما أصابهم القتل ، ولكان النصر والظفر لهم ، فأكذبهم الله عز وجل في هذا الظن الباطل الذي هو ظن الجاهلية ، وهو الظن المنسوب إلى أهل الجهل الذين يزعمون بعد نفوذ القضاء والقدر

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٤ .

وقوله : ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ، عليهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ الآية .

قال ابن القيم في الآية الأولى : فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا يَنصرُ رسوله وأن أمره سيضمحل ، وفُسِّر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته ، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار

أنهم كانوا قادرين على دفعه وإن الأمر لو كان إليهم لما نفذ القضاء فأكذبهم الله بقوله : ﴿ قل إن الأمر كله لله ﴾ فلا يكون إلا ما سبق به قضاءه وقدره ، وجرى به كتابه السابق . قوله : ﴿ الظانين بالله ظن السوء ﴾ قال ابن كثير : أي يتهمون الله في حكمه ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية . ولهذا قال : ﴿ عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم ﴾[1] أي أبعدهم من رحمته ﴿ وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ .

قوله[2]:فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله - قال الشارح : هذا تفسير غير واحد من المفسرين وهو مأخوذ من تفسير قتادة والسدي ذكر ذلك عنهما ابن جرير وغيره بالمعنى . قوله : (وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله) ذكره القرطبي عن

(١) سورة الفتح ، الآية : ٦ . (٢) يعني ابن القيم .

القدر ، وإنكار أن يتم أمر رسوله ﷺ ، وأن يظهره على الدين كله . وهذا هو ظن السوء ، الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح ، وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق . فمن ظنَّ أنه يُديلُ الباطل على الحق إدالةً مستقرةً يضمحل معها الحق ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقَدَره ، أو أنكر أن يكون قَدَره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة ، فذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار .

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم ، وفيما يفعله بغيرهم . ولا يَسْلَم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده . فليعتن اللبيب الناصح لنفسه

* * *

ابن عباس ، قوله : (وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم) إلخ . قال ابن القيم رحمه الله : غالب بني آدم إلا من شاء الله يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله ، ولسان حاله يقول ظلمني ربي ومنعني ما أستحق ، ونفسه تشهد عليه بذلك ، وهو بلسانه ينكر ولا يتجاسر على التصريح به فليعتني اللبيب بهذا ، وليتب إلى الله

بهذا ، وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء . ولو فتشتَ لرأيت عنده تعنتاً على القدَرَ وملامةً له ، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ، فمستقِلٌ ومُستكْثِرٌ ، وفتش نفسَك : هل أنت سالم ؟

فإن تَنْـجُ منهـا تَنْـجُ من ذي عظيمةٍ
وإلاّ فتأنـي لا إخـالُكَ نَاجِيَا

ويستغفره كل وقت من ظنه بربه ظن السوء ، وليظن السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء ، ومنبع كل شر ، المركبة على الظلم والجهل ، فهو أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين ، وأرحم الراحمين ، الغني الحميد الذي له الغنى التام والحمد التام المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه . فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه وصفاته كذلك وأفعاله كلها حكمة ومصلحة ورحمةٌ وعدل وأسماؤه كلها حسنى :

فلا تظنـنَّ بربـك ظن سوء فإن الله أولـى بالجميل
ولا تظنـن بنفسـك قط خيراً وكيف بظالـم جان جهول

قوله : (ولو فتشت ما فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له وإنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا) إلخ ، قال ابن عقيل : الواحد من العوام إذا رأى مراكب مقلدة بالذهب والفضة وداراً مشيدة مملوءة بالخدم والزينة قال انظروا ما أعطاهم مع

* * *

سوء أفعالهم ، ولا يزال يلعنهم ويذم معطيهم حتى يقولوا فلان يصلي الجماعات والجمع ولا يؤذي الذر ولا يأخذ ما ليس له ، ويؤدي الزكاة إذا كان له مال ويظهر الاعجاب كأنه ينطق لو كانت الشرائع حقاً لكان الأمر بخلاف ما نرى وكان الصالح غنياً ، والفاسق فقيراً ، وقال ابن الجوزي : دخلت على صدقة بن الحسين الحداد وكان فقيهاً غير أنه كان كثير الاعتراض ، وكان عليه جرب فقال هذا ينبغي أن يكون على جمل لا علي ، وكان رجل يصحبني قد قارب ثمانين سنة كثير الصلاة والصوم فمرض واشتد به المرض فقال إن كان يريد أن أموت فيميتني ، وأما هذا التعذيب فما له معنى ، والله لو أعطاني الفردوس كان مكفوراً ، وعلى هذا كثير من العوام ، إذا رأوا رجلا صالحاً به أذى قالوا (ما يستحق) قدحاً في القدر ، واعلم أن المعترض قد ارتفع أن يكون شريكاً على الخالق بالتحكم عليه ، وهؤلاء كلهم كفرة لأنهم رأوا حكمة الخالق قاصرة ، وإذا كان توقف القلب عن الرضى بحكم الرسول ﷺ يخرج عن الإيمان قال ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ الآية ، فكيف يصحّ الإيمان مع الاعتراض على الله ؟ قوله : (فإن تنج منها) أي من هذه الخصلة (تنج من ذي عظيمة) أي من شر عظيم ، وإخالك بكسر الهمزة أي لا أظنك ناجياً .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية الفتح .

الثالثة : الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر .

الرابعة : أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه .

* * *

٦٠ ـ باب

ما جاء فى مُنْكِرِى القَدَرِ *

* أي من الوعيد ، قال شيخ الإسلام : مذهب أهل السنة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة ، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه ، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد ، وإنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته ، وقدرته ، ولا يمتنع عليه شيء شاءه بل قادر على كل شيء ولا يشاء شيئاً إلا هو قادر عليه ، وإنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها وقد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم وقدر أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من شقاوة وسعادة ، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ، ومشيئته لكل ما كان ، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون ، وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون . وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم وكتابته السابقة ، ويزعمون أنه أمر ونهي وهو لا يعلم من يطيعه

وقال ابن عمر: « والَّذِى نَفْسُ ابن عمرَ بيده ».

ممن يعصيه بل الأمر أنف أي مستأنف . وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين ، وبعد إمارة معاوية بن أبي سفيان في أواخر عصر عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وغيرهما من الصحابة وكان أول من أظهر ذلك بالبصرة معبد الجهني .

وقال ابن القيم رحمه الله : مراتب القضاء والقدر أربع مراتب : (الأولى) : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها . (الثانية) : كتابته ذلك عنده في الذكر قبل خلق السموات والأرض . (الثالثة) : مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن عنها كما لا خروج له عن علمه . (الرابعة :) خلقه لها وإيجاده وتكوينه ، ذكره الشارح بمعناه ؛ قوله : (والذي نفس ابن عمر بيده) لفظ مسلم (والذي يحلف به عبد الله بن عمر) قال شيخ الإسلام بعد ذكره : وكذا كلام ابن عباس وجابر بن عبد الله وواثلة بن الأسقع وغيرهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين فيهم كثير حتى قال فيهم الأئمة كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم إن المنكرين لعلم الله القديم يكفرون . وقوله : (ثم استدل بقول النبي ﷺ) ، إلخ ، لأنه جعل الإيمان بالقدر سادس الأصول للإيمان فمن أنكره فليس

لو كان لِأَحَدِهِمْ مِثلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ، ثم أنفقه فى سبيل الله ما قبله الله منه حتى يُؤْمِنَ بالْقَدَرِ » . ثم استدل بقول النبي ﷺ : « الإيمانُ أَنْ تُؤْمِنَ بالله وملائكته وكتبه

بمؤمن ، بل ولا مسلم ، فلا يقبل عمله . قوله : (رواه مسلم) أي عن يحيى بن يعمر قال كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد الطويل حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم ، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنف . قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء وإنهم براء مني . والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ؛ ثم قال حدثني أبي عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ . الحديث بطوله في الإسلام والإيمان والإحسان .

ورسله واليوم الآخرِ ، وتؤمنَ بالقدرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ » .
رواه مسلم .

***

قال شيخ الإسلام : جعل النبي ﷺ الدين ثلاث درجات أعلاها الإحسان ؛ وأوسطها الإيمان ، ويليه الإسلام ، فكل محسن مؤمن ، وكل مؤمن مسلم ، وليس كل مؤمن محسناً ، ولا كل مسلم مؤمناً ؛ كما دلت عليه الأحاديث ، فالإحسان يدخل فيه الإيمان ؛ والإيمان يدخل فيه الإسلام ، والمحسنون أخصّ من المؤمنين ، والمؤمنون أخص من المسلمين قال شيخنا : وحينئذ يتبين أن الإيمان الكامل الذي صاحبه يستحق عليه دخول الجنة والنجاة من النار هو فعل الواجبات وترك المحرمات ، وهو الذي يطلق على من كان كذلك بلا قيد ، وهو الإيمان الذي يسميه العلماء الإيمان المطلق ، وأما من لم يكن كذلك بل فرط في بعض الواجبات أو فعل بعض المحرمات فإنه لا يطلق عليه الإيمان إلا بقيد فيقال مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو مؤمن ناقص الإيمان لكونه ترك بعض واجبات الإيمان . ا هـ .

وحيث أفرد أحد الاسمين دخل فيه الآخر ، ذكره ابن رجب وغيره وذكره شيخ الإسلام في كتاب الإيمان الصغير ، وأما في الكبير فذكر أن الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام ، وسكت عن عكسه ، وأما عند الإقتران فيفسر الإيمان بأعمال القلوب ،

وعن عُبادةَ بن الصَّامِتِ : « أَنَّهُ قال لابنه : يا بنيَّ ، إنكَ لن تجدَ طَعْمَ الإيمان حتى تعلَمَ أنَّ ما أَصابك لم يكنْ

والإسلام بالأعمال الظاهرة ، هذا معنى تقرير شيخنا أثابه الله تعالى .

وأما قوله : (خيره وشره) فإثبات الشر في القضاء إنما هو بالإضافة إلى العبد والمفعول ، إذا كان يقدر عليه بسبب جهله وظلمه وذنوبه ، لا إلى الخالق ، فله في ذلك من الحكم ما تقصر عنه أفهام البشر لأن الشر إنما هو الذنوب وعقوباتها في الدنيا والآخرة ؛ وهو شر بالاضافة إلى العبد ، أما بالإضافة إلى الخالق سبحانه فكله خير وحكمة فإنه صادر عن حكمته وعلمه وما كان كذلك فهو خير محض بالنسبة إلى الرب سبحانه ، إذ هو موجب أسمائه وصفاته ، ولا تعارض بينه وبين قوله : « والشر ليس إليك » لأن معناه أنه يمتنع إضافة الشر إليك بوجه من الوجوه فلا يضاف الشر إلى ذاته ولا إلى صفاته ولا أسمائه ولا أفعاله ، فإن ذاته منزَّهة عن كل شر ، وصفاته كذلك إذ كلها صفات كمال ونعوت جلال لا نقص فيها بوجه من الوجوه . هذا معنى كلام ابن القيم بتصرّف واختصار .

قوله : (انه قال لابنه) هو الوليد بن عبادة صرح به الترمذي

لِيُخْطِئَكَ ، وما أَخْطَأَكَ لم يكن لِيُصِيبَكَ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنَّ أَوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمُ .

* * *

في رواية . قوله : (حتى تعلم) إلى آخره . هذا هو حقيقة الإيمان بالقدر ، قوله : (إن أول ما خلق الله القلم) قال شيخ الإسلام : قد ذكرنا عن السلف في العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر قولين كما ذكر ذلك الحافظ أبو العلا الهمداني وغيره قال ابن القيم رحمه الله وعفى عنه :

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديَّانِ

هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند أبي العلا الهمداني

والحق أن العرش قبل لأنه ... قبل الكتابة كان ذا أركان

وكتابة القلم الشريف تعقبت ... إيجاده من غير فصل زمان

لما براه الله قال اكتب كذا ... فغدا بأمر الله ذا جريان

قال : ولا يخلو قوله : (إن أول ما خلق الله القلم) إلى آخره : إما أن يكون جملة أو جملتين ، فان كان جملة وهو الصحيح كان معناه عند أول خلقه قال له اكتب كما في اللفظ الآخر (أول ما خلق الله القلم قال له اكتب) بنصب « أول والقلم » فإن كان جملتين وهو مروي برفع « أول والقلم » فيتعين حمله على أنه أول مخلوقاته من هذا العالم ليتفق الحديثان ، إذ

فقالَ له : اكْتُبْ ، فقال : رَبِّ وماذا أَكْتُبُ ؟ قال : اكْتُبْ مقاديرَ كُلِّ شيءٍ حَتى تقومَ الساعةُ ، يا بنيَّ . سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :مَنْ ماتَ على غير هذا فليس مِنِّى » . وفى رواية لأحمد : « إنَّ أَوَّلَ ما خلقَ الله تعالى القَلَمُ ، فقال له : اكْتُبْ . فَجَرَى فى تلك الساعة ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة » . وفى رواية لابن وَهْبٍ : قال رسول الله ﷺ : « فَمَنْ لم يُؤْمِنْ بالقدرِ

حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير ، والتقدير مقارن لخلق القلم ، وفي اللفظ الآخر « لما خلق الله القلم قال له اكتب » انتهى ويدل على تقدم خلق العرش على القلم ما رواه عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا محمد بن كثير العبدي حدثنا سفيان الثوري حدثنا هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال : الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فكان أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه .

(تنبيه) إذا نصب « أول والقلم » فأول على الظرفية ، والقلم على المفعولية ، وإذا رفعا فأول مبتدأ والقلم خبره . قوله : (اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) . قال شيخ

خيره وشرِّهِ أَحْرَقَهُ ٱللَّهُ بالنار» . وفى المسند والسُّنن عن ابن الدَّيلَمِيِّ ، قال : «أتيْتُ أُبَيَّ بن كَعبٍ ، فقلتُ : فى نفسى شىءٌ من القدر ، فحدثْنى بشىءٍ ، لعلَّ الله يُذْهِبُهُ مِنْ قلبى ، فقال : لو أَنفقتَ مثل أُحُدٍ ذهبًا ما قبلهُ اللهُ منك حتى تُؤْمِنَ بالقدر ، وتعلمَ أَنَّ ما أصابك لم يكن لِيُخْطِئَكَ ، وما أخطأكَ لم يكن لِيُصِيبَكَ .

***

الإسلام : وكذلك في حديث ابن عباس وغيره . وهذا يتبين أنه إنما أمر حينئذ أن يكتب مقدار هذا الخلق إلى قيام الساعة ، لم يكتب حينئذ ما يكون بعد ذلك .

قوله : (وفي المسند) أي لأحمد (والسنن) أي لأبي داود وابن ماجه ، ولفظ ابن ماجه عن أبي الديلمي قال وقع في نفسي شيء من هذا القدر خشيت أن يفسد علي ديني وأمري ، فأتيت أبي بن كعب فقلت له : أبا المنذر إنه وقع في نفسي شيء من هذا القدر فخشيت أن يفسد عليّ ديني وأمري فحدثني من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعني به فقال لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، ولو كان لك جبل أُحد ذهباً أو مثل جبل أُحد تنفقه في سبيل الله ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر ، فتعلم أن

ولو مُتَّ على غير هذا لكنتَ مِنْ أَهل النارِ . قال : فأتيتُ عبد الله بن مسعودٍ . وحُذَيفَةَ بن اليَمَانِ ، وزيدَ بن ثابت . فكلُّهُمْ حدثنى بمثل ذلك عن النبى ﷺ » . حديثٌ صحيحٌ . رواه الحاكم فى صحيحه .

* * *

ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ؛ وإنك إن مت على غير هذا دخلت النار ، ولا عليك أن تأتي أخي عبد الله بن مسعود فتسأله ، فأتيت عبد الله بن مسعود فسألته فذكر مثل ما قال أبي وقال لي : ولا عليك أن تأتي حذيفة فأتيت حذيفة فسألته فقال مثل ما قالا ؛ فقال ائت زيد بن ثابت فاسأله ، فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، ولو كان لك مثل أُحد ذهباً أو مثل جبل أُحد ذهباً تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله ، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وإنك إن مت على غير هذا دخلت النار » .

قوله : (وقع في قلبي شيء من القدر) أي اضطراب .

قوله : (لو أنفقت مثل أحد) أي أو أكثر من ذلك .

* * *

(تتمة) قال الإمام أحمد رحمه الله القدر قدرة الله . قال شيخ الاسلام : يشير إلى أن من أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله ، وأنه يتضمن إثبات قدرة الله على كل شيء ولهذا جعل الأشعري وغيره أخص وصف الرب قدرته على الاختراع ، والتحقيق أن القدرة على الاختراع من جملة خصائص صفاته ليست هي وحدها أخص صفاته .

فيه مسائل

الأولى : بيان فرض الايمان بالقدر .

الثانية : بيان كيفية الايمان .

الثالثة : إحباط عمل من لم يؤمن به .

الرابعة : الاخبار أن أحداً لا يجد طعم الايمان حتى يؤمن به .

الخامسة : ذكر أول ما خلق الله .

السادسة : أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة .

السابعة : براءته ﷺ ممن لم يؤمن به .

الثامنة : عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء .

التاسعة : أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته . وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط .

٦١ ـ باب
ما جاءَ فى المصوِّرين

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : ومَن أَظلَمُ مِمَّن ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخلْقِى ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أو لِيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً » . أخرجاهُ .

ولهما عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « أَشَدُّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يُضاهِئُون بخلق الله » .

* * *

قوله : (فليخلقوا ذرَة) هذا تعجيز أي فليخلقوا ذرة فيها روح تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي خلقها الله وكذلك قوله : (حبة أو شعيرة) أي حبة حنطة فيها طعم تؤكل وتزرع وتنبت ، ويوجد فيها ما يوجد في حبة الحنطة والشعير ونحوهما من الحب الذي يخلق الله ، وأنى لهم السبيل إلى ذلك ؟ بل الله هو المتفرد بذلك ، لا خالق غيره ولا إله سواه . علقه الشارح على نسخته .

قوله : (أشد الناس عذاباً) الخ . قال النووي رحمه الله : قيل هذا محمول على صانع الصورة لتعبد وهو صانع الأصنام

ولهما عن ابن عباس ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كُلُّ مُصوِّرٍ فى النار ، يُجعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعذَّب بها فى جهنم» .

ولهما عنه مرفوعًا : «مَن صَوَّر صورةً فى الدنيا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فيها الرُّوحَ ، وليس بِنَافِخٍ» .

* * *

ونحوها ، فهذا كافر ، وهو أشد الناس عذاباً ، وقيل هو فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله واعتقد ذلك فهو كافر أيضاً ، وله من شدة العذاب ما للكفار ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره ، فأما من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير لا يكفر كسائر المعاصي . قوله : (كل مصور في النار) أي لذي روح لتعاطيه ما يشبه ما انفرد الله به من الخلق والاختراع قوله : (يجعل) هو بفتح الياء التحتية أي يجعل الله ، وقيل بضم الياء . قوله : (بكل صورة) أي تعذبه نفس الصورة بأن يجعل فيها روح ، والباء في (بكل) بمعنى (في) أو يجعل له بعدد كل صورة شخص يعذبه فالباء بمعنى لام السبب ، وهذه الأحاديث صريحة في تحريم صورة الحيوان وأنه غليظ التحريم ، وأما الشجرة ونحوه مما لا روح فيه فلا تحرم صنعته ولا التكسب به ، وسواء الشجر المثمر وغيره ، وهذا مذهب

ولمسلم عن أبي الهَيَّاجِ : قال : قال لي عليٌّ : « أَلَا أَبعَثُك على ما بَعثني عليه رسول الله ﷺ : أَن لا تَدَعَ صورةً إِلَّا طَمَستَها ، ولا قبرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيته » .

العلماء كافة إلا مجاهد ، واحتج لمجاهد بقوله (ومن أظلم) الحديث . واحتج الجمهور بقوله : (فيقال لهم : أحيوا ما خلقتم) أي اجعلوه حيواناً ذا روح كما ضاهيتم عليه ، ويؤيده قول ابن عباس : إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له ، علقه الشارح . قوله : (إلا طمستها) أي أزلتها ومحوتها فهو مشروع ، ويجب منه إزالة ما لا تبقى معه حياة . قوله : (مشرفاً) أي مرتفعاً .

* * *

فيه مسائل

الأولى : التغليظ الشديد في المصورين .

الثانية : التنبيه على العلة ، وهو ترك الأدب مع الله ، لقوله « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي » .

الثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم ، لقوله « فليخلقوا ذرة أو شعيرة » .

الرابعة : التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً .

٦٢ ـ باب
ما جاء في كثرة الحلفِ *

وقول الله تعالى : ﴿ واحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحَلِفُ مَنفَقَةٌ للسِّلعةِ ، مَمْحَقَةٌ لِلكَسب » أخرجاهُ .

* * *

* أي من الذم لمن كان كذلك . وقول الله تعالى : ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾[1] قال ابن جرير : أي لا تتركوها بغير تكفير ؛ وفي تفسير الجلالين : لا تنكثوها ما لم تكن على فعل بر اهـ ، وفيها وجوب حفظ الأيمان ، والتحرز من اعتيادها ، والإكثار منها . قوله : « منفقة للسلعة » أي مظنة لنفاقها ، وهو ضد كسادها . قوله : « ممحقة للكسب » أي مظنة للمحق وهو النقص والمحو والنقص والإبطال علقه الشارح .

الخامسة : أن الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يعذب بها المصور في جهنم .

السادسة : أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح .

السابعة : الأمر بطمسها إذا وجدت .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٨٩ .

عن سَلمان ، أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُم اللهُ ولا يُزكِّيهِم ولهم عذابٌ أَليم : أُشَيْمِطُ زانٍ ، وعائلٌ مُستَكبِرٌ ، ورجلٌ جعل اللهَ بِضاعتَهُ ، لا يشترى إلَّا بِيَمِينِه ، ولا يبيع إلا بيَمينِه » . رواه الطبرانىُّ بسندٍ صحيح .

وفى الصحيح عن عِمران بن حُصَين رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ أُمَّتى قَرْنِى ، ثُمَّ

* * *

قوله : « أشيمط » الشمط الشيب ، قوله : (وعائل) أي فقير ذو عيال وذلك لأن الشيخ قد زالت عنه شهوته وضعفت قوته ، فزناه دليل على جبلته على الفساد . والتكبر ينقسم قسمين : ذاتي وصفاتي ، فالصفاتي من المال والجاه ، فالتكبر من الناس وإن كان قبيحاً عقلاً وشرعاً لكن أصحاب المال والجاه لهم فيه عذر ما ، وأما عادمهما فلا عذر له بوجه ؛ فالتكبر إذاً صفة ذاتية . علقه الشارح .

قوله : (ورجل جعل الله بضاعته) هذا محل الترجمة . قوله : « قرني » القرن أهل عصر متقاربة أسنانهم ، مشتق من الاقتران في الأمر الذي يجمعهم ، ويقال لا يكون قرناً حتى يكون في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو رأي أو

الذين يَلونَهُم ، ثُمَّ الذين يَلونَهُم . قال عِمرانُ : فلا أَدْرِي أَذَكَرَ بعد قَرْنِهِ مرتين أو ثلاثًا ؟ ثُم إنَّ بعدَكُم قومٌ يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشهدون ، ويَخونون ولا يُؤْتَمَنون . ويَنذِرون ولا يُوفون ، ويَظهَرُ فيهمُ السِّمَنُ » .

مذهب ، قاله الزركشي الشافعي ، قيل وزمانه ثمانون سنة . وقيل ستون . وقيل ما بقيت عين رأته ، وقيل مائة وقيل سبعون وقيل أربعون ، وقيل عشر سنين وقيل من عشر سنين إلى مائة وعشرين .

قوله : (فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً) قال القرطبي : ما شك فيه عمران تحقيقه في حديث ابن مسعود بعد قرنه ثلاثاً . قوله (يشهدون ولا يستشهدون) لا يعارض حديث « خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها » لأن الأول في حقوق الآدميين وهذه في حقوق الله التي لا طالب لها ، وقيل الأول في الشهادة على الغيب في أمر الخلق فيشهد أنهم من أهل النار ، والآخرين بغيره ، وقيل أي يتحملون الشهادة من غير تحميل . قوله : « ويخونون ولا يؤتمنون » أي لخيانتهم الظاهرة بحيث لا يعتمد عليهم . قوله : « وينذرون ولا يوفون » لا يعارض حديث النهي عن النذر ، وإنما هو تأكيد لأمره ، وتحذير

وفيه عن ابن مسعود ، أن النبي ﷺ قال : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْني ، ثُمَّ الذينَ يَلونَهُم . ثُمَّ الّذين يَلونَهُمْ . ثمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهادَةُ أَحَدِهِمْ يمينَه ، وَيَمينُهُ شَهادَتَهُ » .

وقال إبراهيم : كانوا يَضْربونَنا على الشَّهادَةِ ونحن صِغَارٌ .

* * *

من التهاون به بعد إيجابه . قوله : « ويظهر فيهم السمن » أي يحبون التوسع في المآكل والمشارب ، وهي أسباب السمن ، وفي الحديث « يكون قوم في آخر الزمان يتسمنون » أي يتكثرون بما ليس فيهم ويدعون ما ليس لهم من الشرف وقيل جمعهم الأموال اهـ .

قوله : (تسبق شهادة أحدهم يمينه) إلخ . إشارة إلى التسارع في الشهادة واليمين وهذا من أعلام نبوته فإنه قد وجد ذلك كما أخبر ﷺ . قوله : (كانوا) الظاهر أن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود كما هي عادة إبراهيم في النقل عنهم ، وإنما فعلوا ذلك لئلا يعتادوا إلزام أنفسهم بالعهد لما يلزم الحالف من الوفاء أو الكفارة ، وربما أثم بترك ذلك ، وكذلك الشهادة فإنه إذا اعتادها حال صغره سهلت عليه ، فربما أداه ذلك إلى التساهل حال كبره .

* * *

فيه مسائل

الأولى : الوصية بحفظ الأيمان .

الثانية : الاخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة .

الثالثة : الوعيد الشديد لمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه .

الرابعة : التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي .

الخامسة : ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون .

السادسة : ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة ، وذكر ما يحدث .

السابعة : ذَمُّ الذي يشهدون ولا يستشهدون .

الثامنة : كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد .

* * *

٦٣ ـ باب
ما جاء فى ذِمَّةِ اللهِ وذِمَّةِ نَبيِّهِ

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إذا عاهَدتُمْ ، ولا تَنقُضوا الأَيمانَ بعد تَوكِيدِها ﴾ الآية .

وعن بُرَيْدَةَ ، قال : «كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّرَ أَمِيرًا على جيشٍ أو سرِيَّةٍ أوصاهُ بتقْوَى اللهِ ، ومن

* * *

أي من الدليل على وجوب الوفاء بها وإتمامها إذا أعطيت أحداً . والذمة العهد . قوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾ في تفسير الجلالين أي من البيع والأيمان وغيرهما وقال البغوي رحمه الله : العهد ها هنا اليمين وقال الثعلبي: العهد يمين وكفارته كفارة يمين . ومراد المصنف ما يكون بين الناس من الذمة أنه يجب الوفاء بذلك وهو فرد من أفراد معنى الآية ، فهي دالة على وجوب الوفاء به ، ولهذا قال : ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾[1] ونكث العهد دليل على عدم تعظيم الله ، فهو قادح في التوحيد .

قوله : (سرية) هي الخيل تبلغ أربعمائه ونحوها . قاله الحربي . قوله : (ومن معه من المسلمين خيراً) أي ووصاه بمن

(١) سورة النحل ، الآية : ٩١ .

معه من المسلمين خيرًا ، فقال : اغْزُوا بِسم الله ، قاتِلوا مَن كَفَرَ باللهِ ، اغزُوا ولا تَغُلُّوا ولا تَغدِروا ولا تُمَثِّلوا ، ولا تَقتُلوا وَليدًا ، وإذا لَقيتَ عَدُوَّك مِن المُشرِكين فادعُهُم إلى ثلاثِ خِصال ، أو خِلالٍ ، فأَيَّتُهُنَّ ما أجابوكَ فاقْبَلْ منهم وكُفَّ عنهم ، ثم ادْعُهُم إلى الإسلام ،

* * *

معه من المسلمين أن يفعل معهم خيراً . قوله : (اغـزوا) أي اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله مجيبين له . قوله : (قاتلوا من كفر بالله) هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر المحـاربين وغيرهم ، وخصص منه من له عهد والرهبان والنسوان ومن لم يبلغ الحلم ، لأنه لا يكون منهم قتال غالباً ، فإن حصل قُتلوا .

قوله : (لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا) الغلول الأخذ من الغنمية من غير قسمها ، والغدر نقض العهد ، والتمثيل التشويه بالقتيل كجدع أنفه وأذنـه ونحـو ذلك ، ولا خلاف في تحـريم الغلول والغدر وكراهة المثلة . قوله : (ثم ادعهم إلى الإسلام) كذا وقعـت الـرواية في جميع نسـخ صحيح مسلـم بزيادة ثم والصواب إسقاطها كمـا روى أبـو داود وأبـو عبيد في كتـاب الأموال ، لأن ذلك يوهم ابتداء بغير الثلاث الخصـال ، وقـال المازري : ليست (ثم) زائدة بل دخلـت لاستفتـاح الـكلام .

فإن أجابوكَ فاقبل منهم ، ثم ادْعُهُمْ إلى التَّحَوُّل من دارِهم إلى دار المُهاجِرين ، وأَخبِرْهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين . فإن أَبَوْا أن يَتحَوَّلوا منها فأَخبِرْهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يَجْرِى عليهم حكم اللهِ تعالى ، ولا يكونُ لهم فى الغَنيمَة والفَىْءِ شىءٌ ، إلَّا أن يُجاهِدوا مع المسلمين .

***

قوله : (ثم ادعهم إلى التحول إلى دار المهاجرين) يعني المدينة وذلك مستحب إذا أسلموا أو واجب في أول الأمر على كل من أسلم أو على أهل مكة خاصة من أسلم منهم قبل الفتح ، وأما بعد الفتح فقال ﷺ « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » . قوله : (وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين) إلخ ، أي في استحقاق الفيء والغنيمة وغير ذلك ، وإلا فهم كسائر أعراب المسلمين الساكنين في البادية من غير هجرة ولا غزو ، فتجري عليهم أحكام الإسلام ، ولا حق لهم في الغنمية والفيء وإنما يكون لهم نصيب من الزكاة إن كانوا مستحقين . قال الشافعي رحمه الله : الصدقات للمساكين ونحوهم ممن لا حق له في الفيء والفيء للأجناد . قال ولا يعطى أهل الفيء من الصدقات ولا أهل الصدقات من الفيء وقال مالك وأبو حنيفة :

فإن هُمْ أَبَوْا فاسْأَلْهم الجِزْية ، فإن هُم أجابوكَ فاقبل منهم وكُفَّ عنهم ، فإن هُم أَبَوْا فاسْتعِن باللهِ وقاتِلْهُم ، وإذا حاصَرْتَ أهل حِصنٍ فأَرادوك أن تَجعل لهم ذِمَّة اللهِ وذمَّة نَبِيِّه فلا تَجعل لهم ذِمَّة اللهِ وذِمَّة نبيِّه ، ولكن اجْعَل لهُم ذِمَّتَك وذِمَّةَ أصحابِكَ ، فإنكم أنْ تُخفِروا ذِمَمَكُم وذِمَّةَ أصحابِكم أهوَنُ من أن تُخفِروا ذِمَّةَ اللهِ وذِمَّة نَبِيِّه ، وإذا حاصَرْت أهلَ حِصنٍ فأَرادوكَ أن

المالان سواء ويجوز صرف كل منهما إلى النوعين . قوله : « فإن هم أبوا فاسألهم الجزية » استدل به مالك والأوزاعي على جواز أخذ الجزية من كل كافر عربياً كان أو عجمياً ، كتابياً كان أو مجوسياً ، ورجحه ابن القيم ، وقال أبو حنيفة . تؤخذ من جميع الكفار إلا مشركي العرب ومجوسهم . وقال الشافعي : لا تقبل إلا من أهل الكتاب والمجوس عرباً كانوا أو عجماً ؛ ويحتج بمفهوم آية الجزية ، وبحديث « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » .

قوله : « وإذا حاصرت أهل حصن » إلخ . الذمة العهد ، وأخفرت الرجل إذا نقضت عهده وخفرته أمنته وحميته ، وهذا نهي تنزيه أي لا تجعل لهم ذمة الله فإنه قد ينقضها من لا يعرف حقها كبعض الأعراب وسواد الجيش ونحو ذلك ؛ فكأنه يقول إن وقع نقض عهد من متعدّ أو جاهل كان نقض عهد الخلق أهون من

تُنْزِلَهم على حُكم الله ، فلا تُنزِلهُمْ على حُكم الله ؛ ولكن أنزِلْهُمْ على حكمك ، فإنك لا تَدرى أتُصيبُ فيهم حكم اللهِ أمْ لَا » . رواه مسلم .

* * *

نقص عهد الخالق تعالى . قوله : (فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله) فيه دليل على أنه ليس كل مجتهد مصيباً بل المصيب واحد وهو الموافق لحكم الله في نفس الأمر ، نقلت الكلام على هذا الحديث من خط الشارح ، وذكر أنه نقله من القرطبي والنووي .

(تنبيه) : إذا أسلم الإنسان دون أهل بلاده فإنه تجب عليه الهجرة إلى بلاد الإسلام إذا قدر على ذلك ولم يقدر على إظهار دينه ، قال الشيخ منصور بعد قول المنتهى (وتجب الهجرة) إلخ . وعلم مما تقدم بقاء حكم الهجرة لحديث (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) رواه أبو داود ، وأما قوله : « لا هجرة بعد الفتح » أي من مكة ومثلها كل بلد فتح لأنها لم تبق بلد كفر .

* * *

فيه مسائل

الأولى : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيِّه وذمة المسلمين .

الثانية : الارشاد إلى أقل الأمرين خطراً .

الثالثة : قوله « اغزوا بسم الله في سبيل الله » .

الرابعة : قوله « قاتلوا من كفر بالله » .

الخامسة : قوله « استعن بالله وقاتلهم » .

السادسة : الفرق بين حُكم الله وحُكم العلماء .

السابعة : في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا .

* * *

٦٤ ـ باب
ما جاء فى الإقْسامِ على الله*

عن جُنْدَبُ بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قال رجلٌ : والله لا يَغفِرُ الله لِفلانٍ ، فقال الله عز وجل : مَنْ ذَا الذى يَتأَلَّى عَلَيَّ أن لا أغفِرَ لفلان؟ إنى قد غفرت له وأَحبَطْتُ عملَكَ » . رواه مسلم . وفى حديث أبى هريرة : أنَّ

* * *

* أي أن ذلك حرام إذا كان على جهة الحجر على الله والقطع بحصول المقسم على حصوله وهو التألي ؛ فأما على جهة حسن الظن بالله فقد قال ﷺ : (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرّه) كذا ظهر لي والله أعلم قوله : (والله لا يغفر الله لفلان) ظاهر في قطعه بأن الله لا يغفر لذلك الرجل وكأنه حكم على الله وحجر عليه لما اعتقد له عنده من الكرامة والحظ والمكانة ولذلك المذنب من الخِسَّة والإهانة ، وهذا نتيجة الجهل بأحكام الالهية والربوبية ، علقه الشارح .

قوله : (يتألى) قال شيخ الإسلام : التألي من الألية وهي اليمين يقال تألى وآلى وأتلى . أملاه شيخنا . قوله : (من ذا الذي يتألى عليّ) استفهام على جهة الإنكار والوعيد ، وفي هذا

القائلَ رجلٌ عابدٌ . قال أبو هريرة : تَكَلَّمَ بكلمةٍ أَوْبَقَتْ دنياه وآخِرتَه .

* * *

الحديث تحريم الادلال على الله ، ووجوب التأدب معه في الأقوال والأحوال ، وإن حق العبد أن يعامل نفسه بأحكام العبودية ، ويعامل ربه بما يجب له من أحكام الإلهية والربوبية انتهى من تعليق الشارح .

* * *

فيه مسائل

الأولى : التحذير من التألي على الله .

الثانية : كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله .

الثالثة : أن الجنة مثل ذلك .

الرابعة : فيه شاهد لقوله « إن الرجل ليتكلم بالكلمة » إلى آخره .

الخامسة : أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه .

* * *

٦٥ ـ باب
لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ على خَلقِه

عن جُبَير بنِ مُطْعِمٍ رضى اللهُ عنه ، قال : « جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللهِ ، نُهكت الأنفُس ، وجاع العيالُ ، وهَلكَت الأموالُ ، فاسْتَسْقِ لنا ربَّك ، فإنا نستشفِعُ باللهِ عليك ، وبك على اللهِ ، فقال النبي ﷺ : سبحانَ اللهِ ، سبحان اللهِ ! فما زال يُسبِّح حتى عُرِف ذلك فى وُجوه أصحابه ، ثم قال : وَيْحك ! أتَدْرِى ما اللهُ ؟ إنَّ شأنَ اللهِ أعظمُ من

* * *

أي إن ذلك حرام لأنه الكبير المتعال فكيف يشفع عند أحد من خلقه ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فإن الشافع إنما يشفع عند من هو أعلا منه فهذا من أعظم التنقص لرب العالمين ، فلذلك استعظمه رسول الله ﷺ ، وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة عن أبي وجرة يزيد بن عبيد السلمي قال : لما قفل رسول الله من غزوة تبوك أتاه وفد من بني فزارة فقالوا : يا رسول الله ادع ربك أن يغيثنا واشفع لنا إلى ربك ويشفع ربك إليك ؛ فقال رسول الله ﷺ : « ويلك أنا اشفع إلى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه ؟ لا إله إلا الله العلي العظيم وسع كرسيه السموات

ذلك ، إنه لا يُستشفَعُ بالله على أحَد » . وذكَر الحديث . رواه أبو داود .

والأرض ، فهي تئط من عظمته كما يئط الرحل الجديد » قال الشارح : أبو وجرة تابعي ا هـ فالحديث مرسل .

* * *

فيه مسائل

الأولى : إنكاره على من قال « نستشفع بالله عليك » .

الثانية : تغيره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة .

الثالثة : نه لم ينكر عليه قوله « نستشفع بك على الله » .

الرابعة : التنبيه على تفسير « سبحان الله » .

الخامسة :أن المسلمين يسألونه الاستسقاء .

* * *

٦٦ - باب
ما جاء فى حماية النبي ﷺ حِمَى التوحيدِ ، وسَدِّه طُرقَ الشرك

عن عبد الله بن الشِّخِّير رضى الله عنه ، قال : « انْطلقْتُ فى وفد بنى عامرٍ إلى رسول الله ﷺ ، فقلنا : أنت سيِّدُنا ، فقال : السيدُ الله تبارك وتعالى . قلنا : وأفضلُنا فضلاً ، وأعْظمُنا طَوْلاً ، فقال : قولوا بقولكم ، أو بعضِ قولكم ، ولا يَستَجْرِيَنَّكمُ الشيطانُ » .

رواه أبو داود بسند جيِّد .

* * *

قوله : « السيد الله » قال الخطابي : يريد عليه السلام أن السؤدد حقيقة لله عز وجل ، وأن الخلق كلهم عبيد له إلى أن قال : فعلمهم الثناء عليه السلام وأرشدهم إلى الأدب في ذلك ؛ وقال عليه السلام : (قولوا بقولكم) يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتكم ، وادعوني نبياً ورسولاً كما سماني الله في كتابه فقال : (يا أيها النبي) ويا أيها الرسول ، ولا تسموني سيداً كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ولا تجعلوني مثلهم فإني لست كأحدهم إذ كانوا يسودونكم في أسباب الدنيا وأنا أسودكم بالنبوة

وعن أنس رضى الله عنه : « أنَّ ناسًا قالوا : يا رسول الله ، يا خَيْرَنا وابنَ خَيرِنا وسيدَنا وابنَ سيِّدِنا ، فقال : يا أيُّها الناسُ قُولوا بقولكم ، ولا يَستهوِيَنَّكم الشيطانُ ، أنا محمدٌ ، عبدُ الله ورسولُه ، ما أُحِبُّ أن ترفعونى فوْق منزلَتِى التى أنزلَنِى الله عَزَّ وجل » . رواه النَّسائيُّ بسند جيِّد .

* * *

والرسالة فسموني رسولاً ونبياً . قوله : (أو بعض قولكم) فيه حذف واختصار ومعناه : دعوا بعض قولكم واتركوه ، يريد بذلك الاقتصاد في المقال ، وقوله عليه السلام : (لا يستجرينكم الشيطان) معناه : لا يتخذنكم جرياً ، والجريّ الوكيل ، ويقال الأجير ؛ ا هـ كلام الخطابي ، وقال شيخنا : الذي وقع في نسخ التوحيد الصحيحة بخط المصنف وغيره « ولا يسخرنكم الشيطان » بالياء المثناة تحت والسين المهملة والخاء المعجمة بعدها راء ثم نون ، وعزا الحديث لأبي داود ، والذي وجدناه في نسخ أبي داود الصحيحة المعتمدة (يستجرينكم) بالتاء المثناة فوق بعد السين ثم جيم ؛ ثم مثناة تحتية بعد الراء ثم نون ؛ قال في النهاية : لا يستجرينكم الشيطان : أي لا يستغلبنكم فيتخذكم جرياً أي رسولاً وكيلاً ، وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح ، فنهاهم عنه يريد تكلموا بما يحضركم

من القول ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون على لسانه انتهى . وهذان الحديثان وما شابههما دليل على الأدب . وقوله : « أنا سيد ولد آدم » وشبهه دليل على الجواز .

* * *

فيه مسائل

الأولى : تحذير الناس من الغلو .

الثانية : ما ينبغي أن يقول من قيل له « أنت سيدنا » .

الثالثة : قوله « لا يستجرينكم الشيطان » مع أنهم لم يقولوا إلا الحق .

الرابعة : قوله « ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي » .

* * *

٦٧ ـ باب
ما جاء فى قول الله تعالى

﴿وما قَدَروا اللهَ حَقَّ قدْرِهِ وَالأرضُ جميعًا قَبْضَتُه يوْمَ القيامَة﴾ الآية .

* * *

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره وما عظم الله حق عظمته هؤلاء المشركون بالله الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان ، ثم روى بسنده عن ابن عباس قال هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره . ا هـ .

وأما قوله : ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾[1] الآية . فقال النبي ﷺ : « يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى » الحديث ذكره المصنف ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول « يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض » رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وابن جرير وعبد بن حميد .

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ الآية ، ورسول الله ﷺ

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٦٧ .

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : « جاء حَبْرٌ مِنَ الأحبارِ إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمدُ ، إنا نَجدُ أنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمواتِ على إصبَعٍ ، والأَرَضينَ على إصبعٍ ، والشجرَ على إصبع ، والماءَ على إصبع ، والثَّرى على إصبع ، وسائرَ الخَلقِ على إصبع ، فيقولُ : أنا الملِكُ ، فضحك النبي ﷺ حتَّى بَدَتْ نواجذُه ، تصديقًا لقول الحَبْرِ ، ثم قرأ : ﴿ وَما قَدَروا اللهَ حقَّ قدْرِه والأرضُ جَميعًا قَبْضَتُه يوْمَ القيامَةِ ﴾ الآية » .

* * *

يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه : أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم ، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرّن به . رواه أحمد وهذا لفظه والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي . علقهما الشارح .

وقال شيخنا : قال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الأسماء والصفات (باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين لورود خبر الصادق به) قال الله تعالى : ﴿ يا إبليس ما منعك ألاَّ تسجد لما خلقت بيديّ ﴾ وقال : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ وذكر الأحاديث الصحيحة في هذا الباب مثل قوله في حديث

وفى رواية لمسلم : « والجبالَ والشجرَ على إصبعٍ . ثمَّ يَهُزُّهُنَّ فيقولُ : أنا الملِكُ ، أنا اللّهُ » .

وفى رواية للبخارى : « يَجْعَلُ السمواتِ على إصبعٍ . والماءَ والثّرَى على إصبع ، وسائرَ الخلقِ على إصبع » . أخرجاه .

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا : « يَطْوِى اللّهُ السمواتِ يوم القيامةِ . ثم يأخذهنَّ بيده اليُمنى ، ثم يقولُ : أَنا الملِكُ ، أيْنَ الجَبَّارونَ ؟ أيْنَ المُتكبرون ؟ ثم يَطوِى الأَرضينَ السبعَ ، ثم يأخذهن بشِماله . ثم يقول : أَنا المَلِكُ ، أيْنَ الجَبَّارون ؟ أيْنَ المتكبرون ؟ » .

ورُوِىَ عن ابن عباس قال : ما السمواتُ السبعُ

الشفاعة : (يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده) ومثل قوله في الحديث المتفق عليه (أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده) ومثل ما في صحيح مسلم (وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده) وقوله ﷺ : (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته) .

وقوله : (وروي عن ابن عباس) رواه معاذ بن هشام

والأَرَضونَ السبعُ فى كفٍّ الرحمنِ إلَّا كَخَرْدَلَةٍ فى يد أحدِكم .

وقال ابن جريرٍ: حدثنى يونُسُ أخبرنا ابنُ وهْبٍ قال : قال ابنُ زَيدٍ : حدثنى أبى قال : قال رسول الله ﷺ : « ما السمواتُ السبعُ فى الكُرْسِيِّ إلا كدَراهِمَ سبعةٍ أُلقِيتْ في تُرْسٍ » . قال : وقال أبو ذَرٍّ رَضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما الكرْسيُّ

الدستوائي حدثنا أبي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : إن السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما في يد الله عز وجل إلا كخردلة في يد أحدكم) قال الشارح : وهذا الإسناد في نقدي صحيح ، قال وحديث زيد بن أسلم رواه أيضاً اصبغ بن الفرج بهذا الطريق واللفظ وهو مرسل ، وعبد الرحمن بن زيد ضعيف .

قوله : (وقال أبو ذر) قال الشارح : يوهم أن ذلك عطف على قول زيد قال رسول الله ﷺ وليس كذا فيما ظهر لي فإن حديث أبي ذر هذا رواه يحيى بن سعيد العبشمي أنبأنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر قلت يا رسول الله أي آية أعظم ؟ قال (آية الكرسي ، ما السموات السبع في الكرسي إلا

فِي العَرْشِ إلا كَحَلْقةٍ مِن حَديدٍ أُلقيتْ بَين ظَهْرَيْ فَلاةٍ مِن الأرض » .

وعن ابن مسعودٍ ، قال : « بين السماء الدنيا والتى تَليها خَمسُمائةِ عامٍ ، وبين كل سماءٍ وسماء خمسُمائةِ عام ، وبين السماء السابعةِ والكرْسِيِّ خَمسُمائة

كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة) قال الذهبي : يحيى بن سعيد هو الأموي صدوق ؛ وإلا فهو آخر لا أعرفه . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات وابن مردويه عن أبي ذر أنه قال : سُئل النبي ﷺ عن الكرسي ، فقال : (يا أبا ذر ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة) وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وأبو الشيخ والبيهقي عن مجاهد. قال : ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة وما موضع كرسيه من العرش إلا مثل حلقة في أرض فلاة . وأخرج أثر ابن مسعود الثاني عبد الله ابن أحمد في كتاب السنة وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ وأبو عمر الطلمنكي واللالكائي وابن عبد البر والبيهقي وغيرهم . قاله الشارح .

عامٍ ، وبين الكرسيِّ والماءِ خمسمائة عام ، والعرشُ فوق الماء ، واللهُ فوق العرشِ ، لا يَخْفَى عليه شيءٌ من أعْمَالِكم ».

أخرجه ابن مَهْدِيٍّ عن حَمّاد بن سَلَمَةَ عن عاصم عن زرٍّ عن عبد الله . ورواه بنحوهِ المَسْعودِيُّ عن عاصمٍ عن أبي وائلٍ عن عبد الله . قاله الحافظُ الذّهَبيُّ رحمه الله تعالى ، قال : وله طُرُقٌ .

***

قوله : (والله فوق ذلك) أي فوق جميع المخلوقات مستوٍ على عرشه سبحانه وبحمده ، فله العلو الكامل من جميع الوجوه ، علو الذات وعلو القهر وعلو القدر : هذا مذهب أهل السنة والجماعة الذي اجتمعوا عليه وبدّعوا وضللوا من خالفه من الجهمية النافية ؛ وعليه يدل الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة ، وذكر ابن القيم له مائة دليل من القرآن في كافيته ، واستدل عليه بأحد وعشرين وجهاً ، وذكر عليه إجماع المرسلين ، وليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا جاء عن أحد من السلف المقتدى بهم حرف واحد يخالفه . قال تعالى : ﴿ إليه يصعد الكَلِمُ الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ إني متوفيك ورافعك إليّ ﴾ وقال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ، ثم استوى على العرش ﴾ في ستة مواضع : ﴿ يا

(١) سورة فاطر ، الآية : ١٠ .

وعن العبَّاسِ بن عبد المُطَّلبِ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « هل تَدْرون كَمْ بين السماء والأرضِ؟ قلنا : الله ورسولُه أعلم ، قال :

هامان ابنِ لي صرحاً لعلّي أبلغ الأسباب ، أسباب السمٰوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً ﴾ [1] ونظائر هذا لاتحصى إلا بكلفة . وفي الأحاديث قصة المعراج ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه ، وقوله في حديث الأوعال « والعرش فوق ذلك ، والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه » وحديث الجارية « أين الله قالت في السماء وقال من أنا قالت أنت رسول الله قال فاعتقها فإنها مؤمنة » وفي حديث قبض الروح « حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله » إلى غيرذلك من الأحاديث التي بعضها يكفي من طلب الإنصاف وأراد الله به خيراً .

قال ابن قتيبة : ما زالت الأمم عربها وعجمها في جاهليتها وإسلامها معترفة بأن الله في السماء . وروى عبد الله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن عبد الله بن المبارك أنه قيل له بماذا نعرف ربنا قال بأنه فوق سمٰواته على عرشه بائن من خلقه ؛ وروى ابن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن سعيد بن

(١) سورة غافر ، الآية : ٣٦ .

بينهما مسيرةُ خمسِمائَةِ سنةٍ ، ومِن كلِّ سَمَاءٍ إلى سماءٍ مسيرةُ خمسمائةِ سنة ، وكِثَفُ كُلِّ سماءٍ مسيرةُ خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرشِ بحرٌ ، بين أسفلِه وأعلاهُ كما بين السماء والأرضِ ، والله تعالى فوقَ ذلك . وليس يَخفَى عليه شيءٌ من أعمال بني آدَمَ » . أخرجه أبو داود وغيره .

* * *

عامر الضبعي إمام أهل البصرة علماً وديناً من شيوخ الإمام أحمد أنه ذكر عنده الجهمية فقال هم أشرّ قولاً من اليهود والنصارى ؛ وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان على أن الله على العرش وقالوا هم ليس عليه شيء وقال محمد بن إسحاق إمام الأئمة : من لم يقل إن الله فوق سمٰواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فإن تاب وإلا ضرب عنقه ثم ألقي على مزبلة من المزابل لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة . ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح .

وفي كتاب الفقه الأكبر المشهور المروي عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي قال : سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض ، قال قد كفر لأن الله يقول : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[1] وعرشه فوق

(١) سورة طه ، الآية : ٥ .

سمٰواته فقلت إنه يقول أقول على العرش استوى ولكن لا أدري العرش في السماء أو في الأرض فقال إنه إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر ، روى هذا أبو إسماعيل صاحب الفروق .

وقال الموفق بن قدامة : بلغني عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال من أنكر أن يكون الله عز وجل في السماء فقد كفر ، وروى عبد الله بن أحمد عن عبد الله بن نافع قال : قال مالك بن أنس : الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء . وروى أبو الشيخ الأصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحض ثم قال : الإستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدعاً فأمر به أن يخرج .

وروى شيخ الإسلام أبو الحسن البكاري عن أبي شعيب وأبي ثور كلاهما عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله قال : القول في السنة التي أنا عليها وأدركت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما : الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنه على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء ، وذكر سائر

* * *

الاعتقاد ، وروى الخلال في كتاب السنة حدثنا يونس بن موسى قال : أخبرنا عبد الله بن أحمد قال : قال لي أبي : ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل مكان .

وقال إلامام أبو محمد بن أبي زيد المغربي القيرواني شيخ المالكية في وقته في أول رسالته المشهورة في مذهب مالك : وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته وأنه في كل مكان بعلمه ، قال الإمام أبو بكر محمد بن وهب المالكي شارح رسالة ابن أبي زيد لما ذكر قوله : وأنه تعالى فوق عرشه المجيد ، معنى فوق وعلا واحد عند جميع العرب ، ثم ساق الآيات والأحاديث إلى أن قال :

وقد تأتي لفظة (في) في لغة العرب بمعنى فوق كقوله : ﴿ فامشوا في مناكبها ﴾[1] ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾[2] قال أهل التأويل : يريد فوقها وهو قول مالك مما فهمه من التابعين مما فهموه من الصحابة مما فهموه عن النبي ﷺ أن الله في السماء يعني فوقها ، فلذلك قال الشيخ أبو محمد إنه فوق عرشه ثم بين أن علوه فوق عرشه إنما هو بذاته فلا تحويه الأماكن لأنه أعظم منها اهـ كلام الشارح .

---

(١) سورة الملك ، الآية : ١٥ . (٢) سورة الملك ، الآية : ١٦ .

* * *

وذكر عن أبي زيد في كتابه الفرد في السنة في تقرير العلو واستواء الرب على العرش بذاته وقرره أتم تقرير وقال في مختصر المدونة : إنه تعالى فوق عرشه بذاته فوق سمٰواته دون أرضه ، وقال الحافظ الذهبي لما ذكر قول ابن أبي زيد : وإنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته . وقد تقدم مثل هذه العبارة عن ابن أبي شيبة وعثمان بن سعيد الدارمي ، وكذلك أطلقها يحيى ابن عمار واعظ سجستان في رسالته والحافظ أبو نصر السجزي في كتاب الإبانة فإنه قال :

وأئمتنا كالثوري ومالك والحمادين وابن عيينة وابن المبارك والفضيل وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته وأن علمه بكل مكان ، وكذلك أطلقها ابن عبد البرّ ، وكذا عبارة شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري فإنه قال في أخبار شتى : إن الله في السماء السابعة على العرش بنفسه ، وكذا قال أبو الحسن الكرخي الشافعي في تلك القصيدة .

عقائدهم أن الالّه بذاته على عرشه مع علمه بالغوائل

وعلى هذه القصيدة مكتوب بخط العلامة تقي الدين بن الصلاح : وهذه عقيدة أهل السنة وأهل الحديث ، وهكذا أطلق هذه اللفظة أحمد بن ثابت الطرقي الحافظ ، والشيخ عبد القادر الجيلي ، والمفتي عبد العزيز القحيطي وطائفة ، والله تعالى

—— * * * ——

خالق كل شيء بذاته ، ومدبر الخلائق بذاته بلا معين ولا مؤازر ، وإنما أراد ابن أبي زيد وغيره التفرقة بين كونه معنا وبين كونه فوق العرش ، فهو معنا بالعلم ، وهو على العرش كما علمنا حيث يقول : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وقد لفظ بالكلمة المذكورة جماعة من العلماء كما قدمنا ، وبلا ريب أن فضول الكلام تركه من حسن الإسلام .

وكان ابن ابي زيد من العلماء العاملين بالمغرب ، وكان يلقب بمالك الصغير ، وكان غاية في معرفة الأصول ، وقد نقموا عليه في قوله : (بذاته) فليته تركها . انتهى كلام الذهبي ، توفي ابن أبي زيد سنة ست وثمانين وثلاثمائة وقيل سنة تسع وثمانين وثلاثمائة رحمه الله ، ومن كلام أبي حنيفة إلى هنا نقلته من رسالة الشيخ أحمد بن ناصر المعمري رحمه الله وعفا عنه .

فأما تأويل الإستواء بالإستيلاء ونحو ذلك فمن أبطل الباطل ، وأظهر التحريف للكلم عن مواضعه . قال شيخ الإسلام : وبطلان تأويل استوى بمعنى استولى من وجوه : (أحدها) : أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين ، بل أول من قال ذلك بعض الجهيمة. والمعتزلة. (الثاني): أن معنى هذه الكلمة مشهور، ولهذا قال مالك لمن سأله وكذلك ربيعة بن عبد الرحمن:

الاستـــواء معلـــوم والـــكيف مجهـــول ، والإيمـــان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، ولم يرد أن الاستواء معلوم في اللغة دون الآية لأنه سئل عن الاستواء في الآية لا كيف استوى الناس .
(الثالث) : أنه إذا كان معلوماً في اللغة التي نزل بها القرآن كان معلوماً في القرآن . (الرابع) : أنه لو لم يكن معنى الاستواء في الآية معلوماً لم يحتج أن يقول : الكيف مجهول ، لأن نفي العلم بالكيف لا ينفي إلا ما قد علم أصله كما نقول : إنا نقرّ بالله ونؤمن به ولا نعلم كيف هو . (الخامس) : أنه لو كان استوى بمعنى استولى الذي هو عام في جميع الموجودات لجاز أن يقال : استوى على الماء والهواء والأرض إذ هو مستولٍ على الأشياء كلها ، فلما اتفق المسلمون أنه مستوٍ علـى العـرش ولا يُقـال استوى على هذه الأشياء مع أنه يقال استولـى علـى العـرش والأشياء كلها علم أن معنى الإستواء خاص بالعرش ليس عاماً .
(السادس) : أنه أخبر بخلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وأخبـر أن عرشـه كان علـى المـاء قبـل خلقهما ، وثبت ذلك في البخاري من حديث عمران بن حصين ، فلما ثبت خلق العرش قبل خلق السمٰوات وأن الاستواء متأخر عن خلقهن ، والله مستولٍ على العرش قبل خلق السمٰوات وبعده علم أن الإستواء على العرش الخاص به غير الإستيلاء العام عليه

* * *

وعلى غيره . (السابع) : أنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور :

ثم استوى بشر على العراق　　من غير سيف ودم مهراق

ولم يثبت نقل صحيح أنه عربي ولا غيره - وغير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا بيت مصنوع لا يعرف في اللغة ، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده - وقد طعن فيه أئمة اللغة ؟

وذكر أبو الحسن في كتاب الإفصاح قال : سئل الخليل هل وجد في اللغة : استوى بمعنى استولى ؟ فقال : هذا ما لا تعرفه العرب ، ولا هو جائز في لغاتها ، وهو إمام في اللغة على ما عرف من حاله .

فحينئذ حمله على ما لا يعرف حمل باطل . (الثامن) : أنه روي عن جماعة من أهل اللغة أنه لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا فيمن كان منازعاً مغالباً ، فإذا غلب أحدهما صاحبه قيل استوى ، والله لم ينازعه أحد . (التاسع) : أنه لو ثبت أنه في لغة العرب لم يجب أنه من لغة العرب العربي ، ولو من لغة العرب العربي لم يجب أن يكون من لغة رسول الله ﷺ . ولو كان من لغته لكان المعنى المعروف في الكتاب والسنة هو الذي

يراد به . (العاشر) : أن معنى الاستواء كان معلوماً ظاهراً بين الصحابة والتابعين وتابعيهم فيكون التفسير المحدث بعدهم باطلاً قطعاً . وهذا قول يزيد بن هارون الواسطي قال : من قال إن الرحمن على العرش استوى : خلاف ما تقرر في النفوس فهو جهمي ، وقول مالك الاستواء معلوم ، ليس المراد أن هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قال استولى ، وإنه يسأل عن الكيفية ، ومالك جعله معلوماً ، والسؤال عن نزول لفظ الاستواء ليس بدعة ولا الكلام فيه ؛ فقد تكلم فيه بعض الصحابة والتابعين ، وإنما البدعة السؤال عن الكيفية ، ومنشأ هذه الضلالات من سوء التخييلات .

انتهى كلام الشيخ ملخصاً .

وقد رد هذا التأويل أيضاً من عشرين وجهاً وأبطله ابن القيم رحمه الله من أربعين طريقة في كتابه (الصواعق) وكذا غيرهما من أهل العلم ، فرحمهم الله وعفا عنهم ، وألحقنا بآثارهم ، إنه على كل شيء قدير .

قال مؤلفه : كمل على يد جامعه في اليوم السابع من شوال سنة ١٢٥٥ من هجرة الرسول ﷺ . وكتبه الفقير إلى الله عبد العزيز بن ناصر بن رشيد غفر الله له ولوالديه ولمشايخه .. آمين .

فيه مسائل

الأولى : تفسير قوله : والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة .

الثانية : أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها .

الثالثة : أن الحَبر لما ذكر ذلك للنبي ﷺ صدَّقه ، ونزل القرآن بتقرير ذلك .

الرابعة : وقوع الضحك من رسول الله ﷺ لما ذكر الحَبر هذا العلم العظيم .

الخامسة : التصريح بذكر اليدين ، وأن السموٰات في اليد اليمنى ، والأرضين في اليد الأخرى .

السادسة : التصريح بتسميتها الشمال .

السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك .

الثامنة : قوله « كخردلة في كف أحدكم » .

التاسعة : عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء .

العاشرة : عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي .

الحادية عشرة : أن العرش غير الكرسي والماء .

الثانية عشرة : كم بين كل سماء إلى سماء .

الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والكرسي .

الرابعة عشرة : كم بين الكرسي والماء .

الخامسة عشرة : أن العرش فوق الماء .

السادسة عشرة : أن الله فوق العرش .

السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض .

الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة .

التاسعة عشرة : أن البحر الذي فوق السموات بين أسفله وأعلاه خمسمائة سنة . والله أعلم .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

الفهرس

مقدمة ٥
ترجمة الشيخ حمد بن علي بن عتيق - رحمه الله - ٩
تمهيد ١٣

ـ كتاب التوحيد :

١ ـ تفسير ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾........ ١٧
- النصوص في وجوب بر الوالدين ١٩
٢ ـ باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.................. ٢٧
٣ ـ باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ٣٧
٤ ـ باب الخوف من الشرك.................................. ٤٤
٥ ـ باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ٤٨
٦ ـ باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ٥٧
٧ ـ باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه ٦١
٨ ـ باب ما جاء في الرقى والتمائم ٦٦
٩ ـ باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما ٧٣
١٠ ـ باب ما جاء في الذبح لغير الله ٧٩
١١ ـ باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ٨٥
١٢ ـ باب من الشرك النذر لغير الله ٩٠

١٣ ـ باب من الشرك الاستعاذة بغير الله ٩٣
١٤ ـ باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره ٩٥
١٥ ـ باب قول الله تعالى: ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ﴾ ١٠١
١٦ ـ باب قول الله تعالى: ﴿ حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾ ١٠٦
١٧ ـ باب الشفاعة ١١٣
١٨ ـ باب قول الله تعالى: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ ١٢٠
١٩ ـ باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلوّ في الصالحين ١٢٤
٢٠ ـ باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ١٣١
٢١ ـ باب ما جاء أن ألغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تُعبد من دون الله ١٣٨
٢٢ ـ باب ما جاء في حماية المصطفى (ﷺ) جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك ١٤١
٢٣ ـ باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان ١٤٥
أحاديث وآثار تتعلق بالباب ١٥٣
٢٤ ـ باب ما جاء في السحر ١٥٩
٢٥ ـ باب بيان شيء من أنواع السحر ١٦٤
٢٦ ـ باب ما جاء في الكهان ونحوهم ١٦٨

٢٧ ـ باب ما جاء في النشرة ١٧١
٢٨ ـ باب ما جاء في التطير ١٧٣
٢٩ ـ باب ما جاء في التنجيم ١٨٢
٣٠ ـ باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء ١٨٥
٣١ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون
الله أنداداً يحبونهم كحب الله ﴾ ١٩٠
٣٢ ـ باب قول الله تعالى:﴿ أنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه
فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمينين ﴾. ١٩٥
٣٣ ـ باب قول الله تعالى:﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم
مؤمنين ﴾ ٢٠٠
٣٤ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله
إلا القوم الخاسرون ﴾ ٢٠٣
٣٥ ـ باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله ٢٠٥
٣٦ ـ باب ما جاء في الرياء ٢٠٩
٣٧ ـ باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ٢١٢
٣٨ ـ باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلّ الله أو
تحليل ما حرّمه فقد اتخذهم أرباباً ٢١٧
٣٩ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم
أمنوا بما أُنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا
إلى الطاغوت ﴾ ٢٢٢
٤٠ ـ باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات ٢٢٧

٤١ - باب قول الله تعالــى : ﴿ يعرفــون نعمـت الله ثم ينكرونها ﴾ ٢٣٠
٤٢ - باب قوله الله : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾... ٢٣٢
٤٣ - باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله.................... ٢٣٦
٤٤ - باب قول: « ما شاء الله وشئت »........................... ٢٣٧
٤٥ - باب من سب الدهر فقد آذى الله ٢٤٠
٤٦ - باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه........................ ٢٤٣
٤٧ - باب احترام اسماء الله وتغيير الإسم لأجل ذلك ٢٤٥
٤٨ - باب من هزل بشـيء فيه ذكر الله أو القـرآن أو الرسول. ٢٤٦
٤٩ - باب قول الله تعالى : ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾ ٢٥١
٥٠ - باب قول الله تعالى : ﴿ فلما آتاهما صالحـاً جعـلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴾ ٢٥٦
٥١ - باب قول الله تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾.... ٢٥٩
٥٢ - باب لا يقال السلام على الله ٢٦٤
٥٣ - باب قول : اللهم اغفر لي إن شئت ٢٦٦
٥٤ - باب لا يقول عبدي وأمتي ٢٦٨
٥٥ - باب لا يرد من سأل بالله ٢٧٠
٥٦ - باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ٢٧٣
٥٧ - باب ما جاء في اللو.. ٢٧٤
٥٨ - باب النهي عن سب الريح ٢٧٨
٥٩ - باب قول الله: ﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴾... ٢٨٠

٦٠ ـ باب ما جاء في منكري القدر ٢٨٦
٦١ ـ باب ما جاء في المصورين ٢٩٦
٦٢ ـ باب ما جاء في كثرة الحلف ٢٩٩
٦٣ ـ باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ٣٠٤
٦٤ ـ باب ما جاء في الإقسام على الله ٣١٠
٦٥ ـ باب لا يستشفع بالله على خلقه ٣١٢
٦٦ ـ باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد ٣١٤
٦٧ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض
جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ ٣١٧
عظم الكرسي وكون العرش أعظم منه ٣١٩
إثبات علو الله تعالى ٣٢٣
الدليل على أن لفظة (في) تأتي بمعنى فوق ٣٢٦
بطلان تأويل استوى بمعنى استولى ٣٢٨
الفهرس ٣٣٥

* * *

مجموعة كتب ورسائل
الشيخ حمد بن علي بن عتيق
رحمه الله
١٢٢٧ - ١٣٠١

١ ـ إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد .
٢ ـ سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك .
٣ ـ الدفاع عن أهل السنة والاتباع .
٤ ـ الفرق المبين بين مذهب السلف وابن سبعين .
٥ ـ التحذير من السفر إلى بلاد المشركين .
٦ـ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٧ـ المراسلات.
٨ـ المسائل والفتاوى.

1